

المملكة العربية السعودية  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المعهد العالي للدعوة الإسلامية  
قسم الإعلام



الطبيب

# وسيلة اتصال إجبارية

رسالة "ما جستير"

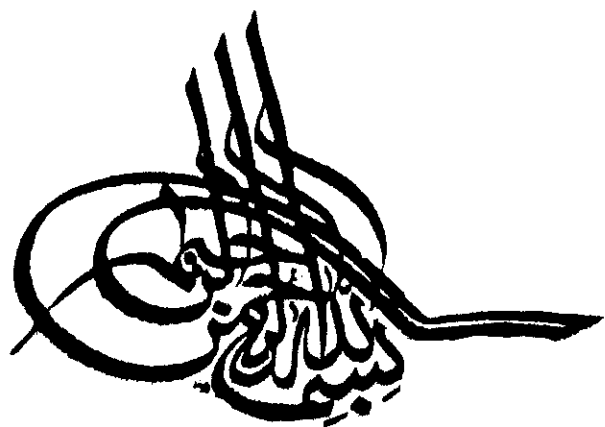
أعدها

الطبيب / محمد رجب في حسين

إشراف

الدكتور / عبدالستار فتح الله سعيد

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م



## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة

الحمد لله رب العالمين . وسبحانه وتعالى عما يشركون ، والعلاء والسلام على نبيينا محمد الصادق الأمين ، وخاتم المرسلين ، ولقائد ورائد الفر المحجلين ، وعلى آله واصحابه أجمعين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد ، فالحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . انه لمن المولى أن يرى المسلم أعداء الحق يعملون بكل سبيل لمحاربة الاسلام وهو الحنيفية السمحة - فتارة باللسان ، وأخرى باللسان ، وثالثة بشتى العلوم والأساليب والأعمال ، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم لا تفتقر الى الرجال ولا الى المال ، وتقع فى مكان القلب من المسكونة - ولكن - قد أصابها الوهن وهو كما جاء فى الأثر الشريف "حب الدنيا وكراهة الموت"<sup>(١)</sup>

والحقيقة أنه فى عالمنا المعاصر قد تطورت الأسلحة وآلات الدمار حتى صار مخزونها يكفى لنسف الحياه والأحياء فى هذه الأرض ، ورغم ذلك فكل يوم يشهد الانسان المؤمن بقضية ما .. أنه أقوى من البندقية والقنبلة ، كما انتصر الوثنيون فى فيتنام على فرنسا وأمريكا وهم حفاة جياع ، وكما ينتصر مجاهدو المسلمين الأفغان على آلة الحرب الشيوعية الطاغية بفضل الله .

وفى مجال الحجة والبيان ، فليس أفصح ولا أصرح ولا أوضح من القرآن وسنة النبی صلى الله عليه وسلم والراشدين ولف هذه الأمة الكريمة . فلم يبق إذن لدى أعداء الحق من كل دين وملة الا التشكيك والكيد واشاعة الشبهات ، بطريقة ظاهرها الرحمة والانسانية وباطنها العذاب ! ومن أول ما لجأ اليه بطارقة النصارى للتسلل الى ديار الاسلام من خلاله ، كان الطب - وهو المهنة التى لا تنفك حاجة الانسان اليها فى كل زمان ومكان ، ومن خلاله يتقربون الى الناس وبخاسة ذوى الجاه والسلطان ، فى أوقات احساسهم بالضعف والألم والحاجة الى الفوت والمعالجة ، فيتحسسون مواطن الضعف فيهم ، ويجوسون فى ديار الاسلام متلمسين الفرصة للتخريب والهدم سواء فى اخلاق الناس وعقائدهم ، أو يكتشفون ثلعة أو فرجة فى البنيان المرموس فيعملون على توسيعها وتعميق الهوة ، أو يمهدون السبيل لعسكرهم كما حدث ويحدث فى موجات الاستعمار المسلح المتتالية .

---

(١) رواية الإمام أحمد وأبو داود سه حديثاً ثواباً رضي الله عنه

فى البداية كان صوت الاسلام قويا وكان المد كاسحا والهنىسان  
راسخا ، وظل لواء الحضارة الانسانية معقودا بيد المسلمين قرونا ، وكان  
العلماء المسلمون - ومنهم الأطباء - هم منارات المعرفة التى تهدى  
الحيارى الى سبل السلام بهدى العقيدة وفى حراسة الدولة القوية التى توفر  
لهم إمكانيات العمل والاختراع والإبداع . ثم أنه حين بدأت بوادر الاضمحلال  
ظلت أسماء الأعلام المسلمين النوابغ أكبر شاهد على جدارة عقيدتهم ومدارتها،  
وحتى الآن قد لا يعلم الآخرون من المسلمين أكثر من أنهم قد خرج منهم ابن  
سينا وابن رشد وابن الهيثم وغيرهم كثير .

وبعد سقوط علم الخلافة العثمانية فى أوائل القرن الحالى، وتفتت  
ديار الاسلام ، وتسارع الاكتشافات العلمية ومنها وسائل الاتصال والاعلام ففى  
أيدى المشركين والملحدين ، ازداد التكالب المسعور على افتراس الأغنام  
الشاردة بعد غياب الراعى - وانبرت وسائل الاعلام بطريقة خبيثة مدروسة  
تدمو أمة الاسلام لتسعى الى حتفها بظلفها ، اذ تزين أنه لاله الا العلم  
ولا تقدم الا به ، وما الدين الا أساطير الأولين ، حتى وصلت الأمة الى أزمة  
الضمير الحالية - بين هاتف يدعوها للعودة الى جذور الأصالة ، وشيطان  
يفريها بالتحلل والفحالة !!

وفى القاهرة كان مولدى فى حى شبرا المزدحم ، لأسرة مصرية من  
أواسط الناس ، وفى زمان الحرب العالمية الثانية شاهدت آلام الناس فى  
حرب لاناقة لهم فيها ولاجمل . وكان بيتنا يطل على مستعمرة للراهبات تضم  
مدرسة للبنات ومستوصف للعلاج - باسم " الراعى الصالح " (1) وهو لقلب  
أطلقوه على الطبيب الفرنسى الذى اشتهر باكتشاف الجراثيم وابتدع الطريقة  
المسماة باسمه ( البسترة ) لحفظ اللبن والأطعمة والمشروبات بغليها لآبادة  
الميكروبات ، وعمل المصل المضاد لمرض الكلب ، وغير ذلك مما سنأتى على  
ذكره ان شاء الله تعالى - ورفعوه بعد موته الى مرتبة القديسين وسموه  
( الراعى الصالح ) بالعربية .

كان يحيط بهذه المستعمرة ومساحتها أربعون فدانا تقريبا - سور  
مرتفع يحجب مايدور بداخلها ، وحوله من الداخل ترتفع أشجار الكافور  
العتيقة وتتشابك أغصانها حتى تتضافر على إخفاء مايجرى بالداخل عن عيون  
السكان القاطنين فى البيوت والعمارات السكنية متوسطة الارتفاع ، والتى

كانت تحيط بالمستعمرة من كل جانب . وكنا مغارا نعد الى بيوت الجيران والأقارب فى الطابق الرابع مثلا فتمتد أبصارنا الى الداخل عسى أن نشبع فضولنا ، فلا نرى الا الحديقة المحيطة بالمبانى التى تتوسط المستعمرة ، أو بعض العمال يزرعون الخضروات ، أو يشتغلون فى العناية بأشجارالفاكهة وحظائر الأبقار النظيفة التى يربونها لانتاج اللبن . وكانت الكرة كثيرا ماتسقط خلف السور ، فان كانت رخيصة يثسنا منالحصول عليها فورا .. أما ان كانت ثمينة غالية ، فان لم يلقيها لنا عبر السور واحد من المزارعين ، فان جماعة منا يقودها أكثرنا شجاعة وحكمة تتوجه الى باب السور الخشبى الضخم المغلق دائما .. فنطرق عليه حتى يخرج الينا أحدهم بعد لى ، متجهما غاضبا .. ثم نادرا مانعود بالكرة . كان السور عاليا .. والأبواب كبيرة مهيبة .. من حديد شديد .. أو خشب غليظ ، وفوق السور كانت أسلاك شائكة أيضا ، ولم يكن فيه ثقب واحد يسمح ب رؤية مايجرى بالداخل ، والأكثر من ذلك - كانت توجد بالداخل كــــلاب للحراسة !!..

كان للمستوصف باب فى شارع جانبى سمى بشارع كنيسة الراهبات - وكان يتردد عليه كثير من المرضى يدفعون أجرا زهيدا للكشف الطبى ، وتصرف لهم أدوية مركبة بالثمن الزهيد أيضا ، وكانت الراهبات يقمن بالتمريض وضاد الجروح واعطاء الحقن وما الى ذلك .

وعلى بعد أقل من ميل كان شارع المستشفى ( مستشفى كتشنر )<sup>(١)</sup> وكانت فيه راهبات أيضا - يتوهعن بلباس داكن وتتدلى من نحورهن صلبان معدنية ضخمة ، يمشين فى جماعات صغيرة فى جدية هادفة !! وكن جميعا أجنبيات .. والأطباء أيضا كانوا من الاجانب النصارى ، أما المزارعون والخدم فكانوا من النصارى المصريين .

وفى أحياء أخرى كانت المستوصفات والمستشفيات التابعة للجمعيات الدينية التبشيرية - تلفت النظر - وكانت على كل حال أكثر نظاما ونظافة ومهابة ، واقبالا عليها من المستشفيات الحكومية المجانية - رغم أنها تتقاضى أجورا للعلاج .

وكنت أتساءل فى نفسى فى حيرة شديدة ماذا وراء هذا التعب البالغ ؟ وماهدف هؤلاء الأجانب من خدمة أناس ليسوا على دينهم ؟ وهل هو حقا جانب الرحمة والأخلاق النبيلة الذى غلب عليهم ؟ أو هو قصد نشر دينهم والدعوة اليه بهذه الطريقة الذكية البارة ، والتى لاتلفت الأنظار الى جانبها الخطير، وتحمل التبشير تحت هذه الأزدية الوقورة ، ومن خلال معاطف الطب البيضاء ، ووسائل العلاج والشفاء ؟

---

(١) وهو أيضا أحد قادة الجيوش الانجليزية التى غزت مصر والسودان !

انها اسئلة كثيرة حائرة كانت تجول بالخاطر، ولم أكن أملك يومئذ من وسائل العلم والثقافة ما يعيننى على معرفة الحقائق ، وسبر أغوارها البعيدة .

ولكن الأيام والتجارب بعد ذلك علمتنى الكثير ، وأفصحت لى من جـواب اسئلتى الحائرة القديمة .

ثم تخرجت طبيبا - وحملت على وظيفة نائب لاختصاص أمراض النساء والولادة فى مستشفى العجوزة بالقاهرة ( مستشفى الجمعية الخيرية الاسلامية ) وكان يعمل به أكبر الأساتذة والأطباء ، وكان شامخا على شاطئ النيل ويكسـاد يكون مكتفيا بذاته، وتحيط به الحقائق، وما يزال من أكبر المستشفيات وأحسنها سمعة .. ولكن العجيب والغريب هنا ان الاشراف على التمريض كان بواسطة عدد من الراهبات الايطاليات ، حوالى خمسين ، بلباس أبيض متميز وصليب كبير .. فى مستشفى الجمعية الخيرية الاسلامية !!

وكانت لهن مساكن فاخرة ، وجدول عمل مريح يراعى مواعيت صلواتهن ، ويقع عبء العمل الحقيقى على مجموعة التمريض المصريات ، وكذلك الخدمة . كانت الممرضات الراهبات أكثر تركيزا فى أقسام الدرجة الأولى ، أما فى القسم المجانى فهناك رئيسة للقسم فى دوام محدد للاشراف .. وكانــــــــت بأيديهن السلطة الحقيقية ، ولهن الكلمة النافذة ، وتعزى اليهن سمعة المستشفى العالمية .

وطوال عملى هناك ، عرفت أنهن يتقاضين أجرا كبيرا - ربما زاد على أجر الممرضات المصريات اللاتى تخرجن من مدارس التمريض وقضين السنين فى الدراسة . اضافة الى توفير السكن النظيف المجاور للعمل ، والطعام الخاص بما فى ذلك النبيذ ولوازم احتفالات رأس السنة ، والملابس والغسيل وسائر الخدمات !

أما الوطنيات فيسكن بعيدا ويركبن وسائل النقل العام ذهابا وجيئة ويبذلن جهدا رهيبا تحت أمرة هؤلاء الراهبات . وعرفت أن المستشفى هو دائما عمل تجارى رابح من الدرجة الأولى . ولايسجل خسارة مادية قط فى أى وقت .

ثم عملت بعد ذلك بالمستشفى القبطى وهو أقدم من مستشفى الجمعية الخيرية الاسلامية هذا - والتى أنشأها المرحوم طلعت حرب باشا ضمن ماقام به مسنن جهد وطنى عظيم للدخول بالمصريين المسلمين فى ميادين كانت مقصورة على الأجانب والنصارى . وكان المستشفى القبطى ، وكأنه كنيسة .. شكلا وموضوعا .. وكانت الراهبات هن المشرفات - وعملت بمستشفى المبرة بمصر القديمة .... وكانت الراهبات هنالك أيضا هن الرئيسات .. وكذلك فى عديد من الأماكن .

والراهبات يقضين فترة في أحد الأديرة . يتعلمن خلالها صناعة أو مهنة حسب درجة تعليمهن وظروفهن السابقة على الالتحاق بسلك الكهنوت ، وأنسب ذلك ما يكون فيه العناية بالمرضى أو التدريس للأطفال ويشجع ذلك في المرأة غريزة الأمومة وهي الفطرة التي حرمت على الراهبات لسبب مثل الطمس أو فشل الزوجية أو العزوبة العقيم الى غير ذلك من أسباب للرهبانية ابتمدها النصارى وغيرهم .

والغرض الأساسى للرهبنة هو خدمة الرب وتبشير الخلق بديانة المسيح عليه السلام ، وهذه هي النظرية ، ولكن طبيعة الأمور في القرن العشرين تظهر بوضوح أن المسيحية التي يتم التبشير باسمها ما هي الا وريثة الحضارة الهيلينية ( اليونانية ثم الرومانية ) الوثنية البائدة ، وأن التبشير بها بوسائل التعليم والطب قد كان دائما من أهم الأبواب التي تسلك منها الاستعمار العسكرى والفكرى لدير الاسلام وغيرها من مناطق العالم .

وخرجت بعد ذلك مرارا الى أوروبا وبلاد الشرق الأوسط الاسلامى والى الشرق الأقصى واستراليا . ولفت نظرى كثرة المؤسسات العلاجية والتعليمية المسماة بأسماء "قديسيهم" وعلمت أنها تدر ربحا ولا تخسر مالا .. اضافة الى تأثيرها الاعلامى الوقور ، وابتمادها عن مظنة الاتهام بالسياسة ، أى أنها تقسدم سما فكريا ودينيا صامتا من خلال الطب والعلاج !!

ولما انتميت للدموة الاسلامية ، وعلمت بطرف من أحوال الشعوب والجاليات الاسلامية ، ولمست بعضا من تجارب الجماعات الاسلامية فى انشاء المستشفيات والمؤسسات العلاجية - وجدت أننا جد مسبوقين فى هذا المجال أيضا .

فجهودنا فردية مرتجلة مبعثرة وجهودهم جماعية هادفة مركزة ، ونحسب المسئولون عن الرسالة الخاتمة التى سماها الله تعالى " رحمة للعالمين" (١) علينا تبليغها أيضا، وهم وجدوا آباءهم على أمة فهم على آشارهم يهرعون وعقيدتهم معقدة غامضة ، وشريعتهم عبادة الرجال من دون الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

وحين كان النصارى من الأوربيين هم سادة العالم فى القرنين الماضيين كان التبشير والاستعمار صنوان لا ينفصلان ، أيام الانحسار الاسلامى، حتى أخذت الحكومات بالعلمانية ، وانتشرت الأفكار الدخيلة فى صفوف الناس .

---

(١) الآية الكريمة " وما أرسلناك الا رحمة للعالمين " سورة الأنبياء رقم : ١٠٧

وبعد انسحاب الجيوش ظلت الأعمال التبشيرية في المؤسسات العلاجية والتعليمية علنا - وغيرها كثير . وكان ضيق ذات اليد من قبل حجة للتقصير في الدعوة والتبشير بالدين القيم ، أما الآن وقد تفجرت ينابيع الشروة في كثير من بلدان العالم الاسلامي بالذات - فلا مناص من حمل لواء التوحيد الذي بلغ به أجدادنا أطراف الأرض . وقد اعتنقت الشعوب دعوة الاسلام لأنها تستحق الحياة من أجلها ولاتحلو الحياة الا بها - لآحرمان فيها ولا رهينة ، ومكاننا في الوسط ونضج الى العالم ماء الحياة ، ورغم ذلك فصورتنا في هذا العالم هراء والفراء !!...

قيل لي : مالك وأنت طبيب ؟ وهناك المشايخ والعلماء أولى وأعرف بالطريق وبالمسؤولية التاريخية ؟ قلت نعم ولكن التكليف واقع على كل مسلم وأنا بفعل الله منهم ، ولست آدمي العلم أكثر من غيري، ولكنني لا أستطيع أن آدمي الجهل أيضا . وليست لي هواية الا الغوص في بطون الكتب لاستشفاف مفاهيم السلف والخلف ، والعدو والصديق ، بالعربية وغيرها من اللغات .

ولما كانت الجراحة والتوليد هي عملي منذ نيف وعشرين عاما . في بيئات مختلفة ، وطبقات متباينة ، وأجناس شتى ، وبلاد متعددة - علمت أن الانسان هو .. هو في كل مكان . وعرفت يقينا أن ما يخرج من القلب يدخل الى القلب وان الانسان مهما بدا ضعيفا مهزولا - لا يستهان به أبدا ، فعنده العقل والفضاء .. ان لاهسته الفكرة كان قوة هائلة ، والهدى من الله سبحانه وتعالى والاجتباء .

وبالاجاز :

■ اتخذ المبشرون النصارى الطب وسيلة لخدمة أغراضهم الدينية والاستعمارية ، بل ربما كانت أغراض السيطرة والاحتلال هي أبرز العوامل ، واكبر الأهداف في هذا العمل الخطير الذي استخدم هذه المهنة النبيلة في أغراض جد خبيثة .

■ قامت مؤسسات طبية ضخمة تحمل اسماء نصرانية ، ويديرها الرهبان والكهنة من النصارى ، ويشرف على التمريض فيها راهبات يطبعن كل شئ حولهن بطابع الصليب ، ورموز النصرانية ، وفي هذا دعاية صامتة بذاتها ، فضلا عما كان يزاوله النصارى من دعاية لدينهم وعقائدهم بواسطة الحوار ، والنشرات ، والتأثيرات المتعددة من خلال العمل الطبي ، وتحت مظلة العلاج والمداواة !!...

كانت هذه المعاني وأمثالها تدور في نفسي وأنا أبحث عن موضوع لرسالتي بعد أن أنهيت دراستي المنهجية في المعهد العالي للدعوة الاسلامية ،



ورأيت أن اختار هذا الموضوع لرسالتى حتى أبين أبعاد هذه القضية ، ودورها الخطير فى الاعلام وكيف استخدمت ضدنا نحن المسلمين ولا تزال ، وكيف يمكن أن نستخدمها نحن فى دعوتنا لديننا الحق ، ولرد غارة المبشرين والمتعصبين من أدمعاء النصرانية ..

وقد جعلت عنوان رسالتى " الطب وسيلة اتصال اعلامية " . وقسمت عملى فيها الى مقدمة ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة .

أما المقدمة فقد بينت فيها أهمية الموضوع والخلفية الاجتماعية التى دعتنى لمعالجته ولو أننى لم أعثر على مراجع بالعربية سواء فى الطب أو فى الاعلام قد تناولت هذا الموضوع بالتفصيل . وفى الباب الاول وعنوانه الطب والاعلام - تفصيل لنظرة عامة لجانبى الطب والاعلام ، وفيه فطلان ؛

**الفصل الأول -** تناولت فيه تطور الطب عبر التاريخ ، وكيف كان التطور الحضارى للانسان ينعكس دائما على مفاهيمه عن الصحة والمرض والعلاج - حتى وصلت الى معجزات المسيح عليه السلام فى ناحية شفاء الأسقام وأحياء الموتى بإذن الله كمنا هو مذكور فى القرآن الكريم ، مما قد يكون سببا لاستغلال النصراني بالذات لعلوم التطبيق فى التبشير بديانتهم على نطاق واسع .

ثم تناولت فى هذا الفصل ، ما يلى فترة ميلاد المسيح وما بعدها - الى شروق الاسلام - رفع لواء العلوم التجريبية ومنها الطب بأيدى علماء المسلمين بينما خيمت الجهالة على أوروبا النصرانية فى العصور الوسطى ، ثم انتهت الى انتقال المبادرة الى الغرب فى القرن الماضى وحتى أيامنا هذه - وموقف المسلمين اليوم .

**الفصل الثانى -** وعنوانه الاعلام وتاريخه وغاياته ، بحث فيه مفهوم الاعلام وتطور وسائله ، ثم نظرياته وفنونه - ثم تطرقت الى الاعلام فى أيامنا هذه واستخدامه لجميع الأساليب ، واعتماد أساطينه للدعاية المغلفة أو المقنعة لنشر سمومهم ، وكيف أنهم لا يجعلون عنوانا للدعوة مثل الزاوية النصرانية أو البرنامج المسيحى كما نفعل نحن حين نجعل دعوتنا قاصرة على الجانب المباشر كمصحة دينية أو لقاءات اسلامية - وختمت ذلك الفصل بمبحث أفردته لمناقشة نظرية فى الاعلام الاسلامى .

**- الباب الثانى -** وعنوانه استخدام الطب فى الاعلام ، قسمته الى فصلين .

**الفصل الأول -** وعنوانه استخدام الطب فى الاعلام عند الأمم - وفيه مباحث عن اليهود ونبذة عن الهند والصين بينت فيها كيف كان الطب وسيلة اتصال وتعريف بحضارات الأمم من أقدم العصور والى يومنا هذا .

ثم كان مطلب هذا الفصل في المباحث الخاصة بالنصارى - وكيف استخدموا الطب كستار ينفذون من وراءه للدعوة الى طريقتهم ، واستخدام الكنيسة للتبشير عن طريق الخدمة الطبية منذ قرون للتسلل الى ديار الاسلام ، وفيها - وكيف كان ذلك مقدمة لعصر الاستعمار العسكري والغزو الفكرى للعالم بأسره .

الفصل الثامن - وعنوانه " استخدام الطب فى الاعلام عند المسلمين وفيه عدة مباحث - بينت فيها نظرة الدين الاسلامى لمهنة الطب ، وآداب السنة الشريفة فى الصحة والمرضى ، ثم تحدثت عن ازدهار العلوم التجريبية فى عهد دولته الاسلام - وبينت أصالة التقدم والابتكار عند الأطباء المسلمين فى هذه القرون . وأفردت مبحثا للتأثير الاسلامى فى النهضة الأوروبية الحديثة - ثم بينت فى المبحث الأخير حكم الاجتهاد والمسؤولية الشرعية فى المهنة الطبية .

الباب الثالث - "عنوان الطب والدعوة فى الاعلام الاسلامى المعاصر" - وفيه فصلان أولهما

جاءت فيه نماذج من استخدام وسائل الاعلام المعاصرة بواسطة الأطباء للدعوة الاسلامية الحديثة ، والثاني عن المؤسسات الطبية الإسلامية المعاصرة في مجال الاعلام والدعوة

وختتمت رسالتي بالنتائج والمقترحات .

هذا وقد بذلت لانجاز هذه الرسالة غاية جهدى ، مع قلة المراجع وكثرة الأعمال والشواغل - فان كنت قد أصبت فى شئ فيها - فذلك من فضل الله عز وجل ، وان تكن الأخرى فعسى أنى بذلت جهد المقل ، وقدمت باكورة فى هذا الباب أرجو أن تتلوها أعمال أخرى منى ومن غيرى لنوضح هذا الجانب الخطير من جوانب حياتنا وطرائق الدعوة الى الله تعالى ، ولنفع فيه معالم توصل طريقه حتى يمكن استخدامه فى الاعلام الاسلامى على أتم الوجوه وأولها .

ذلك وانى أسجد شكرًا لله العلى القدير الذى يسر لى سلوك طريقى - الدعوة الاسلامية ، والاعلام الاسلامى - حتى وصلت بحمد الله لاتمام هذه الرسالة .

واتقدم بالشكر والتقدير الى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ومعهدا العالي ، وسائر الأساتذة الكرام الذين قاموا عليه ادارة ، وتدريسا ، وتربية وتوجيها - فانهم بذلك قد فتحوا بابا واسعا لطلاب العلم الاسلامى - ارجو أن ينفع الله به الاسلام والمسلمين ، وأن يرد به عادية أمدائه مبشرين المبشرين والملحدين وأضرابهم .

ولا يهوتنى أن أقدم عظيم الامتنان لجميع الأساتذة والزملاء الذين

ساعدوني على اتمام هذه الرسالة بالارشاد ، وحسن التوجيه ، واعارة المراجع ،  
وغير ذلك من افعالهم الكثيرة - وعلى رأسهم فضيلة الدكتور عبدالستار  
فتح الله سعيد المشرف على هذه الرسالة ، جزاهم الله عنى جميعا خير  
الجزاء وأحسنه .

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملنا كله خالما لوجهه  
الكريم ، وأن تحوز رسالتى القبول ، وأن ينفع بها الاسلام والمسلمين ،

والحمد لله رب العالمين {

الباب الأول

الطب والإعلام

## الفصل الأول

الطب وتطوره عبر التاريخ

## المبحث الأول

### الطبيب منذ ولادة التاريخ

قضية الطبيب أمر ضروري للناس ، وهي منوطة بهم حيث وجدوا ومتى وجدوا ، منذ الانسان القديم وحتى قيام الساعة ، ثم أن الناس لما كانوا متفاظين في قوة التمييز المنطقي ، كان أقواهم حنكة وأففلهم رأيا ، هم أكثر ادراكا وحفظا لما يمر بهم من الأمور التجريبية وغيرها ، لمقابلة الأمراض بما يعالجونها به دون غيره . وكما يتمين على الطبيب معرفة علامات الصحة لتشخيص المرض قبل علاجه ، فإنه يجب عليه معرفة المضاعفات المحتملة وطريق الوقاية منها مشيرا بذلك للمريض أو أهله بنهاية المطاف - لذلك قال جالينوس<sup>(١)</sup> " أن الطبيب يحتاج أن يكون معه شيء من التكهن " . ولعله يقصد بالتكهن القدرة على التصور وقياس الأمور واستخراج النتائج الخفية بنوع من حدة الذكاء ، أو الألمعية ..

كذلك فقد جاء في كتاب " آداب الطبيب " لمؤلفه إسحاق بن علي الرحاوي<sup>(٢)</sup> - " أن الطب تعليم لا يتولى عليه العقل وحده .. لذلك فإنه يرى تشابها لرسالتهم بها جاء به الرسل " . وقد قال ذلك جالينوس أيضا " أن الله قد خلق صنامة الطب وألهمها للناس " .

وذلك ما حدا بفلسفة من الناس أن تعتقد أن الإلهام هو سر توفيق بعض عظماء الأطباء .

والمعقول هو أن صناعة الطب قد تطورت ، إذ خرج السلف بشئ قد جربه فوجده نافعا ، فأخذ الخلف منهم ذلك واحتفظ به وقاس عليه وتممه ، حتى استكملت الصناعة وتشعبت فروعها وتنوعت - حتى آل بها الأمر أخيرا إلى التخمين الدقيق ، والتعمق في مجالات البحث والتجربة والاكتشافات . وماتزال في تقدم إلى ما شاء الله .

وكل كائن حي ، والانسان أكرم الخلق ، مدفوع بفريرة محاولة البقاء فطرة أودعها الرحمن سبحانه وتعالى فيه ، يحاول دائما تناول ما يفيد من الأغذية والأدوية ويمضي العمر جميعه معالجا أسقامه بما يستطيع ثم يستغنى مجربا أو طبيبا

---

(١) ١٥١ - ٢٠١ م . كلوديوس جالينوس

(٢) لم تبق منه الا نسخة فريدة مخطوطة بمكتبة السلطان سليمان الأعظم باستنبول برقم ١٦٥٨ ( الطب الاسلامي ٤٣٥ )

وإذا غلط متقدم سدد متأخر ، وإذا قصر قديم تعم محدث . وهكذا كان الأمر منذ البداية وحتى قيام الساعة .

#### بدء الصناعة :-

قال ابن أبى أصيبعة فى كتابه " عيون الأنباء فى طبقات الأطباء " (١) -  
أن ذلك قد يكون على أربعة وجوه هى :- (٢)

أولا : أنه قد يكون قد حمل للأنبياء والأصفياء شع منها بما اختصوا به من تأييد الله تعالى ، روى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " كان سليمان بن داود عليهما السلام - إذا صلى رأى شجرة ثابتة بين يديه فيسألها ما اسمك ؟ فان كانت لغرس غرس وان كانت لدواء كتبت " . (٣)  
وقال قوم من اليهود أن الله تعالى أنزل على موسى عليه السلام - سفر الأشفيه . والصابئة (٤) تقول أن الشفاء كان يؤخذ من هياكلهم على يد كهانهم وصلحائهم ، بعض بالرؤيا وبعض بالالهام . ومنهم من يقول أنه كان يوجد مكتوبا فى الهياكل ليعلم من كتبه .  
ونقل من الصابئة أيضا أن شيث بن آدم عليه السلام هو الذى أظهر الطب وارثا إياه عن أبيه . ( وكان من عادة القدماء فى بابل أن يخرجوا مرضاهم الى الساحات العامة وأماكن مرور القوم وتجمعهم ، عسى أن ينصحهم أحد بما يساعد على شفاء المريض ،

- 
- (١) هو موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم ابن أبى أصيبعة السعدي الخزرجي ، ولد فى دمشق سنة ٦٠٠ هـ لأب كحال - ثم رحل الى القاهرة حين كانت منتهى السبل وملتقى العلماء فى عز مجد الدولة الأيوبية ، والتحق بالمارستان الناصري الذى أنشأه الناصر صلاح الدين واشتهر بحسن المداواة والدأب على التحصيل - وقد ترك كتابه العظيم " عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ويعتبر من أحسن كتب التراجم . وتوفى سنة ٦٦٨ هـ .
  - (٢) راجع كتاب عيون الأنباء - من منشورات دار الحياة ببيروت طبعة ١٩٦٥ - شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا - بتلخيص وتصرف من ص ١١ الى ص ٢٧
  - (٣) لم أقف على تخريج لهذا الحديث فالله أعلم بصحته أو فحشه ، والعهد على رواية ابن أبى أصيبعة .
  - (٤) قوم يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام - وقيل يعبدون الكواكب وقيل الملائكة .

ويبدو أن هذه العادة قد انتقلت الى اليونان مع فتوحات الاسكندر الشرقية ، فكان المرضى يذهبون الى ساحات المعابد وخصوصا فسي اوقات اعياد القوم ، وتحولت هذه العادة بعد انتشار النصرانية فسي أوروبا فكانت الكنائس تلحق بها دور الاستشفاء والعلاج . ومن المعروف أن الوصفات العلاجية كانت تكتب على أعمدة وجدران المعابد في مصر الفرعونية فمن كتاباتهم الأخرى ، هذا ما احتوته لفائف اوراق البردى (١)

أما المجوس (١) الذين اقرن اسمهم بعبادة النار والسحر ، فانهم يدعون أن حكيمهم زرادشت جاء بكتب جلدت بأشنى عشر ألفا من جلود الجاموس ألف منها في الطب . وقال الأمير محمود الدولة ، أبو الوفاء المبرش ابن فاتك الإمري (٢) - في كتابه مختار الحكم ومحاسن الكلم - أن الاسكندر المقدوني (٣) لما هزم دارا ملك فارس ، أحرق كتب المجوس ماعدا النجوم والفلسفة والطب فانه أمر بنقلها لليونانية وأحرق أصولها . ومن المعروف أن معلم الاسكندر هو أرسطو ثالث أجيال فلاسفة اليونان الكبار ، سقراط الذي كانت أمه قابله ، ثم أفلاطون صاحب المدينة الفاضلة ، ثم أرسطوطاليس .

وأما النبط (٤) فيدعون أن هرمس (٥) كان بينهم وأنه عرف منهم مبادئ الطب ، وأنه خرج الى مصر فبث فيها العلوم والصنائع وبناء الأهرام ، ثم انتقل الطب منها الى اليونان ( وذلك موافق للمفاهيم التاريخية السائدة الآن كما سيأتى ) .

(١) يعتقد أن اشتقاق كلمة ماجيك ( Magic ) وتعنى السحر باللاتينية من لفظ مجوس .

(٢) من أعيان أمراء مصر ، أخذ من ابن الهيثم وابن رضوان الطبيب (طبيب الحاكم بأمر الله الفاطمي - وقد ولد سنة ١٠٦٨ م - انظر هامش ص ٢٠ من ميون الأنباء - وكان دأبه المطالعة والكتابة واشتغل بالطب - انظر ترجمة الأمير أبي الوفاء في كتاب ميون الأنباء ص ٥٦٠

(٣) ٢٥٦ - ٢٢٣ ق م

(٤) قوم من العرب التجار .

(٥) الاسم اليوناني للحكيم المصري " توت " وهو لقب كفيهر مثلا . ويذكر المبرانيون أنه لخنوخ وأن جده آدم عليه السلام ، وبالعربية هو أدريس عليه السلام . وقد أنذر بالطوفان .



ثانيا : وثانى السبل لتعلم الطب هو المصادفة ( ويمكن التمثيل لذلك كما يقال من اكتشاف التأثير المنبه لمنقوع نبات الشاي ) والأفيسون ( وحتى اكتشاف تأثير فطر البنسليين القاتل للجراثيم منذ بضعه عقود من القرن الحالى ) .

ثالثا : المشاهدة والملاحظة ، كما نشطت العنرات حين أكلت من ثمار شجرة البن وأدرك ذلك راعيها باليمن ، ومن ذلك ماذكره جالينوس فى كتابه فى الحقن من فعل طائر أبى منجل ( المعروف بالقلق الأسود بمصر ) وهو من أكلة اللحوم وقدمه المصريون القدماء لأنه يهلك الحيات التى تغزو ضفاف النيل وكثرة اغتذائه من اللحم قد يحتبس بطنه لاجتماع الأغلاط الرديئة فيه فيذهب الى البحر فيأخذ بمنقاره الطويل من الماء فيدخله فى دهره بمساعدة فى ذلك منقه الطويل ، فيخرج بذلك الماء الأغلاط المحتبة . (١)

رابعا : التجربة والخطأ - وهى المحك الأول للملاحية فى أيامنا هذه فى كيمياء الأدوية وطرائق العلاج المختلفة . لذلك توجد حيوانات التجارب من فئران وقرود وحتى الانسان . وفى الجراحة مثلا انمما يتم التقدم بتجربة الفكرة النظرية . وبذلك أمكن زرع القلب والأوعية وغير ذلك . والحقيقة أن التقدم الطبى وغيره ، ليس مختصا بموضوع أو يقوم بالذات ، وكل قوم هم مصطلحون على أدوية وطرائق مما يتيسر لهم وبالفونها ويقتبسون من تجارب الأمم الأخرى فواشدهم . حتى اذا تدهورت الحضارة عند أمة لأسباب سماوية أو أرضية ، ظهرت فى مكان آخر، وهكذا الأيام . والظاهر أن عملية التطبيب قد صاحبت نشأة الانسان على الأرض قبل كثير من المهن والصناعات بل هى ضرورة للكائنات الحية ، فان الحيوانات والقرود تصاب بالشوكة أو الجرح أثناء تجوالها فتتقرحها وتلحق مكانها، وهى منذ البدء قتوالد وتسرفح مفارها وتتنواس ، ولاهد أن الأمهات والكبار فى الجانب الانسانى بالذات قد اكتسبوا معرفة ومهارات من التجارب والأخطاء والسنين ، فأصبحوا بعد حين يلجأ الناس اليهم يلتمسون النصيحة ويتطببون .

ويبدو أن التقدم الانسانى الفكرى والعلمى والاقتصادى والسياسى - وكلها أمور مترابطة كما سيتضح لنا - يعتمد على مواجهة الانسان للتحدى باصرار يحدوه الايمان بالحق أو الباطل ، ولا غرو فان الحاجة أم الاختراع . ان تقدم التفكير الانسانى بهبط ملحوظ عبر عشرات القرون الأولى ، ثم

---

(١) هذا من تنمة كلام ابن أبى أصيبعة - انظر صفحة ٢٥ من عيون الأنباء .

تتابع الخطوات الدالة على تطور القدرة على الاستنباط فى القرون الأخيرة ،  
ثم تلاحق الاكتشافات فى القرن العشرين بعد الميلاد . ثم كيف تتغير الصورة  
فى النصف الثانى من القرن الحالى الذى يقترب من تمامه - حتى ليعجز  
الكبار منا عن استيعاب التطور الكبير المستمر فى نماذج الأدوات والأدوية  
وجميع الطرائق المستحدثة فى جميع مناحى الحياة ، وبالذات ماكان منها  
متعلبا بصحة الانسان الجسدية والنفسية - وحتى أصبح الأطباء وعلماء الاجتماع  
وقد تحققوا تماما أن صحة المجتمع ككل لايمكن النهوض بها بحشد كبار الأطباء  
وبناء أقخم المستشفيات وتكديس أحدث الأجهزة وأغلى الأدوية - بل ان ذلك  
كله لاجدوى منه الا الضرر ، اذا لم يرتبط بتطوير الاعلام والتعليم والمفاهيم  
والقيم السائدة فى مجتمع ما - بحيث تتجه جميعا الى تحديث الانسان  
تدرجيا ليستطيع استيعاب التطور التكنى والافادة منه .

ان تسارع نبض الأيام بشكل مشير لانتباه ذوى الألباب - هو بذاته  
قد يكون علامة الحمى والهليلة والطعام عنب من تبهتهم المظاهر دون الجواهر  
والطباب . على مانبين بعد ان شاء الله .

## المبحث الثانى

### فترات القرون الأولى

منذ حدوث الطوفان فى أواخر عهد نوح عليه السلام ( الذى عاش ألف سنة  
الا خمسين عاما يدعو قومه فما آمن معه الا قليل ) ، وكان ذلك قبل قسرون  
متطاولة من ميلاد المسيح عليه السلام ، ثم محمد بن عبدالله عليه الصلاة  
والسلام بعده ستة قرون ونيف - تلکم كانت مهود الانبياء .

وهى كذلك مهود الفراعنة الاقدمين بأسراتهم الثلاثين ، وماتخللها من  
فترات حكم مصر فيها الهكسوس الرماه ، والليثيون والنوبيون والأشوريون،  
ومهود حضارات سومر والأكاديين والكلدانيين والفرس ، وحضارات الهندوالميين  
القديمتان ثم حضارة اليونان والرومان .

ترك الاقدمون لنا على جدران آثارهم وبقايا مدائنهم ومعابدهم نقوشا  
ثم كتابات - هى علامات تاريخية على امتداد خمسة آلاف سنة ونيف - وهى خمسة  
أسباع التاريخ الانسانى المعروف .

دخل العبريون الى مصر وخرجوا بعد أربعة قرون الى فلسطين وكنعان ، وسباهم  
البابليون . وتتابع موجات الهجرات العربية الى وادى الفرات والشام فالى  
الشمال ، وتداخلت معارف بنى الانسان .. سلما وحربا .  
وبالتقريب فان التراث المكتوب بالهيوغليفيه فى مصر وبالسمارية فى العراق  
قد انتقل عبر الأرامية الى اللاتينية حين قامت الحضارة الاغريقية فى اليونان  
ثم ورثها الرومان . أما التراث المكتوب باللغات الصينية والهندية فانتقل  
الى الفارسية - وبين هذه الحضارة وتلك تنافس وتداول وأيام .

كان الانسان القديم كالطفل خائفا وجائعا ، يتعلم رويدا ، ويتناول من  
الشجر أو من الصيد ما يفتتات به أو يستر به عورته ، وتدرجيا يعرف أن العسل  
البرى حلو المذاق ونافع فى بعض الأحيان وأن لسع النحل مؤلم قد يؤدى للتلورم  
والذى ، يخرج الشوك والحسك من جلده ويلحق مكانه ، ويضغط على مكان النزف  
فيوقفه أو يربط ما بينه وبين القلب فتكتب له الحياة .

كان يخاف من الرعد والبرق والسييل والوحش ، وكانت تصيبه الحمى ومختلف الامراض  
فيموت ثم لا يعود أبدا الى هذه الدنيا . كان يعرف منذ البدء أن له روحا ،  
وقد أعطى معرفة صحيحة بشئون الكون والحياة ، والخالق ، والآخرة على يد آدم أبى  
البشر.

ولما تناولت الأيام ، وتفرق أبناء آدم في الأرض ونسوا الدين الحق ، وغشيتهم الجهالات ، اخترعوا أساطير من النفس والروح ، واعتقدوا أن بعضها خير ، وبعضها شرير - وقد اكتشفت مؤخرا جماجم فيها آثار عمليات ثقب الجمجمة ( التربينسة ) وقد عاش أصحابها بعد ذلك كما تدل عليه آثار التثام العظام وربما كان ذلك لطرد الأرواح الشريرة أو لغير ذلك من أمور الطب والعلاج .

في هذه الأيام كان الطب والسحر شيئا واحدا . مختلطا بالتنجيم والكهانة يقوم به حكيم القرية أو القبيلة تحيط به هالة من الأساطير . ولقد تغنى هوميروس شاعر الاغريق ومؤلف الالياذه والأوديسا . تغنى بمصر الزاخرة بالعقاقير ، والأرض التي كل انسان فيها طبيب تفوق براعته براعة الناس . ووصف المؤرخ هيرودوت أبو التاريخ - مصر القديمة - بأنها بلد التخصص في الطب وأن كل طبيب فيها يعالج مرفأ . لا يتعداه . ويقول تيودور العقلي أن الحياة في مصر كانت من النظام حتى ل يبدو أن طبيبا أجراها على قواعد الصحة أكثر مما أجراها مشرع على سنن القانون . (١) وأصبح في زعمهم - الاله تسوت (٢) - نصير الأطباء عند قدماء المصريين ، وأصبحت ايزيس الالهة الشفاء ، وانتقلت عبادتها الى اليونان . ثم أصبح اسكولابيوس ( الاله الشصان ) ابن أبوللو ( آله الطب ) من زوجة انسانية - هو المختص بالشفاء من طريق كهنته في معابده بعد ذلك . ومثل هذه المعتقدات الاسطورية كانت أيضا في بابل والشام .

ورفع المصريون القدماء امحوتب ( حوالى سنة ٣٠٠٠ ق م . ) وهو طبيب ومهندس الملك زوسر باني هرم سقارة المدرج - الى مرتبة ( الاله الطب ) بزعمهم !! والظاهر أن تتابع النيل عاما بعد عام قد أتاح للمصريين انشاء مجتمعات مستقرة على ضفاف النيل ويسر لهم زراعة المحاصيل والبناء وأتاح ذلك الفرصة لظهور حكومة مركزية قوية يرأسها الفراعنة في وقت مبكر . كان كهان المعابد الفرعونية هم الأطباء والمهندسون أيضا - مثل امحوتب مثلا - وكانوا يخدمون الجراح ويجبرون الكسور في هذه المعابد ، ويأمرون الناس بإزالة شعر الجسم والاستحمام اليومي والحمية والصوم وينصحونهم بتعاطي شربة مسهلة كل شهر مرة . ويشجعون على الزواج المبكر ويحرمون الاجهاض ولحم الخنزير والبجعة - وكان الكهنة يحرمون على أنفسهم طعام الفول والبصل ، وقد عرفوا كثيرا من خواص الاعشاب وتمكنوا من عمل الامزجة والمراهم والسموم (٣) ومن عقائد المصريين

---

(١) قصة الطب تأليف جوزيف جارلاند - صفحة ٩ - طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٩م

(٢) يقلد انه نبي الله ادريس عليه السلام - وهو ايضا ما يسمى أوزيريس وهو تصحييف للفظه ادريس على ما يبدو .

(٣) راجع قصة الطب - برديات ادوين سميث المكتشفة سنة ١٨٦٢ م وطولها خمسة أمتار ، وبردية ايبروس المكتشفة سنة ١٨٧٢ م في طيبة .

القدماء ما لا يخلو من فائدة كالتحتمن مثلاً - وقد ثبت الآن أنه يقلل من نسبة الإصابة بسرطان الأعضاء التناسلية والتهابها في الذكور والإناث على السواء. ومنذ ذلك العهد القديم اُتُرن رسم الحية الملتوية بالطب والصيدلة رمزا إلى جهـد الإنسان لاستخراج الدواء ولو من أنياب الأفاعي .

وفي بلاد ما بين النهرين كانت شريعة حمورابي (١) الذي حكم أكثر من خمسين عاما موحدا بين بابل وأشور - فيها أول نص من فعل الطب عن الجراحة ، كذلك على توقيع الجراء على الجراح الذي يتسبب في الإضرار بالمريض باهماله . ومما جاء فيها " إذا أحدث الطبيب جراحة كبرى للمريض بمبفع من البرونز وانتهت بشفاء المريض فجزاؤه عشرة مثاقيل من الفضة ، وإذا أحدث ذلك أو هــطـط ورما في عين المريض ففقد بصره - قطعت يدا الطبيب (٢) .

حين استقر بنو الإنسان في حوض النيل والفرات ، وتتابعت مواسم الزراعة والحصاد وتمكن من تخزين الطعام من عام إلى عام . بدأ يجد وقتا ليتأمل النجوم وساعده على ذلك صفاء السماء - وكان أهل ما بين النهرين أكثر تعلقا بالطوائع مسن المصريين الذين اعتقدوا في السحر أكثر من التنجيم ، كذلك اعتقد المصريون أن الروح في القلسب والمخ . بينما ظن أهل العراق أن الكبـد هي سر الحياة . وبدأ المصريون صناعة صحائف البردى والكتابة عليها ، وسجلوا فيها علومهم وامل الينا بعضها سالما كبرديات سميث وإيبروس الطبية الشهيرة . واعتقدوا بالقيامة والحساب والجزاء في وقت مبكر - حين جاءهم نبى الله ادريس عليه السلام ، أوحىـن راودتهم اطياف أسلافهم ، ودفعهم ذلك للاحتفاظ بأحداث الموتى - ففتحوا الجثث واستخرجوا الأحشاء وبذلك عرفوا تشريح الجسم بدرجة لا بأس بها ، ومازال الخليـط الذى استخدموه في عملية التحنيط يعتبر جهدا طبيا بالفاحـد الروعة والاتقان، وكان للسحر فيه دورا - ولم يمكن معرفة طريقتهم حتى الآن .

طوال نيف وخمسين قرنا من الزمان ، لم يحفظ لنا التاريخ قوما يعينهم تنزلت عليهم كلمات الله وخرجوا عليهم لوابتلاهم الله سبحانه وتعالى بالعذاب مرارا وتكرارا ، وبالرحمة والأنبياء والرسل بالعشرات وبالمئات .. الا بنى اسرائيل . قدم أبوهم ابراهيم عبر الفرات إلى بادية الشام ( ومن ذلك تسميتهم بالعبريين ) ثم هاجروا إلى مصر في قحط أصاب المنطقة أيام يعقوب ويوسف عليهما السلام في عهد الهكسوس ١٦٨٠ - ١٥٨٠ ق م . الذين حكموا مصر في الاسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة - وجاءوا في النصوص الهيروغليفية باسم الرماة . وانتهت دولتهم في دلتا النيل بخروج منفتحاح اليهم أو أبوه رمسيس الثانى - منشع الدولة الامبراطورية الحديثة في التاريخ الفرعونى ) .

(١) حوالى سنة ٢٠٠٠ ق م .

(٢) قصة الطب ص ٢٤

وقعة قدوم اليهود الى مصر ، وخروجهم منها الى فلسطين ومكوثهم فيها ومملكة داود وسليمان . وانقسام المملكة الى اسرائيل في الشمال ويهوذا في الجنوب ثم سبيهم البابلي وعودتهم بعد سقوط بابل في يد الفرس الى فلسطين ، ولهمكثوا تحت حكم الرومان حتى عصر المسيح وبعده حتى بدوهم أباطرة الروم في الأرض - قصة مشهورة قد ورد منها في القرآن والتوراة وكثير من كتب التواريخ التي اعتنت بهذه الحقبة - فلا غرو ان تتجمع لديهم في ترحالهم واقامتهم بيسن أعرق الحضارات القديمة كثير من الفوائد - وهم كانوا يكتبون التوراة والتلمود بأيديهم ، ويتحكم في ذلك هوى الأحرار بما يوافق المصلحة في كل عصر من عصورهم . ويتوارثون ذلك كإبراهيم كبر - ومن ذلك الحكمة وأسرار الطب عند الأمم في العالم القديم حتى أدخلوها في كتبهم الدينية . (١)

ونعود الى الكهنة والأطباء في المعابد ، والعلاج يختلط ولا بد بالمراسم والتعابيد حتى تبلورت مدارس الحكمة في اليونان ، وكانوا وشنيين يعبدون تماثيل لآلهة أسطورية يتوهمونها ويعبدون الأباطرة وابطال الرفاة والحروب . فالحق عندهم يدور مع القوة والسيطرة - وظل ذلك كامنا في قرارة النفس الأوروبية والغربية حتى بعد المسيحية والى يومنا هذا .

وكما ذكرنا في الآثار المروية من الأسلاف أن أدريس ( أو أخنوخ أو هرمس أو أوزوريس ) هو أول من نظر في علم الطب ، ويقال انه علم اسقليبيوس من الشام أسرار الصناعة وتوارثها أولاده حتى الجيل الثامن عشر وهو أبو قراط - مقصورة عليهم أبا عن جد . فلما رأى أبو قراط أنها كادت تهيد أذاعها لسائر الناس ولم يقصرها في نسله .

## (٢) أبو قراط ومدرسة في الطب القديم

ولد في جزيرة كوس ( COS ) من جزر بحرايجه بعد هزيمة الفرس أمام اليونان في موقعة ماراثون ( سنة ٤٧٩ ق م ) . وهو الملقب بأبي الطب ، وقد ورث صناعة الطب عن أجداده . وكان أول من أعطى تفسيراً منطقياً للمرض بناء على نظرية اختلال الأخلاط الأربعة وهي التراب والماء والنار والهواء ، وهو أول من قرر أن المرض عارض طبيعي وليس من فعل الأرواح والشياطين ، وأن ظواهره ليست الا رد فعل لمقاومة الجسم له ، وان عمل الطبيب هو معاونته قوى الجسم الدفاعية . وبذلك كان أول من نظم التفكير الطبي كفرع خاص من الفلسفة والحكمة . وقد تحدث من ضرورة معرفة ( الكلتي ) أو الكل لمعرفة أجزاء الانسان والعضو المريض ، ونصح باختيار التلاميذ لمعرفة مدى استعدادهم لتحمل مشاق مهنة الطب نفسياً وجسدياً ، ونصحهم بالعناية بأنفسهم قائل ( ان من لا يستطيع العناية بنفسه لا يستطيع بالأحرى أن يعتنى بغيره ) .

---

(١) راجع كتاب التلمود لظفر الاسلام خان - طبعة بيروت - عن الاقسام الطبية في التلمود اليهودي .

(٢) ٤٦٠ - ٣٧٧ ق م

وكان أبوقراط معاصراً لافلاطون (١) وظلت نظرياته وطرائقه الطبية تسيطر على الصناعة أكثر من عشرين قرناً من الزمان بالرغم من وجود كثير من الأخطاء فيها ، وهو أول من دون صناعة الطب . وقد جمعت مؤلفاته وآماله التي كتبها تلاميذه أيضاً وضمنهم ولداه تسالوس ودراكو - فسي حوالى ستين كتاباً - كانت بالأسكندرية التي أنشأها الاسكندر الأكبر (٢) وازدهرت في عهد خلفائه البطالمة حتى أصبحت منارة العلوم في القرن الثالث قبل الميلاد .

وبالرغم من محاولة " أبوقراط " ثم تلميذ مدرسته أرسطو (٣) ( معلم الاسكندر الأكبر ) وكان أبوه طبيب الملك فيليب أبو الاسكندر المقدوني - جعل الطب علماً طبيعياً وابعاده عن الخرافات - فكان الانسان في جميع الأمم ظل يقرن الطب بالسحر والكهانة ، ومما يلاحظ أن بعض الأنبياء مثل ادريس عليه السلام الذي قيل أنه بعث الى أهل مصر فعلمهم الحساب والطب ، وعيسى عليه السلام الذي كانت معجزاته الكبرى تتمثل بالطب والشفاء واحياء الموتى - كانت معجزاتهم بالاضافة الى كلمات الوحي - محسوسة ملموسة للناس تتمثل بالصحة والشفاء .

من ناموس الطب وترتيبه لأبوقراط (٤) -

الطب أشرف الصنائع كلها ، ولا عيب لها الا جهل من يدعيها .  
ينبغي أن يكون المتعلم للطب في جنسه حراً ، وفي طبعه جيداً حديث السن معتدل القامة متناسب الأعضاء جيد الظهم حسن الحديث صحيح الرأي مفيداً غير محب للطفه ، شجاعاً مالم يملك لنفسه منعد الغضب . . وينبغي أن يكون خلق رأسه معتدلاً مستويّاً ولا يستقيم على قس أطراف يديه ولا يتركها تملو على أطراف أصابعه . . وينبغي أن تكون شيباه بيضاء نقية لينة ، ولا يكون في مشيه مستعجلاً ولا متباطئاً .

قسم أبوقراط : وهو المعروف باسمه حتى الآن ويعتبر ملزماً للأطباء -  
مدا مائراً من اباحة الاجهاض في بعض الأحيان في بعض دول العالم .  
ونصه (٥) :-

" أنى أقسم بالله رب الحياة والموت ، وواهب الصحة ، وخالق الشفاء وكل علاج . وأقسم بأولياء الله (٦) وأشهدهم جميعاً على أن

- 
- (١) ٤٢٩ - ٣٤٧ ق.م . وهو تلميذ سقراط وأستاذ أرسطو - حكماء اليونان الكبار .
  - (٢) ٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م . ولا مانع أن يكون هذا الجيل قد استفاد من التراث الفارسي الذي آل الى اليونان بعد انتصارهم على فارس كما جاء في مختار الحكم للأمير أبي الوفاء .
  - (٣) ٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م .
  - (٤) ص ٤٥ وما بعدها من عيون الانبياء .
  - (٥) نفس المصدر
  - (٦) ينبغي أن ينتبه الطبيب المسلم الى أنه لا يجوز في الاسلام القسم بغير الله تعالى .

أولى بهذه اليمين وهذا الشرط. وأرى أن المعلم لى هذه الصناعات بمنزلة أبائى وأواسيه فى معاشى ، وإذا احتاج الى مال واسيته وواصلته من مالى ، وأما الجنس المتناسل منه فأرى أنه مسئول لاهوتى ، وأعلمهم هذه الصناعة ان احتاجوا الى تعلمها بغير أجره ولا شرط . وأشرك أولادى وأولاد المعلم لى والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط أو حلفوا بالناموس الطبى - فى الوصايا والعلوم وسافسروا مالى الصناعة - وأما غير هؤلاء فلا أفعل به ذلك . وأقصد نفسى جميع التدابير بالدرطالتي منفعة المرفى ، وأما الأشياء التى تضر بهم وتهدى منهم بالجور عليهم فأمنع منها بحسب رأى . ولا أعطى إذا طلب منى دواء قتالا ولا أشير بمثل هذه المفقورة . وكذلك لأرى أن أدنى من النسوة فزجة <sup>(١)</sup> تسلط الجنين. وأحفظ نفسى نفسى تدبيرى وصناعتى على الزكاة والطهارة . ولا أثق أبدا بمن فى مشانته حجارة ولكن أترك ذلك لمن كانت حرفته هذا العمل. وكل المنازل التى أدخل اليها انما أدخلها لمنفعة المرفى ، وأنا بحال خارجة من كل جور وظلم وفساد ارادى مملود اليه فى سائر الأشياء ، وفى الجماسع للنساء والرجال الأحرار منهم والعبيد ، وأما الأشياء التى أهابينها فى أوقات علاج المرفى أو أسعها فى غير أوقات علاجهم فى تصريف الناس من الأشياء التى لا ينطق بها خارجا فأملك منها وأرى أن - أمثالها لا ينطق به . فمن أكمل هذا اليمين ولم يفسد شيئا كان له أن يكمل تدبيره وصناعته على أفضل الأحوال وأجملها ، وأن يحمده جميع الناس فيما يأتى من الزمان دائما . ومن تجاوز ذلك كان يفسده . "

كذلك نرى من هذا القسم والتعاليم وتراث فلاسفة اليونان فى القرون الخمسة الأخيرة قبل ميلاد المسيح ، أن سلطان العقل قد بدأ فى التغلب على الخرافة والوهم ، وبدأ الإنسان فى ربط الأسباب بالمسببات .

فقد لاحظ الأطباء مثلا علاقة حمى الملاريا بالبرك والمستنقعات التى يتوالسده فيها البعوض الناقل للمرض ، ولو أنهم ظنوا ذلك بسبب ربح الهواء العفن <sup>(٢)</sup> . ولذلك ردم الرومان المستنقعات ، ومددوا القنوات الى الحمامات العامة التى نقلوا فكرتها من المصريين ، وعرفوا تركيب الأسنان الاصطناعية ، الى غير ذلك من طرق الفحص والتشخيص والوقاية والعلاج .

واندمجت تراكمات الخبرة والتجارب الانسانية من الهند والصين وفارس ، ومن مصر والشام والجزيرة العربية ، وتبلورت المعارف وانتقلت بالترجمة والاختباس الى اللاتينية - وأصبح العلم مسطورا فى الألواح وعلى صحائف البردى بأيدي أساتذة فى أماكن معروفة يعلمونه للأجيال - بالقراءة والتجربة كما هو حتى الآن .

(١) تحاميل أو لبوسات .

(٢) MAL - ARIA



### المبحث الثالث

#### من قبل الميلاد الى معجزات المسيح وما بعدها

فى القرون الأخيرة قبل ميلاد المسيح عليه السلام - كان الانسان قد تقدم من البدائيه الأولى حين كان اعتماده فى الغذاء على الصيد والتقاط الثمار.. السى الزراعة واستئناس الحيوان ثم استخدامه فى الحمل والجر والحروب . وتطورت الأدوات فعرف المحراث والفأس وآلات رفع المياه كالشادوف والساقيه ، وكذلك السهم والقوس والرمح والدرع . ثم اخترع ابناء آدم العجلة ومن ثم العربيه ، والسفينه ذات المجاديف والشرع . وتعلموا البناء والغزل والنسيج ، واستخدموا المكاييل والموازين ، واستخرجوا الذهب والفضه والنحاس ، وصكوا العملة لتسهيل المعاملات والتجارة بينهم .

#### مدرسة الاسكندريه :

كانت الاسكندريه فى عهد الاغريق والبطالمة هى عاصمة العلوم فى العالم وقد استقرت فيها مجموعه ابوقراط الطبيه ، ونىغ فيها هيروفيليس وقام بتشريح جثث الموتى ، ومن أقواله " ان الحكيم هو الذى يعرف ما يمكن وما لا يمكن عمله " . وظلت الاسكندريه منارة للعلوم فى العصر الرومانى وحتى بعد ميلاد المسيح عليه السلام ، وقد تعلم فيها جالنيوس فى القرن الثانى الميلادى على طريقه " أبوقراط " - ثم رحل الى روما فعمل طبيباً لامبراطورها ماركوس أوريليوس - وظلت تعاليم جالنيوس تسيطر على الصناعة الطبيه حتى عصر ازدهار دولة الاسلام حين جاء علماء المسلمين فمحصوها . ومن أقوال جالنيوس " إن كثيرين هم أطباء بالاسم ولكن القليلين هم أطباء بالحقايه ولهموا فى الجراحه " . وهو أول من قال بالأمزجة الأربعة - الدم والبلغم والصفراء والسوداء .

#### مدرسة جنديسابور :

فى عهد آخر ملوك مصر من البطالمة " كليوباترا " (١) - غزاها قيصر الروم ( يوليوس قيصر ) واحترقت مكتبة الاسكندريه العظيمة ( قيل أنها كانت تحتوى على سبعمائة ألف كتاب ) واضمحت مدرستها الطبيه تدريجياً . وبعد أن نقل قسطنطين أول امبراطور رومانى اعتنق المسيحية عاصمة الامبراطورية من روما الى بيزنطة (٢) سنة ٣٣٠ - بعد الميلاد ، وتأسست على غرار مدرسة الاسكندريه - مدرسة للطب فى انطاكية بشمال

(١) ٤٧ - ٣٠ ق م .

(٢) القسطنطينية - اسطنبول حالياً .

**عصر المسيح عليه السلام :**

- (١) قال ببشرية المسيح في مجمع أفسس سنة ٤٣١ ق م.
- (٢) مدينة بالاهواز بناها الملك سابور وفيها تعلم الحارث بن كلده طبيب العرب قبل الاسلام وقد عاصر البعثة المحمدية .
- (٣) مقدمة حياة المسيح لعباس محمود العقاد
- (٤) القرآن والعلم تأليف أحمد محمود سليمان - دار العودة ببيروت سنة ٧٤ م الطبعة الثانية ص ١٢٩ .

وكانت الأدوية فى معظمها نباتية ، وظل الاعتقاد بالأرواح الشريرة كمسبب رئيسى للمرض سائدا - لذلك كانوا يصفون الأدوية الكريهة الطعم ويطلقون الدخان ويوقدون النيران حول المريض مستعينين أحيانا بالطبول والأصوات المرعجة لإخراج هذه الأرواح من جسده - وأحيانا كانوا يعملون على استرضائها باطعام المريض العسل وطلاء جسمه بالدهن والطيب وإطلاق البخور من حوله .

والحقيقة أن كثيرا من خواص النباتات فى صورتها الطبيعية كان معروفا لديهم ، ومن ذلك الليمون والبصل ، والشوم والحلبة والخلة والخشخاش الذى كان يستخدم فى تسكين الأوجاع منذ أقدم العصور . . وحتى الآن كثير من المواد الفعالة فى النباتات الطبية يتم فعلها وتمنيعها على هيئة أقراص وحقن وأمزجة وغير ذلك لتكون أسهل فى المعالجة والتناول . ومنذ البداية وحتى وقتنا هذا ينبغى اعتبار الشفاء من المرض نعمة الهية ونوعا من المعجزة . . ولولا قسوة القلوب التى باتت تعبد صنما تسميه " العلم الطبيعى " لكان لها فى أمراض كالشلل والبرص والجذام والسبهاق والعى والخرس والصمم والصرع والروماتيزم والجنون - وغير لك كثير وكثير مما يعجز عنه الأطباء بإمكاناتهم الحديثة وعلومهم المتقدمة . . عبره وتذكرة لأولى الألباب .

وحتى الأنفلونزا (١) مازالت تجتاح أوروبا وأمريكا وتقتل بمضاعفاتها الألفوف ، وكثير من الأمراض الجرثومية والحميات مازالت تحصد الناس فى عصر الذرة والغذاء والمضادات الحيوية والتخدير والجراحة الكبرى .

ولابد من الموت لكل مخلوق حى مهما كان ، وأحيانا يقترب الموت من الإنسان فلا تنتقذه منه إلا يد العناية الإلهية على يد زيد من الأطباء ، فيعتقد به ويثق بجدارته وعلمه ، فاما أن يذكره الطبيب حينئذ بفضل الله ورحمته بعدق ، فيؤمن المريض بما يؤمن به الطبيب - واما أن يكون هذا مغرورا فينتفش كأكثر المتعلمين اليوم لسان حالهم كفارون حين قال - " انما أوتيته على علم هندى " . (٢)

وفى عصر بعثة المسيح عليه السلام كان الإنسان قد بات يظن أنسه قد أصبح الها يحكم العالم من بلاط الامبراطورية الرومانية - وقد آل اليه طب الفراعنة وعلومهم ، وقد ذكرنا مدرسة الاسكندرية وبعضا من فلاسفة اليونان وأبو قراط والأسيين من اليهود فى فلسطين .

---

(١) تصنيف للتسمية العربية أنف العنزى التى تتميز برطوبتها الدائمة .

(٢) سورة القصص : ٢٨

كان اليهود فى تلك الآونة هم أهل الكتاب ، وقد آذاقهم الله سوء العذاب بما قدمت أيديهم وبما كانوا يكسبون. سباهم (بختنصر ) الى بابل - ثم أعادهم ( قورش ) ملك الفرس الذى أغوته اليهودية " أستير " ليعيدهم الى فلسطين تحت حمايته وأعاد (دارا) بناء بيت المقدس لهم ، ولم يلبثوا حتى أغار عليهم السوريون وارغموهم على دفع الضرائب لهم وذبح الخنازير فى مذابحهم - ثم حين استولى الرومان على فلسطين حوالى عام ٦٣ ق. م ذبحوا أحبارهم وأعملوا فيهم القتل . ثم أمر تيتوس امبراطور روما بعد الميلاد بحوالى سبعين عاما. أمر باحراق الهيكل وبيعهم مبيدا . ثم فى عهد هادريان سنة ١٣٥ ب. م أعمل فيهم القتل مرة أخرى وهدم أورشليم من أساسها وبنى عليها مدينة جديدة سماها ايلياكابيترولينا وحرم عليهم ولوجها وجعل جزءا من يدخلها منهم القتل. وظلت القدس تسمى ايلياء حتى الفتح الاسلامى .

فى ذلك الزمان كانت القوة والبطش هى وحدها ما يذمن له الانسان (حتى جاء ميلاد المسيح معجزة ظاهرة تبتهت الناس - فكذبوا مريم البتول واتهموها - فأنطقه الله سبحانه وتعالى ، وهو مازال فى المهد ثم بعثه الله اليهم فعاندوا بالكفر فجعل معجزات الشفاء على يديه ولم يتعلم فى مدرسة طبية أو جامعة وفعل ما كان وما يزال يعجز عنه كبار الأطباء حتى أحياء الموتى بآذن الله .

جاء الى بنى اسرائيل الذين يعبدون الذهب ، جاءهم بالزهد - وبهتهم بالمعجزات المادية المحسوسة الملموسة التى تلمس روح الانسان فتعجز عن انكساره الا جودا بالله وبقدرته سبحانه وتعالى .

ولو نظرنا الى ما ذكر فى القرآن عن معجزاته عليه السلام لوجدنا أنها لا يمكن اعتبارها الا معجزة الهية مثل احياء الميت ، ابراء الأكملة والأبرص ، والمضروع ، وهذه كلها تعتبر من أنواع الأمراض المزمنة المستعصية ، ورغم ذلك رفضه اليهود ، ولم يقبل الروم ماتبقى من تعاليمه الا بعد أكثر من ثلاثة قرون . كان العرب حينئذ قوما أميين يعبدون الأوثان ويتقربون اليها - والطب عندهم لا يتجاوز الحجامة والفصد والكي بالنار . لذلك ذهب الحارث بن كلده <sup>(١)</sup> طبيبهم المشهور الى جنديسابور حين أنتهى اليها علم الطب فى القرن السادس الميلادى ، وأصبحت لمستشفياتها المكانة الأولى فى العالم وفيه خلاصة علوم القرون الحالية .

---

(١) وخلفه ابنه النضر بن الحارث ، وكانت أمه خالة النضر صلى الله عليه وسلم ( ص ٥٥ الطب الاسلامى ) .

## المبحث الرابع

### شروق الاسلام وازدهار العلوم

جاء الاسلام بالحق المبين ، داعيا لترك الخرافة والوهم وابطال الباطل أينما كان وأول ما أنزل من القرآن على النبي الأمي صلى الله عليه وسلم - أول سورة العلق " اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم " .

في هذه الآيات الخمس - ذكر لفظ اقرأ مرتين ، ولفظ علم مرتين ، والقلم رمز العلم والكتابة ذكر مرة . ويأمر الله تعالى رسوله ذاته أن يدعو ربه قائلا " وقل رب زدني علما " (!) وكان صلى الله عليه وسلم نظيفا ناصعا ، بل جعل " النظافة من الايمان " ، وأوصى بالوقاية من الطاعون وهو ما تعرفه العالم الآن باسم الحجر الصحي للوقاية من الوباء . وأوصى بالتداوي ، وأوصى سائله باستعمال عسل النحل لوجع البطن وغير ذلك من الأحوال المرضية الكثيرة كما جاء عن العسل في محكم الكتاب " فيه شفاء للناس " (٢) وكذلك أثبتت التجارب العلمية والعملية أخيرا - وسنأتي على تفصيل ذلك في مباحث أدب السنة النبوية والطب في ديوان الاسلام الزاهرة ان شاء الله . (٣)

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، جاءت فترة الخلافة الراشدة ثلاثون عاما - فتحت فيها الشام ومصر والعراق والعجم ودخلت في أحضان دين الحق . وتولى بنو أمية بعد ذلك - وكانت المائة الأولى من أيام الاسلام عمور الدعوة والجهاد والفتح من الصين والهند شرقا الى طنجة والأندلس غربا .

لم يكن العرب المسلمون الفاتحون - لم يكونوا متخرجين من مدارس علمية ولكنهم لم تعوزهم البصيرة . وكما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم حين أطلق أسرى بدر .. نظير تعليم المسلمين القراءة والكتابة . كذلك كان أفراد الجند المسلمين يطلبون من الأسرى والمحاصرين .. الكتب بدلا من الذهب . وليس كما فعل الرومان من قبل حين أحرقوا مكتبة الاسكندرية ، أو كما فعل التتار فيما بعد في هجمتهم البربرية على العالم المتحضر حينذاك .. فأحرقوا بغداد الزاهرة ورددوا دجلة بالكتب والمجلدات .

لم يغفل بنو أمية أثناء أنشغالهم بتوطيد دعائم الدولة ، والجهاد وتحصين الشفور البعيدة - مع اهتمامهم بدرس القرآن الكريم وضبط اللغة لشرحه واستنباط أحكامه ، وتدوين الحديث الشريف مخافة اختلاطه بالموضوع وضياعه - لم يغفلوا فنون وآداب وعلوم البلدان المفتوحة ، ولكنهم تركوا مراكز العلوم في

(٣) انظر ص ( ١٢٦ ) من هذه الرسالة

(١) سورة طه : ١١٤

(٢) سورة النحل : ٦٩

أيدي أصحابها وأخذوا منها بحسب الحاجة ، وعملوا على استقطاب العلماء والمفكرين من كل دين وملة - ونذكر من هؤلاء ابن أثال (طبيب معاوية) السوري ، وعبدالله بن أبحر المصري وكان من أطباء مدرسة الاسكندرية التي كانت لاتزال تعمل بتدريس الفلسفة والطب<sup>(١)</sup> ) وقد أسلم على يد عمر بن عبدالعزيز حين كان أبوه واليا على مصر ، ثم اصطحبه معه حين تولى الخلافة في دمشق ، ثم تولى التدريس للطب بعدد فسي انطاكية حين انتقلت الفلسفة اليها ) ، ولكن .. عمر بن عبدالعزيز نفسه قد استخار الله أربعين يوما ليفع بين أيدي المسلمين كتابا في الطب نقله ماسرجويه مـسـنـ السريانية الى العربية ، ويتبين من ذلك كيف نظر المسلمون بحذر الى علوم البلدان المفتوحة حتى الطب الذي يفيدون منه في اصلاح أبدانهم ، وكيف استفرقهم الدين مما دونه من العلوم فنالوا به المجد والعزة .

أيام الأمويين - ترجم عبدالله بن المفلح كتاب كليله ودمنه وألف كتابا في الأمراض وقبل زوال دولتهم بهفج سنين نقل أول كتاب في الطبك عن اليونانية وأسمه " كتاب مرض مفتاح النجوم " منسوبا الى هرمس الحكيم .

ولئن لم يهتف المسلمون في العهد الأموي من التراث اليوناني أو الفارسي فقد تركوه وشأنه ، كما فعلوا بالمرائد والمكتبات والمستشفيات - يعلمه النصارى واليهود والصابئة والمجوس في مدارس الاسكندرية والرها وانطاكية وجنديسابور وكانوا يقتبسون منه كلما دعت الحاجة الى ذلك . (٢)

وانتقلت الخلافة الى العباسيين وعاصمتهم بغداد التي بناها المنصور . وانتقل الحكم الأموي الى الأندلس . وانشئت المكتبات الخمة في بغداد وقرطبة التي قيل أن مكتبتها كانت تحتوى على ربع مليون مخطوط مجلد . وهي شروة لاتوجد في مكان واحد في يومنا هذا مخطوطة .

وبدأت حركة الترجمة الكبرى للتراث الانساني كله من اللاتينية واليونانية والفارسية والسريانية والهندية .. الى اللغة العربية . وكان المترجمون يتقاضون وزن تراجهم ذهباً . وانشئ أول مصنع للورق في بغداد عام ٧٩٤ ميلادية بعد أقل من نصف قرن من الخلافة العباسية ( ٧٥٠ - ١٢٥٨ م ) . واتسع العمران فانشأ المنصور مدرسة للطب ، ثم شيد البيمارستان الكبير فسي بغداد على النمط الفارسي ، ثم أنشأ المأمون دار الحكمة وانشئ بيت الحكمة على قراره في الرقادة بتونس (٣) . وابتنيت المرائد وغير ذلك من المراكز العلمية . وتشبه الأمراء بالخلفاء في جميع ديار الاسلام فتهرموا وكفلوا جهود العلماء .

(١) الطب الاسلامي ص ٢٦٧

(٢) المستشرقون - المجلد الأول - الطبعة الرابعة - دار المعارف سنة ١٩٧٩ - صفحة ٧٢ وما بعدها يتصرف .

(٣) الطب الاسلامي ص ٢٦٨

وهكذا تزدهر الحضارة .. وحتى الآن .. وإلى الأبد - لابد أن يقف الباحثون على أعمال من سبقوهم ، ويبدأوا من حيث انتهى هؤلاء - ويدعم الحكام العلم والعلماء ليبنوا صرح الحضارة - وكذلك فعل المسلمون .

واستجاب لتشجيع المسلمين للترجمة والتصنيف والابداع أقوام منهم :-  
النعماني - السرياني ومن أشهرهم جرجس بن بختيشوع ( المتوفى سنة ٧٧١ م ) عميد أطباء جنديسابور ثم طبيب المنصور ، وقد اشتهرت أسرته في بغداد بالأطباء طووال قرنين ونعم من الزمان . وأبو يحيى بن البطريق ( المتوفى سنة ٨٠٦ م ) وهو ناقل أمهات كتب أبو قراط وجالنيوس - وابنه أبو زكريا مترجم كتاب سر الاسرار المنسوب لأرسطو . ويحيى بن ماسويه ( المتوفى سنة ٨٥٧ م ) ، دارس التشريح في أجسام القردة . وحنين بن اسحاق ( المتوفى سنة ٨٧٧ م ) رئيس مترجمي دار الحكمة . وابنه اسحق بن حنين ( توفي سنة ٩١٠ م ) .

المعاشبة - ومنهم جابر بن حيان ( المتوفى سنة ٧٦٥ ) وكان قد أسلم ويعد أشهر الكيمائيين المسلمين . وشابت بن قرة ( ٨٣٦ - ٩٠١ ) وابنه سنان بن شابت وحفيده ابراهيم وشابت .

الهنود - واشهرهم منكه وصالح بن دهن - وقد نقلنا مع غيرهما عن اللغة السنسكريتية أقدم موسوعتين في الطب لسوشترا وتاراكا - وكتبا في أمراض النساء والجراحة والسموم .

الفرس - أكثرهم عكف على التأليف أكثر من الترجمة - ومنهم سيبويه مؤلف قواعد النحو العربي - ومن الأطباء الرازي والطبري وابن سينا وغيرهم .

في الأندلس - أبدع العرب والمستعمربون والبربر واليهود والنماني - وازدهرت الثقافة حتى قال المستشرق " دوزي " ان كل انسان فيها تقريبا .. كان يحسن القراءة والكتابة - يوم خلت أوروبا حينذاك ممن يلم بذلك عدا الطبقة العليا من القساوسة . وفي الأندلس استوزر عبدالرحمن الناصر أول من تلقب بأمير المؤمنين في الأندلس ( ٩١٢ - ٩٦١ م ) ومن بعده ولده الحكم الثاني - استوزرا الطبيب اليهودي حسداى شبروط من عام ٩٤٥ الى ٩٧٠ - وهو معاصر لأبي القاسم الزهراوي أبي الجراحة . ومن أشتهر أيضا موسى بن ميمون ( المتوفى سنة ١٢٠٤ ) الذي احتل المقام الثاني بعد ابن رشد معاصره وألف بالعربية في الطب والفلسفة ، وقد هاجر الى مصر وعمل طبيبا لملاح الدين الأيوبي أيام الحروب الصليبية وعالج ريتشارد قلب الأسد (١) . وغيره من قادة الصليبيين .

لقد اتسعت حضارة المسلمين الزاهية لكل من يستطيع الاسهام في خدمة العلوم الانسانية في الطب وغيره ولم تفق بهؤلاء لمخالفتهم لها في الدين ، لأن المسلمين كانوا يفرقون بين - العلوم الدينية وهذه لا تؤخذ الا من مسلم صالح - والعلوم الدنيوية وهي ساحة مفتوحة لكل عباقرة الأمم ولهذا ازدهرت حضارة المسلمين في ظل دينهم العظيم .

---

(١) المستشرقون - الجزء الأول - باضافات وتنقيح من الطب الاسلامي وميون الأنباء .

المستشفيات - ابتكار اسلامى بحث (١) - بالمعنى المفهوم منها الآن ، تشرف عليها الدولة وتنفق عليها الأوقاف الخيرية ويديرها أطباء - وفيها أجنحة للنساء وأخرى للرجال وأقسام للأمراض الباطنية والجراحة والكسور والعيون والولادة - وعيادات خارجية - وصيدليات - ومكتبات - وقاعات للمحاضرات ، كل ذلك مجانا أيضا . وما يقال عن ابتكار المسيحيين الشرقيين لها إنما يقصد به ماكان ملحقا بالأديرة والكنائس من مبان أو عيادات علاجية وتعليمية فى نفس الوقت - فى الإسكندرية أو الرها ونصيبين وجنديسابور - فى طريق هجرة النساطرة من اضطهاد الارثوذكس قبل الاسلام . ولا تجوز مقارنة هذه بتلك لاشكلا ولا موضوعا . وظلست دور العلاج فى أوروبا ملحقا بالكنائس حتى مابعد الحروب الصليبية حين بدأت أوروبا فى نقل النمط الإسلامى للطب تعليميا وعلاجيا .

فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك (٢) - تم فى دمشق العاصمة إنشاء أول مستشفى قريب من المعنى المفهوم منه الآن ، وفى عهده انشئت مصحة خاصة للمجذومين وخص لهم مايفى بحاجتهم منعاً لانتشار العدوى - بينما فى أوروبا حتى بعد أكثر من ستة قرون كان يتم حرق المجذومين بقرار ملكى (٣) .

وتتابع بناء البيمارستانات فى ديار الاسلام وأوقف عليها الأمراء والأثرياء حتى بلغت أربعاً وثلاثين فى العصر العباسى الأول - وبلغت العناية بالصحة العامة حتى طلب على بن ميسى الوزير العباسى من سنان بن شابت تنظيم زيارات طبيبة للمساجين يقوم بها متخصصون (٤) . وتطورت حتى كان بها أقسام للحميات ، بسبل وأقسام خاصة بالناقهين - وكان فى بعضها مساكن خاصة بطلبة الطب .

ولم تكن تفرقة بين الناس بسبب اللون أو الجنس أو الدين أو الوضع الاجتماعى . وكانت المدارس الطبية تعرف باسم المستشفى الملحقة به أو بأسم الشيخ المعلم فيها . فمدرسة ابن ماسويه وحنين بن اسحاق فى بيت الحكمة ، ومدرسة احمد بن ابي الأشعث فى الموصل ومدرسة سعيد بن هبة الله وأبى الفرج الطيب فى "البيمارستان العفدى ببغداد ومدرسة مجد الدين سنجر فى المستنصرية . وأسس ابن جبير اثنتين فى دمشق أحدهما المستشفى الفورى ومايزال منها جزء قائما حتى الآن .

وأسس احمد بن طولون مستشفى بالقاهرة سنة ٢٩١ هـ ودعم صلاح الدين الأيوبي اثنتين أخريين بها (٥) .

---

(١) الطب الإسلامى ص ٥٣ .

(٢) عام ٨٨ هجرية .

(٣) ، (٤) الطب الإسلامى ص ٣٤ .

(٥) الطب الإسلامى ص ٢٨٣



## الطابع الموحد لديار الاسلام :

كان لامتداد الدين الاسلامى الى الهند والصين شرقا أثر كبير فى اتصال علوم هذه البلدان ذات الحفارات القديمة بقلب العالم النابض فى هذه الأيام . ديار الاسلام . وقد نمت الحضارة الاسلامية فى شتى الأمصار ولم يتم نقلها من الجزيرة العربية أو تراثها الجاهلى قبل الاسلام . شأن الحضارة الرومانية أو المسيحية الغربية اليوم التى تمتد جذورها مباشرة الى الحضارة اليونانية القديمة باعترافهم .

واستمرت عناصر الطابع الحضارى الموحد لديار الاسلام رغم الانقسام السياسى الى دويلات وامارات - الى يومنا هذا ، وأسهم فى انماشها العرب وغير العرب من مسلمين وغيرهم . ولم يكن ذلك فى أى وقت مرتبطا بقوة العرب السياسية أو العسكرية . وبالرغم من أن أقطارا عديدة من التى انتشر فيها الاسلام كانت لها حضارات قديمة ذات شأن كمصر وفارس وبابل - فإن الحضارة الاسلامية قد تمثلتها بطريقة فريدة ، مؤكدة بذلك وحدة المركب الحضارى " دار الاسلام " - رغم تنوع اللغات والسلالات العرقية والتراث التاريخى فى مختلف البلدان ، مثال ذلك ، أن انتقلت صناعة الورق من الصين الى بغداد وانشئ فيها مصنع للورق . وانتشر بها الوراقون وأصبح تناقل العلم أخف وطأة من ذى قبل حين كانت الكتابة على الحجر والرق أو حتى سيقان نباتات البردى - كذلك استحضرت من الهند النباتات ومستخلصاتها كالكافور والعنبر وجوز الطيب والقرنفل والقرفة والزنجبيل والصندل - وكان دكان العطار وهو صيدلى الأمس يحتوى على ذلك وتغلب عليه رائحة خشب الصندل لذلك سمي الصندلانى ومنه اشتقاق كلمة الصيدلية ، واستخدم المسلمون ماء الورد والزهر وروح النعناع والليمون والبرتقال لتحلية مذاق الأدوية ، ولم يكتفوا بصففة الخشخاش لتسكين الألم وإنما توصلوا الى صنع مزيج مخدر من الأفيون والزوان - والشيلم والسكران (١) كانوا ينقعون فيه الأسفنج ثم يجففونه وعند الحاجة لاجراء العمليات الجراحية يعيدون ترطيبه بالماء ويفعونه على أنف المريض ليستنشقه وعرف ذلك بالأسفنج المنوم .

---

(١) الطب الاسلامى ص ٨٥ - السكران HYOCYAMUS نبات مسكن مزيل للألم والمغص .  
الشوكران HAMOLOK نبات سام يستخدم للقتل .  
الزوان ZOAN مخدر ومزيل للألم  
اليبوج MANDRAKE بيض الجن أو تفاح الجن -  
مخدر ومزيل للألم

وقد أجرى ابو القاسم الزهراوى كثيرا من جراحاته تحت تأثير المخدر والقنب <sup>(١)</sup> الهندى ومازال ذلك النبات يستعمل فى مستشفيات الهند الى يومنا هذا لفتح شهية المرضى.

ولم يكتف المسلمون بإنشاء المستشفيات المركزية بالعواصم والمدن الكبرى، بل خرجت قوافل الأطباء على ظهور الابل حاملة الأدوية والأمتعة والخيام السى البوادي والقرى النائية ، حيث كانت تحط الرحال وتقيم أياما وأسابيع ريثما يتوفد عليها المرضى من كل لون وجنس ودين ، وكانت هذه المستشفيات المتنقلة تصاحب الجيوش ، وتنتقل لمكافحة الأوبئة وبذل العناية الطبية فى أوقات الجائحات الطبيعية . بينما فى المراكز الكبرى كان البحث والتأليف والتدريس جاريا على قدم وساق . حين كانت أوروبا غارقة فى الجهالة ، ومهنة الطب فيها يحترفها المشعوذون والدجالون عدا قليلا من رجال الكهنوت والراهبات اللاتى كن يقمن بتمريض وإطعام الفقراء ، ويقومون بعمل كاسات الهواء للمحمومين على غير أساس أو تفكير علمى ، اذ كانت الكنيسة تنظر الى الأمراض كلعنة الهية وكانت تدعو رعاياها لاستعداد الألم .

فى ذلك الوقت كانت معرفة الطب فى بلاد الاسلام تحتاج لدراسة تمتد الى عدة أعوام نظريا وتطبيقيا ، وتتخللها امتحانات عديدة ، ثم امتحان نهائى أمام كبار الأطباء لاجازتهم ، وكان الاختصاصيون يقومون بمفاجأة الصندلانيين القائلين على تحفيز الأدوية للتأكد من صلاحيتها ونظافة الأوانى والأجهزة المستخدمة لذلك .

فى هذه الأيام كان فى بغداد حوالى ستة آلاف دارس للطب وأكثر من ألف ممارس له <sup>(٢)</sup> وقد شمل التقدم الحضارى فى فنى الاسلام ومجهود ازدهار الدولة - جميع العلوم المعروفة حتى عهد قريب ، فاما هم قد ابتدعوها ابتداءا أو طوروها علماء الاسلام وبعثوا فيها الحياة . كالجبر والرياضيات وهم أول من أدخل الصفر فى العمليات الحسابية ، والطبيعة والهندسة والفلك والكيمياء والمعادن . مارسوا التجارب العلمية وابتدعوا التقطير والترشيح والتعميد واكتشفوا الزئبق وركبوا الماء الملكى المذيب لجميع المواد ، ودرسوا الصوت والصدى والضوء والانعكاس والانكسار ، وعرفوا أن الضوء يدخل الى العين من الجسم المرئى ولا يخرج منها اليه ، وعملوا على تحليل كثير من الأخطا السائلة وتركيبها .

كان العلماء يبحثون فى جميع فروع العلم حبا فى العلم لذاته وامتثالا لأمره تعالى " **وقل رب زدنى علما** " <sup>(٣)</sup> وقوله سبحانه " **انما يخشى الله من عباده العلماء** " <sup>(٤)</sup> وكما جاء فى الأثر عن نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم " **طلب العلم فريضة على كل مسلم** " . ولم يكن الهدف من وراء الدراسة هو

(١) الطب الاسلامى ص ٢٠٣ Cannabis Indica وهو المعروف باسم الحشيش .

(٢) الطب الاسلامى ص ٥٣

(٣) سورة طه ١١٤ (٤) سورة فاطر ٢٨

الحصول على شهادة أو منصب أو راتب كبير.

كانت الدراسة تبدأ منذ الصغر بحفظ كتاب الله ومعه القراءة والكتابة ثم تستهويهم الالهيات والمنطق والفلسفة والطب والصيدلة والكيمياء والفلك والشعر الى غير ذلك، وكان منهم عباقرة نذروا أنفسهم للتعلم في مجاهيل المعرفة بغية الوصول الى الحق والصواب . وكان التقدم في جميع العلوم عاثدا على الطب كما هو الحال دائما وحتى الآن ، نرى علوم الكهرباء والميكانيكا والكيمياء والذرة جنباً الى جنب في خدمة الطب كالتشريح وعلوم النبات والحيوان وغيرها . فالتقدم الحضارى تيار جارف لنهر عظيم روافده جميع العلوم والفنون والآداب .

كانت مدرسة الأزهر أول من زود أول جامعة أوروبية في صقلية بالمعارف الطبية والمؤلفات (١).

ونورد بعض ما جاء في سجل وقف " البيمارستان" المنصورى الذى أنشأه السلطان المنصور قلاوون عام ٦٨٢ هـ بالقاهرة للتدليل على ما بلغت الحضارة الانسانية فى ديار الاسلام حين كانت أوروبا ماتزال غارقة فى ظلام العصور الوسطى .

" ان هذا المستشفى قد أقيم لعلاج الملك . . والمملوك ، والكبير والصغير ، والحر والعبد " ، وقد ذكر الرحالة ابن بطوطة أن الواصف يعجز عن وصف محاسن ذلك المستشفى، فقد كان مقسما الى أربعة أقسام ، الحميات والرمم والجراحة والنساء - ولكل مريض فى احداها فرش كامل من التخوت والطراريح والمخدات واللحف والملاءات - وقد عيّن للبيمارستان الأطباء والصيادلة والخدم ، وزود بمطبخ كبير . وكان المريض اذا مابراً وخرج تلقى منحة خمس قطع ذهبية تعينه فى فترة النقاهة وكسوة أيضا. ورتب للمرضى الذين يلازمون منازلهم ما يلزمهم من الأدوية والأشربة والأغذية لعلاجهم فضلا عن يترددون على المستشفى فى العيادات الخارجية ويقدر عددهم بعدة مئات يوميا. وكانت ملحقة به مدرسة للطب ، وبه حديقة تزرع بها النباتات الطبية اللازمة لعمل المستخلصات والأمزجة ، والحقت به مكتبة كبيرة للمراجع الطبية حتى أنه كان لها ستة أمناء ، وكان به خمسون قارئا للقرآن يترتلونه على مسامع المرضى لتطمئن قلوبهم بذكر الله ، وطائفة من القصاصين ، وجماعة من عازفى الموسيقى لى ينال مرضى الأعصاب نوما هادئا . وأخبار هذا المستشفى الكبير يرويها المقريزى فى الخطوط والنويرى فى نهاية الأرب .

وماتزال هذه المستشفى قائمة حتى الآن بالقاهرة وتعتبر من أقدم المستشفيات فى العالم . ولما أحنى عليها الدهر تحولت الى مصح للأمراض العقلية - ومن يومئذ عرفت مستشفيات الأمراض العقلية باسم " الماريستان " ومازال ذلك الاسم ملما عليها بمصر حتى الآن . ثم حولته وزارة الأوقاف الى مستشفى قلاوون للرمم حاليا .

وفى ديار الاسلام رمدت الأوقاف لاقامة الحمامات العامة ، وثمة وقف قد رصد لترتيب من يتهامون وراء المريض بحيث يسمعهم وكأنهم لا يقدمون أن يسمعه وتسدور

---

(١) الطب الاسلامى ص ٦٩

بينهم الكلمات حول رأى الطبيب فى قرب برء المريض لتوحى الى نفسه بما يعزز العلاج ويعين على الشفاء ، كان شمة وقف فى دمشق لرعاية الحيوانات الهرمسة تلجأ اليه لتأكل فيه وتعيش حتى تموت .. وهذا غاية الرعاية حين تمتد الى الحيوان نفسه ، وغاية الشعور الانسانى السامى الذى بعثه دين الاسلام فى نفوس اتباعه وصدق الله تعالى اذ يقول لنبيه :

" وما أرسلناك الا رحمة للعالمين " (١)

## المبحث الخامس

### الفرق الوسطى

بعد سقوط روما وانحلالها فى القرن التاسع والعاشر الميلادى - كانت غرب أوروبا تتعرض لغارات الفايكنج المتوحشين ، ولم يكن فى القارة الأوروبية كلها من الشرق الى الغرب الا الأديرة والكنائس التى كان يمكن أن يوجد فيها من القساوسة من يعرف القراءة والكتابة ممن احتفظوا ببعض الكتب القديمة باللاتينية .

نشأت فى تلك الآونة بعض المدن ذوات الأسوار على النظام الاقطاعى الذى أثمرر امارات صغيرة متفرقة متنازعة . وكانت الزراعة والتعليم والصحة وجميع نواحي الحضارة الانسانية على درجة شديدة من التخلف . وظل الأمر كذلك حتى القرن الرابع عشر حتى وصل الأمر أن أصبحت القسطنطينية مقر الكنيسة الشرقية ، تكاد لاتتحكم الا فى ضواحيها . ولم يكن الامبراطور فيها مستطيعا الانفاق لامداد الحملات الصليبية المارة بها (١) .

ثم بدأت رحلات ( ماركو بولو ) البرية عبر ديار الاسلام الى الصين وما تركته فى نفوس الأوروبيين من شوق الى خيرات الشرق . ومن بعد ذلك رحلات ( فاسكو دى جاما ) حول أفريقيا ورأس الرجاء الصالح الى الهند ، ثم ( كريستوفر كولومبس ) من بعده . وهى محاولات لاكتشاف طريق بحرى الى الشرق لا يمر عبر ديار الاسلام . بعد أن فشلت الحروب الصليبية فى تثبيت مواطنها عبر الطريق الى الهند والصين - فى الشام ومصر (٢) .

عاد الصليبيون من الشرق الأوسط الاسلامى وقد تفتحت عيونهم على نسور الحضارة المزدهرة فى هذه العصور فى بغداد ودمشق والقاهرة ، وكانوا قد احتكوا بها وعرفوها فى قرطبة وطليلة فى الأندلس ، وفى جنوب فرنسا حيث وصل الفتح الاسلامى الى بواتييه ، وفى ايطاليا الى مشارف روما ، وفى صقلية وجزر المتوسط .

كان العائدون الى ( ساليرنو ) فى جنوب ايطاليا ، يحملون معهم بالاضافة الى مرارة الهزيمة .. بذور الحضارة وبأسمائها العربية فى أكثر الأحيان - وحين رأوا المستشفيات الكبيرة الراقية ، ومؤلفات العلماء من أمثال ابن سينا والرازى والزهرائى وابن رشد ، وقارنوا ذلك بالطب فى أوروبا الذى كان فى ذلك الوقت شعوزة وتجارة للمسموم ، وأدوية للحب - بدأت حركة الترجمة والاقتباس تتجه من الشرق الى الغرب . انشئت مدرسة (ساليرنو) الطبية

---

(١) القرآن والعلم ص ٨٣ ، ١٣٤

The Doubleday Pictorial Library of Health & Economics (Vol.9)p.344(٢)

وكانت الأولى من نوعها في أوروبا في أواخر القرن التاسع وازدهرت أيام الحروب الصليبية في القرن العاشر الى الثاني عشر الميلادي . وشيد دير (مونت كانينو) للعناية بالمرضى على الجبال المحيطة بساليرنو وكان رهبانه وثيقى الصلة بتلك المدرسة . وبعد ذلك تأسست مدرسة ( بولونيا) الطبية وتخرج منها ( تيودوريك ) الجراح الذى خالف جالنيوس بقوله ان تلوث الجروح غير نافع لالتئامها وقد عين اسقفا فيما بعد لمدينة سيرفيا ، وبعد ذلك مدرسة (بادوا) بايطاليا أيضا - ثم (مونبيليه) بفرنسا ومنها تخرج (بتروس هيسپانس) الذى كان طبيبا للبابا (جريجورى العاشر) ثم أصبح هو نفسه البابا يوحنا الحادى والعشرين فيما بعد (١) .

لولا فضل من الله ورحمة - لضاقت الحضارة الانسانية مع غروب شمس القرن الثالث عشر. لو لم تنحسر الهجمات الصليبية ، ثم ينكسر التتار فى عين جالوت ويرتدون من قلب العالم الاسلامى ، ثم يعتنقون الدين الحق من بعد ذلك ، ويصبحون حماة الجبهة الشرقية ، ويرتفع علم التوحيد بأيدى سلاطين آل عثمان الأشباسوس الذين أعادوا توحيد العالم الاسلامى تحتبه ، ويعود التوازن بدلا من أن تعم الفوضى ويسود المتبربرون بقوة السيف وحدها وتندثر الحضارة الانسانية .

تقاربت الكنيسة الشرقية والغربية وخصوصا بعد سقوط القسطنطينيه سنة ١٤٥٦ م - وبدأ دهب روح النهضة الأوروبية - وفى الأندلس توحدت امارتا فريديريك وايزابيلا بزواجهما - وتمكنا من اخراج المسلمين من اسبانيا نهائيا - ثم أمدا (خريستوفر كولمبس) بالمال اللازم لرحلته البحرية بحثا عن طريق الى الشرق فاكتشف أمريكا مصادفة سنة ١٤٩٢ . ويرى بعض المؤرخين الغربيين أن استعادة الأندلس واكتشاف أمريكا كانا نتيجة مباشرة لسقوط بيزنطسه (٢) . ثم خرج مارتن لوتر على الكنيسة سنة ١٥١٧ وأنكر صكوك الغفران . وبدأت ارهاصات النهضة . فبعد جامعة باليرمو عاصمة صقلية تحت الحكم الاسلامى وساليرنو محطة الحملات الصليبية فى الجنسوب الايطالى ثم نابولى وبادوا وبولونا ثم مونبيليه وباريس وبعدها أكسفورد وكامبريدج تتابعت المدارس الطبية والجامعات فى أوروبا . معتمدة كليا على المؤلفات الاسلامية باللغة العربية التى ترجمت الى اللاتينية بدءا بالطبيب قسطنطين التونسى ( الافريقى ) فى القرن الحادى والثانى عشر. فى حين بدأ الجمود ثم التدهور فى الشرق - بعد أن ثقل العثمانيون عاصمة الخلافة الى الأستانة فى أقصى الشمال الغربى لدير الاسلام حينئذ ونقلوا اليها المكتبات واستقطبوا العلماء والصناع المهرة - ومن بعد ذلك بدأت الحركة النشطة فى كافة ديار المسلمين فى الهبوط ثم الازمحلال وتدرجيا انتقلت الحضارة الى الغرب وانحسرت من الشرق .

---

(١) راجع قصة الطب من صفحة ٧٢ الى ٧٤ ، وكذلك دائرة المعارف البريطانية باب

تاريخ الطب تحت medicine من صفحة ٨٢٣ الى ٨٥٢ .

(٢) قصة الطب ص ٨١ .

كان الطلاب الدارسين للطب فى باريس يتحلقون حول اساتذتهم على الأرض - وكذلك درس فيها الراهب ( روجر بيكون ) ، وبدأ (موندسيوس)فى تشريح الجسد الأدمى فى القرن الرابع عشر مخالفا بذلك تعاليم الكنيسة ، وكان (ليونارد دافنشى)النحات والرسام المشهور ممن ساهموا فى تطور التشريح الظاهرى لدراسة الجسم البشرى وكذلك كان (نيكولاس كوبرنيكس) طبيبا ولكنه اتجه الى الفلك . ثم فى أواسط القرن السادس عشر قام (اندرياس فيساليوس)البلجيكي سليل الأطباء الذى درس فى مونبيليه فرفض تعاليم جالنيوس البدائية عن التشريح وألف فيه كتابا يعد أساس ذلك العلم حتى الآن . وتبعه تلميذه (فالوبيوس ) - وحتى اكتشاف"وليم هارفى"الدورة الدموية فى القرن السابع عشر . وانتقلت ملكية المستشفيات التى بناها فرسان القديس يوحنا<sup>(١)</sup> فى طريق الصليبيين الى القدس فى جزر رودس ومالطه الى المدنيين من الرهبان .

كانت النهضة الأوروبية لمحاولة احياء الحضارة الهلينية فى مواجهة الحضارة الاسلامية التى لم تستطع الصليبية اخضاعها بالقوة ، وكانت تعبيراً عن فشل المفاهيم البلدية المتحجرة التى فرضتها الكنيسة طوال العصور الوسطى بالارهاب والتسلط ، وكانت شوقا عارما للتعلم واكتشاف الافاق الرحبة التى سبق المسلمون الى ارتيادها فى الجغرافيا والرياضيات والعلوم جميعا ومنها الطب فى المقدمة . ولكن .. ظل التقدم بطيئا نظرا لجمود الكنيسة - فقد كان الرهبان يستعدون القذارة ويعدون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح - ولذلك كانت النظافة نسيا منسيا فى الحمامات العامة والمستشفيات المكتظة التى كانت كل أنواع العلاجات تمارس فيها جنباً الى جنب - وظلت الأعشاب والأمزجة السحرية والتعاويذ تسود العلاج وظل المنجمون يقفون الى جوار القابلات للتنبؤ بطلع المواليده .

فى ذلك العمر اضهدت محاكم التفتيش الطبيب ( جاليليو ) الذى اخترع العدسة المقربة ( التليسكوب ) وقال بكروية الأرض ووجه الاهتمام الى القياس الدقيق والمعايرة فى العلوم والطب بدلا من الحدس والتخمين ، وهو الذى طور المجهر ( الميكروسكوب ) الذى أدى لاكتشاف عالم الاحياء الدقيقة وكان أهم انجاز فى القرن التاسع عشر . وأحرقت محاكم التفتيش ( جيوردانو برونو ) الذى قال بوجود عوالم أخرى ، كذلك أحرق حيا ( يالدو كولومبو ) استاذ التشريح بجامعة بادوا حين أعلن اكتشافه للأوعية الدموية بين القلب والرئتين . ( وقد قال بذلك ابن النفيس قبل عدة قرون<sup>(٢)</sup> ، وغير هؤلاء كثيرين ممن عذبتهم وأحرقتهم الكنيسة فى كل أنحاء أوروبا .

---

(١) فرسان سان جون الملقبون ببنائة المستشفيات - راجع قصة الطب ص ٨٩ .

(٢) قصة الطب ص ٨٨ - ١٠٠

كانت الكراهية والحقد والاحتقار لكل ما هو عربى وشرقى وبالحقيقة —  
اسلامى — ضمن المفاهيم التى عملت العليبية على تأصيلها فى نفوس الفرنجة  
ابان عصر النهضة الذى أعقب الحروب العليبية ، وكان دأب قساوسة بيزنطة بعد  
فتحها على يد محمد الثانى ( الفاتح ) العثمانى — تذكير شعوب شرق أوروبا بأنهم  
كانوا يباعون كجوار بيض فى البلدان الشرقية ، ومازال اسم السلافيين علمًا  
عليهم الى اليوم <sup>(١)</sup> ، وكذلك عملت الكنيسة على تأليب السودانين والأفارقة  
على الاسلام باشارة هذه النقطة بالذات ضد العرب والمسلمين — متناسية اعتقادها  
التفرقة العنصرية التى لم تعرفها ديار الاسلام قديما ولا حديثا . ومتناسية ما فعله  
اتباعها من البيفرحين اختطفوا واغتصبوا آلاف مؤلفة من هؤلاء السود وشحنوهم  
فى السفن كالدواب ليباعوا فى أوروبا وأمريكا بالذات وليصبحوا مبيدا فى  
الحقول والمزارع وأدوات عمل فى المصانع . الخ . ولا تزال آثارهم وبقيائهم  
وأبنائهم وقضيتهم وصمة عار فى جبين الحضارة المادية خاصة فى بلدان زعيمتها  
( أمريكا ) .

فى أوائل القرن السادس عشر كان ( باراسيلسوس ) الكيميائى السويسرى  
ابن الطبيب يطوف أوروبا داعيا للتنوير ويحرق كتب ابن سينا وجالينوس تخلصا  
من الطب القديم جميعا . وبدأت فى الفترة بين القرن الرابع عشر والسابع عشر  
تجمعات اصحاب الصناعات الوليدة مع أصحاب الاقطاعات لتمويل الاساطيل التجارية  
والرحلات البحرية الطويلة عبر المحيطات وحول القارات . مما دفع لتطوير طرق  
تخزين وحفظ الغذاء للبحارة — وبدأ التخمس وخطوط الانتاج ، وكان اختراع آلة  
الطباعة بواسطة ( جوتنبرج ) الالمانى سنة ١٤٥٠ بشيرا بفتح باب المعرفة  
وانتشار التعليم فى أوروبا وبدأ عصر التنوير .

وفى القرنين التاليين بدأ استخدام وقود الفحم واخترعت القاطرة والآليات  
البخارية وآلات النسيج وبدأ التعدين وصناعة العلب ، وتحسنت أساليب الزراعة  
وتدجين السلاات — وتدفع الفلاحون الى أطراف المدن ليجدوا عملا فى المصانع  
الجديدة — ولكن العبيد ظلوا يمثلون القوة المحركة الاولى فى أوروبا وأمريكا  
حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر حتى حلت الآلات محلهم تدريجيا ومن ثم  
أخذوا يعملون فى المصانع بالأجر الضئيل بعد اعتاقهم .

وتدفع الذهب من الاراضى المكتشفة فى استراليا وأفريقيا وأمريكا — على  
أوروبا — وأصبحت تستورد الغذاء الرخيص والمواد الخام — وتصدر المواد المصنوعة  
الى المستعمرات . ولكن تفضحت المدن الصناعية واكتظت مع ظروف معيشية سيئة  
وتأخر فى مفاهيم الصحة العامة وامدادات المياه والصرف الصحى ، لذلك كانت

---

(١) السلاف = SLAVE = عبد .



الأوبئة كالطاعون والجدرى والكوليرا تحصد الناس ، وتؤثر سلبيا على الاقتصاد المزدهر المتنامي ، لذلك بدأ العمل لتطوير علم الصحة العامة . وبدأ نظام الحجر الصحي ، وإنشاء المستشفيات العامة . بعد أن كانت المعالجة مقصورة على دور استشفاء بدائية تابعة للكنيسة . وبدأت الكنيسة فى ادخال العلوم الحديثة الى مدارسها وشارك القسيسون فى الحركة العلمية نذكر منهم فى الكيمياء والطبيعة ( بريستلى ) و ( ميسمر )<sup>(١)</sup> ومن مشاهير روجر بيكون وهو من أوائل الداعين الى ماسمى فيما بعد بالاستشراق والتبشير وهما عنوان للاستعمار كما سيأتى ذكره .

فى تلك الحقبة كان علماء الدين الاسلامى فى تركيا قد أغلقوا باب الاجتهاد واكتفوا بتحكيم المذهب الحنفى . وكانت بين العثمانية والدولة الصفوية الشيعية فى ايران ، ثم المغولة التيمورية فى الهند وما بعدها من ديار المسلمين - مساجلات واحتكاك ، ونظرا للشكوك العميقة والعداء بين العثمانية حاملة لواء التوحيد فى القرون الأخيرة وأوروبا الصليبية - فقد ظلت البلاد الاسلامية قرونا مترددة فى الأخذ بمعطيات الاكتشافات العلمية فى الغرب وخصوصا البلدان البعيدة عن قلب العالم الاسلامى ، وسرعان ما تساقطت فى أيدي الأمم الأوروبية بالقوة أو بالخدعة والالتفاف ، كما تسلل المبشرون فى ظل الحماية والامتيازات الأجنبية بإنشاء المدارس والمستوصفات وبدأت تتصيد الناس وقد تاهوا فى معرفة مغاليق علوم الكلام ، والأسفار الملفومة بالحواشى والتعليقات، واخذ المبشرون فى اغراء النشء بوسائل الايفاح والمطبوعات الأنيقة والرياضة والموسيقى وغير ذلك - ويستقطبون أهل الدمة الشرقيين للاستفادة من العلوم الحديثة وبالتالي أمكنهم تقلد المناصب والمهن الحساسة - وبدأ النخر الداخلى فى بلاد المسلمين بعد أن فشل الغزو العسكرى فى الحروب الصليبية - منتهزين فرصة التأخر وتهافت الباعث الروحى عند المسلمين .

---

(١) كتاب لغة التغلب على الألف من ٢٥ ، ٢٥

## المبحث السادس

### الحياة المعاصرة وسبل المعلومات

منذ بدأ استخدام آلة الطباعة فى القرن السادس عشر ، ثم تطوّر وسائل النقل باستخدام وقود الفحم ثم البترول والكهرباء ، ثم اكتشاف استخدام الموجات الكهرومغناطيسية فى الاتصال عن بعد بين بنى الانسان أخيرا . ازدادت تبعا لذلك أعداد المتعلمين ، وانتشرت الثقافة فى أوروبا حين كانت ثروة العالم القديم بالاستعمار ، والجديد بالوصاية - تصب هناك . وكانت أوروبا تصدر للعالم كلبه الأفكار الجديدة وعلى رأسها فصل الدين عن الدولة والعلمانية ، جنبا الى جنب مع المنتجات الصناعية المبنية على المكتشفات الحديثة المتتابعة .

ومنذ بداية القرن التاسع عشر وحتى أيامنا هذه فى نهاية القرن العشرين . كان رسم صورة دقيقة للتقدم الحضارى يزداد صعوبة نظرا لازدهار الأحداث وترادها .

فى الطب تجاوزت الدراسة علوم النبات والكيمياء الى التشريح ووظائف الأعضاء ، وانشئت كليات الطب الحديثة فى ادنبره فى القرن الثامن عشر ، وأصبحت دراسته مختبرية سريرية تطبيقية ، وتقهقرت النظريات الفلسفية المنطقية ، وقامت جمعية الأطباء الملكية بلندن فى أوائل القرن التاسع عشر ، على انقراض جمعية الحلاقين الجراحين سابقا . وكان تشريح الجسد الانسانى قد أصبح روتينيا ، وبفضل المجهر الذى تطور من العدسة والمرآة العاكسة ، وكانت قوة التكبير فيه أولا تصل الى أربعين مرة . أصبحت الآن بحيث يمكن تكبير الجزيئات الى مئات الآلاف من حجمها الأصلى ، وتصويرها أيضا . وبذلك أمكن دراسة الأعضاء ثم الأنسجة ثم الخلايا ، وتحقق الانسان أن هذه هى مكونات الجسد الحى وهى التى يصيبها المرض بالعطب . وبذلك ماتت نظرية اختلال الأخلاط القديمة نهائيا .

وبعد اكتشاف الكهرباء فى القرن الماضى بدأت دراسة تأثيرها وقياس نبضاتها وتطور بذلك علم وظائف الأعضاء ، وكذلك بضبط المقاييس والموازين ، وتجربة تأثير المواد الكيماوية على الأنسجة والخلايا فى الحيوانات وعلى الجهاز العصبى . واكتشف منظار قاع العين وساعة الأذن وجهاز قياس ضغط الدم .. وغير ذلك كثير وأصبح العلم التجريبي هو سيد الموقف .

كان التحقق من وجود الجراثيم وأنها سبب التعفن والتقيح - هو القول الفصل بين الطب القديم والحديث الذى بات يعتقد أن لكل شئ سببا يمكن البحث عنه ورؤيته بالمجهر ، حتى كانت هذه الفكرة تغطى على أسباب أخرى لأمراض كثيرة .

واشتهر (لويس باستير) <sup>(١)</sup> الكيميائى الفرنسى على انه أول مكتشف للجراثيم ، حين اكتشف الجراثيم التى سببت بوار محصول النبيذ فى مقاطعة ( جورا ) مسقط رأسه وحولته الى خل ، فأوصى بتسخين النبيذ الجيد الى درجة حرارة ستين مئوية <sup>(٢)</sup> لقتل الخمائر - وهكذا عرفت البسترة . وأمكنه استنبات جراثيم الجمرة الخبيثة حين تفشى وباءها فى المراعى الفرنسية ، وأقام الدليل على أنها سبب العدوى فى الحيوان والانسان والنبات أيضا ، وكذلك حين تهددت صناعة الحرير فى فرنسا أنقذها بسلالة خالية من البواء الذى أباد دودة القز فى أوروبا .

وأمكنه عمل أول لقاح للجمرة الخبيثة فى الأغنام ، وضع المصل لمرض الكلب القاتل <sup>(٣)</sup> .

واستفاد معاصره الجراح الانجليزى ( جوزيف ليستر ) <sup>(٤)</sup> من اكتشاف الجراثيم فاستخدم بخاخا لحامى الفئيك فى غرفة العمليات بهدف تعقيمها بقتل الجراثيم المعلقة فى الجو ، ولكنه لم ينتبه الى أن الأتربة والملاهيى هى أيضا من حاملات الجراثيم ، وظل ذلك البخاخ يستعمل عشرين عاما فى مسير العمل ، حتى بدأ أطباء النساء فى النمسا فى تطهير كل ما يستخدم فيها بها فى ذلك القابلات وطلبة الطب .

بعد ذلك اكتشف ( روبرت كوخ ) طبيب الفرية الألمانى ميكروب السل ، ثم رأى جرثومة الكوليرا تحت المجهر حين كان يعمل بالاسكندرية ، وابتدع طريقة لزراعة وصباغة الجراثيم للتمييز بين سلالاتها . وتوالت أنباء الاكتشافات فى أمراض الكليتين والجهاز العصبى وتقدمت مفاهيم المصحة العامة - وأصبح التسجيل والاحصاء الطبى مادة للبحث والتقدم .

كان الطلبة الأمريكيون يسافرون عبر المحيط للدراسة فى فيينا وباريس وادنبره . حيث تأسست أول مدرسة للطب فى أمريكا فى بنسلفانيا عاصمة ولايسسة فيلادلفيا سنة ١٧٦٥ أوأخر القرن الثامن عشر . وتتابعت مدارس الطب الأمريكيسة فى القرن التاسع عشر وبدأت تثمر نتائج الأبحاث فيها فى القرن الحالى العشرين ، القرن الأمريكى .

التطهير <sup>(٤)</sup> : كان أعظم اكتشاف فى تاريخ الطب الحديث ، بعد اكتشاف

الجراثيم ، ومنذ أيام حمورابى حكيم بابل الذى كان يجرى الجراحات بنفسه كما يقال ، وقدماء الهنود الذين اعتبروا الطبيب الذى لايجيد استخدام المبفع كالطير

(١) ١٨٢٢ - ١٨٩٥ ورفعته الكنيسة بعد وفاته الى مرتبة قديس عرف باسم باستير الطبيب

(٢) قعة الطب - جوزيف جارلاند ص ١٧٢ - ١٨٥ ، كذلك دائرة المعارف البريطانية .

(٣) سنة ١٨٦٥ - وكان ليستر أول طبيب ينعم عليه بلقب لورد فى مجلس اللوردات البريطانى .

(٤) راجع كتاب قعة التطب على الألم - دار العلم للملايين - بيروت .

(٥) الجمرة الخبيثة ( ANTHRAX ) جرثومة تتحول وتبقى فى الرماد عشرات السنين ، وتنتج تقرحات كبيرة بالجلد ولوأصاب الرئتين كانت قاتلة على الأغلب ، لذلك تعدم جثث الحيوانات المصابة بالحرق ودفن المخلفات .

ذى الجناح الواحد ، وفى الصين قيل أن أول امبراطور لها كان جراحا فى نفس الوقت .

كانت جذور نبات سراج القطرب وبذور الخشخاش والقنب الهندى وأوراق نبات الكوكا - تستخدم وغيرها كما ذكرنا فى المزيج الذى ابتدعه العرب وغمسوا فيه الاسفنج المنوم - لتخدير المرضى قبل اجراء الجراحات - وكثيرا ما كانت الجرعات تزيد حتى تقتل او تنقص حتى يموت المريض الجريح من الألم الهائل .

قدرا اكتشف ( براسيليوس ) أثناء مزجه الكحول بحامض الكبريتيك - خاصية الاثير الناتج من التفاعل فى تسكين نوبات الربو الشعبى ، ثم اكتشف ( فاراداي ) الذى عرف بتجاربه فى الكهرومغناطيسية خواص الاثير المنوم - وماكادت أخبار ذلك تزداد حتى انتشر استعماله بين الشباب فى أمريكا واجتاحتها ولائم الاثير ليصابوا بنوم من الخدر والسكر كما ينتشر بينهم الآن استعمال الماريجوانا وأنواع المخدرات الطبيعية والكيميائية .

واستخدم الاثير فى التخدير الطبى للجراحة فى بوسطن عاصمة ولاية "ماساشوستس" فى تجربة علنية أمام عدد من الأطباء سنة ١٨٤٦ . وكذلك كان اكتشاف غاز ثانى اكسيد النيترون قدريا على يد القسيس الانجليزى ( جوزيف بريستلى ) الذى سماه الغاز المضحك واستخدم منذ سنة ١٨٦٨ ومازال من أكثر أسلحة اطباء التخدير فعالية وأمانا الى الآن .

وتردد الجراحون فى استخدام عقاقير التخدير الجديدة لأن بعضها - ( كالكلورفورم )<sup>(١)</sup> الذى اكتشفه (د.سيمسون) سنة ١٨٤٧ وجربه على نفسه وأسرته ثم استخدمه لتخدير الملكة فيكتوريا أثناء ولادتها لطفلها الثامن سنة ١٨٥٣ - ومنعت بعدها لقب ( سير ) وانتخب رئيسا للجمعية الطبية الملكية فى ادنبره - وقامت قيامة الكنيسة عليه لاعتقادها بأن الألم عقاب الهى للمرأة استنادا لما جاء فى التوراه من خطاب لحواء " بالأوجاع تلدين " ، ولأن حوادث الوفاة الناتجة من التسمم لتحلل الكلورفورم لمواد قاتلة أو لزيادة جرعة التخدير - ولأن كبرياء بعض الجراحين منعتهم من استخدام الطرق الجديدة للتخدير والتخدير - لذلك فقد ظلت التقاليد البالية تسيطر على الجراحة ، حتى صممت الأجهزة الحديثة لمزج الأبخرة المخدرة والغازات بالأكسجين . وتقدمت أبحاث التخدير فى السنوات الأخيرة حتى أصبح بالامكان تخدير أى انسان من حديث الولادة حتى عمر مائة عام أو يزيد واجراء الجراحة الكبيرة فى أعماق جسده لبضع ساعات ثم افاقته بعد ذلك . ولم تطوى صفحة الاثير والكلورفورم الا منذ فترة وجيزة بعد أن ابتدعت أدوية أنجع وأكثر أمانا .

---

(١) من أكثر غازات التخدير فعالية - أبطل استعماله - لتأثيره الضار على الكبد وتحلله الى عناصر سامه .

التمريض :- هو مهنة انسانية قديمة كان يقوم بها الرجال والنساء على سوا ، وقد كانت النساء يخرجن مع النبی صلی اللہ علیہ وسلم لمداواة الجرحى فى الحروب ، وقد أقيمت فى غزوة الأحزاب ( السنة الخامسة من الهجرة ) خيمـة فى المسجد للتمريض وكانت تشرف علیہا صحابیة مسلمة اسمها " رفيدة " وكان يعالج فیہا سعد بن معاذ رضی اللہ عنہ .

ولكن التمريض من حيث هو مهنة منظمة لم ينشأ الا حديثا فقد كان يعتمد على المتسولات والخادمت اللاتي كن تخيرهن شرطة نيو يورك بين العمل فيه أو السجن - حتى ظهرت (فلورنس نايتنجيل) رئيسة فرقة التمريض النسائية الانجليزية فى حرب القرم<sup>(١)</sup> ، ولدت لابوين انجليزيين فى فلورنسا بايطاليا وحين عادت من الحرب قامت بحملة لجمع التبرعات لتأسيس أول مدرسة نظامية للتمريض الحقت بمستشفى ( سان توماس ) ، وتبعتهـا أول مدرسة للممرضات فى مستشفى ( نيو انجلند ) للنساء والأطفال سنة ١٨٧١ وانشئ الصليب الأحمر الدولى سنة ١٨٧٣، وأول مدرسة للممرضات فى ديار الاسلام تابعة للقصر العيني بمصر أوائل القرن العشرين<sup>(٢)</sup> .

تطور الاكتشافات : فى أواخر القرن الماضى أيضا ، ومن خلال المجهر تم اكتشاف الدودة الناقلة لمرض الفيل ، وطفيلي حمى الملاريا ثم البعوضة الناقلة له ثم تلك الناقلة للحمى الصفراء - وبدأت مقاومة الحشرات بالكيماويات ولولا ذلك ما أمكن حفر قناة بناما حيث كانت الحمى الصفراء تقضى على خمس العمال فى كل عام - واكتشف الدكتور ( بلهارز ) الالماني دودة البلهارسيا فى مصر واكتشف زميله ( جريسنجر ) دودة الانكلستوما وهو يعمل بالقصر العيني بالقاهرة<sup>(٣)</sup> - واكتشف ( رونتجن ) الأشعة السينية ، واكتشفت ( مدام كورى ) ( الراديو - المشع وماتت بالسرطان الناتج عن تعرضها للاشعاع ، ويستعمل الآن فى انقضاء العديد من مرضى السرطان .

فى القرن العشرين : فى النصف الأول من القرن كانت محاور التقدم الكبرى - فى الكيمياء العضوية والحيوية ، وكانت ألمانيا تقود العالم علميا الى وقت قريب - وكان طلبة الطب يهرعون اليها من جميع أنحاء العالم - وهكذا كان الطب واجهة للحضارة الألمانية - ولكن الغرور بذلك دفع الالماني لامتناق دعوى تفوق الجنس الأرى ومن ثم للعدوان الذى قاد الى هلاك عشرات الملايين من شعوب أوروبا والعالم بأسره فى حربين عالميتين استخدمت فيهما معطيات التقدم العلمى فى القتل والدمار - أكثر مما استخدمت فى الانقاذ والبناء - ذلك حين نسوا الله فأنساهم أنفسهم - وانتهت الحربين بأسر الشعب الالماني وانتقال ميراثه العلمى والحضارى الى أعدائه الروس والأمريكيين - وهم يتنمرون بعضهم لبعض ، وينظرون الى بنى آدم كنهب مستباح فى وقتنا هذا . وسيطر على سياستهما اليهود الديين

(١) بين انجلترا وفرنسا وتركيا من جانب - وروسيا من جانب آخر عام ١٨٥٣

(٢) قصة الطب ص ١٩٨ - ٢١٢

(٣) مجلد DOUBLEDAY الخاص بالصحة والاقتصاد HEALTH & ECONOMICS

هاجموا قلب العالم فى غفلة الزمان واستوطنوا "أورشليم" القدس ، ويتجمعون حولها فى فلسطين ، فى انتظار مسيحهم يزعمهم ليحكم العالم .

كانت الحاجة أم الاختراع - وشحذ التنافس على المغامم والأرباح الذى أدى للاقتتال الميرير فى حربين عالميتين فى أقل من ثلاثين عاما- همم العلماء فى جميع الفروع ومنها الطب - وتم تركيب ملايين المركبات - منها مثلا ماتومل اليه الطالب الألماني ( بول ارليخ ) وهو محلول السلفرسان الذى استخدم بنجاح لعلاج مرض الزهري ( البوء الفرنسى أو الافرنجى ) قبل اكتشاف البنسلين فى انجلترا - وفى ألمانيا كذلك تم تركيب أنواع من السلفا ومازالت تستخدم على نطاق واسع . وتتابع اكتشاف أنواع من المضادات الحيوية وتعتبر أهم انجاز للطب فى القرن العشرين الى الآن . واكتشفت مضادات الأجسام والأمصال والهورمونات وتقدمت علوم التغذية ، واستخدمت معطيات هذه الاكتشافات بنجاح فى الحروب - مثال ذلك استخدام البنسلين بعد تنقيته ومعايرته وتعبثته بنجاح للسيطرة على كثير من الاصابات الجرثومية وتلوث الجروح ، شمم الاستربتوميسين كمضاد لميكروب السل .

وكان مصل التيفويد ( حمى المصارين ) فعالا فى مقاومتها فى الحرب الأولى، الى جانب تطوير أساليب الطب الوقائى فى تعقيم المياه والتخلص من النفايات وكذلك تطوير صناعة حفظ وتعليب ونقل الأغذية ، وابداء الحشرات الناقلية للعدوى . وكذلك المصل المضاد للتيتانوس والدفتيريا ثم الفاكسين المطور لها وغيرها - كان للاكتشافات الطبية المتتالية دور فعال فى احراز النصر فى الحروب . ثم فى تحسين صحة الشعوب فيما بعد . ومما يذكر أن فكرة التطعيم من مصل انسانى أو حيوانى كانت معروفة عند الأمم الشرقية من قديم الزمان .

وأول ما أدخلت الى الغرب بواسطة ( اللىدى مارى ورتلى مونتاجو ) زوجة السفير البريطانى فى تركيا سنة ١٧١٧ - وفى آخر القرن الثامن عشر أمكن للدكتور (ادوارد جرنر) فى أرياف انجلترا استخلاص لقاح من بشرات جدري البقر منعت الإصابة بالجدري عند الأذميين - وانتشر استعمالها بعد ذلك حتى اصبح التلقيح ضد الجدري اجباريا فى مصر أيام كلوت بك (١) .

**الفييتامينات :** تتابع اكتشاف ( الفيتامينات ) ، اللازمة بمقاديرها الضئيلة لاتمام التفاعلات الحيوية فى الجسم - وأمكن علاج ( الاسقربوط )<sup>(٢)</sup> الذى كان يحتاج بحارة السفن ، بعصير الحمضيات ، وعلاج الكساح بفيتامين (د) ، والعشى الليلى بفيتامين (أ) والانييميا الخبيثة بفيتامين (ب) ١٢ والبرى برى (٣) والبلاجرا وغيرها كثير . وأصبح تناول أقراص الفيتامينات والأملاح المتعددة عادة حضارية وثقافة طبق ( السلطة ) الخضراء والفاكهة الطازجة وارتفعت اثمانها ، واستمع على

(١) لقعة الطب ١٤٣ - ١٥٢

(٢) مرض يتميز بتقرح الأغشية المخاطية لنقص فيتامين (ج)

(٣) منه أنواع وينتج عن نقص فيتامين الثيامين وهو أحد مجموعة باء المركب -

(٤) البلاجرا وينتج عن نقص النياسين وهو من مجموعة فيتامين باء المركب ويكثر فى الشعوب التى تعتمد على خبز الذرة ويتميز بتقرح الجلد والأغشية المخاطية وقد يؤثر فى الأعصاب .

الفقراء شراء الألبان ومنتجاتها واللحوم والفواكه . وهم أكثر حاجة للفيتامينات نتيجة لظروف البيئة والمناخ ، أو بسبب الجهل فى قواعد التغذية الصحيحة - ولولا استئناسها وسهولة انتاج اقراصها ومستحضراتها لاجتاحت أمم العالم الثالث أعراض وأمراض ناتجة عن نقص بعض الفيتامينات فى غذاء هذه الشعوب ، كما نرى فى المناطق المبتلاة بالمجاعة ، والتي تمتد اليها يد المبشرين بالغذاء والفيتامينات فتنتقذ الناس من الهلاك وتأسرهم بذلك .

**الهورمونات :** افراز الغدد الصماء ( غير ذوات القنوات ) تناسب بمقاديرها الضئيلة جدا الى الدم مباشرة - وتتأثر وتتشابك هذه الافرازات الهورمونية بالتأثير النفسى والعصبى للكائن الحى . وتؤثر فى بعضها البعض - وعلى صحة الانسان ومزاجه وقدراته الصحية بشكل مثير لانتباه الأطباء والباحثين - وتنتج المصانع والمعامل بعضا منها كالانسولين والكورتيزون والثيروكسين بواسطة التركيب الكيميائى بدلا من استخلاصها من الغدد الحيوانية كما كان فى البداية .

وتتابع الاكتشافات فى مجال الهورمونات والانزيمات بالقياس الدقيق والمعتبرة فى حالتى الصحة والمرض . ويدخل فى ذلك الحاسبات الالكترونية والأجهزة الضوئية للقياس والتحليل ومجال الطب الذرى وغير ذلك فيما يحتاج الى خبراء وعلماء ليضعوا له تسميات باللغة العربية الرحبة لما يرد فى الدوريات العلمية فى كل حين فى أيامنا الحالية .

### العصر الذهبى للجراحة هو القرن العشرين :

بعد أن تقدم علم التخدير، وتطورت المضادات الحيوية ، وأصبحت سلاحا فعالا ضد التلوث بالجراثيم ، وتم التغلب على الصدمة الجراحية بسرعة نقل الدم بعد اكتشاف الفصائل وانتشار مصارف (بنوك ) الدم فى الخمسينات لحفظه بالتبريد بعد معالجته ضد التجلط - واتضح أنه لا بديل للدم الا الدم .

كانت العقود الأولى من هذا القرن فترة صراع بين الطريف كزى الجراحين وقفازاتهم المعروفة المعقمة وآلاتهم المصنوعة من الصلب الذى لا يصدأ، والتليد مثل المناضد والصناديق الخشبية وحجرة عمليات السطوح ذات السقف الزجاجى التى مازالت تسمى بعض المستشفيات القديمة ليصل اليها ضوء الشمس فى حالة انقطاع التيار الكهربائى حين كانت امداداته مازالت ضعيفة بدائية .

كانت الجراحة حتى بداية القرن عملا فرديا يقوم ببطولته على المسرح الجراحى ( Operating Theatre ) كما تسمى حتى الآن غرفة العمليات - نجم واحد لامع - تحيط به هالة - كان بعضهم جديرا بها ، ومازالت الجراحات التى ابتدعوها وقاموا بها بنجاح تحمل أسماءهم وتكرر بحذافيرها يوميا لانقاذ بنى آدم من الأخطار الماحقة ، والالام الفادحة .

وتدريحيًا أخذت بعض الفروع تستأثر باهتمام بعضهم ومن هنا ، ولا تساع المعرفة السريع ، ولاقبال الناس على الاستفادة من شمارالطب الحديث . أصبح اتقان الفروع مستحيلًا على غير المتخصص فيها ، وهكذا بدأ التخصص ومابرح فى تزايد حتى أصبح فى جراحة اليد والمخ والقلب والأوعية .. ولولا ذلك ماأصبح اجراء العمليات المعقدة الخطيرة ممكنًا . وأصبح الأمر يعتمد على فريق متكامل من الجراحيين واطباء التخدير والباطنيين والمختبر والتمريض والمساعدين وغيرهم - فى بضع سنين .. اضطر بعض الجراحين الذين يعملون الى الآن فى الصناعة للتخلي عن الممرضين غير المؤهلين الذين كانوا يقومون بتخدير مرضاهم بتنقيط الاثير والكلوروفورم على قناع بدائى يغطى أنف المريض وفمه ، وافساح المجال لأطباء التخدير ليستخدموا الأدوية المضادة للتوتر العضلى وغيرها للتمكين للجراحة الكبرى حيث أصبح ممكنًا استئصال نصف جسد الانسان لمحاولة ابقائه على قيد الحياة . والعجيب أنه كانت للحروب العالمية وغيرها من الحروب بين بنى آدم - فضل فى تقدم جراحات التجميل والتأهيل، وتعلم الجراحون تدريجيًا أن المضادات الحيوية ليست هى الاجابة الحاضرة للتلوث ، بل ان الفرق فى تناول الأنسجة الحية، والاقبال من فرمة النزف والتجمع الدموى ما أمكن ذلك، وغير ذلك من تراكمات الخبرة عبر السنوات والتفحيات لاتقل فى الأهمية عن انجازات المختبرات والمعامل والأجهزة الحديثة . وأصبح اجراء عمليات زرع الأنسجة والأعضاء الانسانية والحيوانية الصناعية مكان مثيلاتها التالفة روتينيًا . وأصبح اجراء العمليات فى الأذن الوسطى والعين وقناة فالوب فى الأنثى - تحت المجهر شيا عاديا . ومايزال التقدم متسارعا ومستمرًا .



## المبحث السابع

### موقف المسلمين اليوم

كان تتابع الاكتشافات العلمية ، وإذاعة نتائجها عبر وسائل الاعلام المتطورة . هو الدماية الفعالة التي أثرت فى بنى آدم جميعا، ومنهم أمة الاسلام التي ران عليها التخلف والانقسام فى الزمان الأخير .

وبمهارة خبيثة أمكن مزج الحقائق العلمية الحديثة الشابتة تجريبيا - بالنظريات الحديثة المتعارضة مع العقيدة الدينية - كنظرية النشوء والارتقاء لداروين ، ونظرية الدوافع الجنسية لفرويد ، ونظرية رأس المال والمادية الجدلية لماركس - وثلاثتهم من اليهود ، وهم يشكلون وحدة ويجب الأخذ بها لمن أراد التقدم فى زعم الملحدين !! ولأن تيار المعرفة والعلوم والاعلام - معا - قد تحول مصدره الى الغرب - وارث الضغائن الصليبية ، ويغذوه الحقد اليهودى على جنس الانسان جميعا . فقد اتفقوا ضمينا على اشعال الفتنة واذكاء العداوة والبغضاء بين أبناء الدين الوحيد الباقي الى قيام الساعة - دين الاسلام .

واعتبروا الاسلام كالنصرانية الكنسية فى بدايات عصر النهضة - عدو العلم والتقدم - الوحيد - وساعدهم على ذلك أن اجتهاد علمائنا قد تأخر عن ملاحقة التطور السريع - وضاعت جهود المخلصين بالود أو وضع العراقيل فى طريقهم أو بالتهتميم الاعلامى على جهودهم على أقل تقدير .

" يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون " (١) .

ولو ألقينا نظرة الى أوائل القرن الحالى فى ديار الاسلام - كان الطالب المسلم لا يجد سبيلا للتعليم الحديث .. الا فى مدارس الارساليات التبشيرية ، ولا يجد المريض سبيلا للاستفادة من وسائل العلاج المتقدمة الا فى مستشفيات ومستوصفات هذه الارساليات . وكان القائمون على هذه المؤسسات وأعمالها يهتمون بالعادات والتقاليد النصرانية والغربية ، ويعملون على اقناع الناس بشتى الطرق للاقلاع عن ما أسموه بالخرافات المعجزة ، ويشككونهم فى كل ما يتعلق بدينهم وتاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم الموروثة مهما كانت صحيحة .

كانت الكتب الأنيفة والصور الملونة تأتى من أوروبا أو من بيروت ومؤلفوها من المبشرين وبعضهم أطباء كالدكتور ( كارنيليوس فان ديك ) أول رئيس

---

(١) سورة التوبة : ص ٣٢

للجامعة الامريكية فى بيروت ، ثم الدكتور ( وارتنبات ) رئيسها من بعده - وهما من المبشرين المتعصبين . كانت هذه النشرات ووسائل الأيضاح الحديثة من "سينما" ومكبر ضوئى وآلات تصوير والحاكى - وراء اشغال خيال الطلبة من أبناء الطبقة المتوسطة ، وكثير منهم من أهل الذمة والنصارى فى ديار الاسلام العثمانية ، وألتي سقطت تحت الحماية أو الاحتلال العسكرى لأمم الغرب - كمصر وسوريا والسودان وليبيا والجزائر والمغرب وغيرها . وكان مستشارو التعليم الأجانب مثل القسيس (دنبوب) مستشار التعليم فى مصر - يعملون على تشجيع المفاهيم المضادة للاسلام بحجة التحديث . ولم يكن من بديل الا عصا الشيخ فى كتاب القرية ، ثم مدارس العلوم الدينية البحتة ، والمراجع سيئة الطباعة والاسفار الهائلة المملوغة بالحواشى والتعليقات ، التى مفتت على تأليفها مئات السنين وانفصلت بالتالى عن الواقع الجديد والتطورات المتلاحقة .

وتدرجيا بدأ انشاء المدارس الابتدائية والثانوية فى العواصم والمدن الكبرى ، وكان مديروها ومدرسو اللغات فيها والمفتشون ، أجانب تشملهم الحماية . وتخرج جيل من أبناء البلاد تحت هذه الظروف وقد بهرتهم الأفكار التى تتلمذوا عليها - وخصوصا من أتيح له أو اختير للابتعاث الى الخارج للتعليم العالى .

ونظرا للضعف والانقسام وشيوع التبعية الفكرية بين المسلمين لديار الكفر والعلمبية فقد أصبحت المدارس والجامعة فيها لاتخرج عن المناهج المقررة لها بالخارج ، حتى الدرجات العلمية المعتبرة فى ديار الاسلام لايمنحها الا اليهود والنصارى والمستشرقون منهم ، والمستغربون منا - حتى فى الالهيات والعلوم الاسلامية ، ومقارنة الأديان - واستحكمت الطريقة الأوروبية فى مناهج العلوم كما هى - نظرية كانت أو عملية كالطب والهندسة وغيرها - وبلغات أجنبية فى أكثر الأحيان .

وتعاون الاعلام والسياسة تحت مظلة الاستعمار على عزل وتشويه كل مايمت الى دين الاسلام بصفة حقيقية ، فى المساجد المهملة ، والكتاتيب الفقيرة - حتى آل الأمر بأقدم جامعات العالم - الأزهر الشريف - الى أن تكاد تكون وثقا على فقهاء المسلمين أودى العاهات - ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

وكذلك استحكمت السيطرة على ديار الاسلام من الداخل ، بعد أن رحلت الجيوش الأجنبية نتيجة مقاومة الشعوب الاسلامية لولاية غير المسلم من الأجانب . واستمرت خدمة الأهداف الأجنبية والاستعمارية تتم بواسطة أبناء جلدتنا من اقتناع منهم بتقدم الأجانب وتخلفنا - وهذا صحيح حتى الآن . ولكن ليس السبب كما يقولون كذبا - فى الدين الحق الذى جعلنا خير أمة أخرجت للناس منذ أن جاء الحق وزهق الباطل ، والى عهد قريب ، بل السبب فى تركنا اياه كما تركوهم دينهم المحسرف

ثم لم يجدوا عندنا المثل الأعلى الذى يحتذى - بل وجدوا الجمود والتحجر كما كانت كنيستهم فى العصور الوسطى ، وليس فى ديننا كهنوت ولا حجر على العقل وانما فقه يجب أن يساير الأحداث المتجددة وفقا للنصوص الثابتة الصالحة لكل زمان ومكان الى قيام الساعة .

وكما ذكرنا فى البداية - فان الأفكار والعلوم يتناقضها بنوا الانسان سلما وحربا ، سادة وعبيدا . ومن ذلك كمثال قريب أنه لولا الاستعمار الحديث الذى ابتليت به ديار الاسلام لما أمكن لنا أن نتعرف على تقدم العلوم المادية ثم تدهور الفكر والمفاهيم والعقائد فى نفس الوقت ، والفشل الذريع الذى منيت به الحضارة الغربية حين اختارت التشريع الأرضى ، بدلا من الجمود الكنسى والرهبانية البعيدة عن طبيعة بنى الانسان ، وحتى اختارت بعض الأمم الكفر المريح والشيوعية بدلا من الرأسمالية فكانت كالمستجير من الرمضاء بالنار.

وفى هذه الفترة من الزمان ، وفى غفلة من المسلمين بالذات ، اتبعت للعنصرية الصهيونية أن تقترب من السيطرة على اورشليم وكما يزعمون أنه وعد الله لهم ، يستعبدون به جميع الأمم ، ويحكمون به العالم كله!! .

وهكذا استدار الزمان كهيئته أيام الجاهلية الأولى . وأصبح الكفر يستعلى فى الأرض ، وأصبح الدين الحق مغلوبا مغمورا لكثرة ماران على أهله من الجمود والتخلف والبعد عن تعاليمه ووصاياه .

فهل يعود المسلمون الى دينهم العظيم ويعملون بناء على تعاليمه السامية على اقتباس العلم النافع وأسباب القوة ، ويصبحون بذلك سادة الأرض وقادة الأمم ، ويكونون بذلك قدوة حسنة واعلاما حيا متحركا بين الناس ، ودعوة مجسمة الى الحق والعدل .

أفلا يمكننا الابقاء على عقيدتنا السهلة السمحة ، وترجمة وتطوير العلوم المادية التجريبية ، بما آفاه الله على المسلمين من ثروة وهم يتحكمون فى قلب المسكونة وماء الحياة وعصارتها للحضارة الصناعية فى أيامنا هذه أوأخـر القرن العشرين ،

حينئذ نفوز بمتاع الدنيا خلا ، ورزقا حسنا . ثم بالجزء الأوفى فى الآخرة . ولا يغير الله ما بالوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

## الجانب الطبى الاسلامى المعاصر :

ان المسلمين تحت مطارق المحن التى أصابتهم بالاستعمار العسكرى ، قد تنبهوا الى أن هزيمتهم أمام الكفار كانت بسبب اهتمام هؤلاء بالعلوم المادية ومن ثم تفوقهم فيها . لذلك تنبهوا للأخذ بالعلم التجريبي الحديث فتم انشاء المعاهد والكلليات لمختلف فروع العلم وكان للطب من ذلك نصيب كبير . فـ قـد أقيمت فى بلاد الاسلام مدارس للطب ثم غدت كليات قوية وعريقة . وتعددت خريجوها وتفوقوا فى بعض فروع الطب تفوقا عالميا .

وأعاد الجراحون المصريون ، أمثال على باشا ابراهيم ثم ولده الدكتور أمين على والدكتور محمد ابو ذكري والدكتور اسماعيل السامى والدكتور قنساوى وغيرهم من أساطين الجراحة والعلوم الطبية المصريين .. السمعة العالمية للطبيب العربى المسلم فى الأوساط العلمية .

وقبل هؤلاء وبعدهم أجيال وأجيال من مختلف ديار الاسلام فى العقود الأخيرة أثبتوا جدارتهم فى كل مكان عملوا فيه .

ولكن للأسف ، ونظرا للتدهور السياسى الناتج عن التفكك والشحناء بين مختلف الأقاليم الاسلامية ، فقد هاجر ألوف من الأطباء الى ديار الكفر والالحاد مساهم يجدون فيها ما افتقدوه من الاستقرار والأمن فى مسقط رؤوسهم ، وهنالك توفرت لهم الامكانيات المادية للبحث العلمى والانتاج فأبدعوا ووصلوا الى أعلى المناصب فى الجامعات ومراكز البحث المتخصصة ، وما زالت هذه الظاهرة تمثل أحد العوامل الهامة فى تأخر البلدان الشرقية على العموم وهى تساهم فى دفع مجلة التقدم فى الناحية الأخرى وفى بلاد الغرب على الخصوص .

ان مشكلة هجرة العقول كما شاعت تسميتها فى العقود الأخيرة من القرن العشرين لهن من أعقد المشكلات التى تتطلب حلا سريعا على المستوى الاسلامى العالمى وذلك بعمل رابطة للعلماء المسلمين وأكثرهم من الأطباء ، وفى الأماكن التى يكثُر وجودهم فيها كبريطانيا وأمريكا مثلا ، ومساعدتهم على توحيد جهودهم وتكثيفها فى الاتجاه الذى يخدم القضية الاسلامية المعاصرة .

وكذلك على المستوى القومى ، بالعمل على استقطابهم مرة أخرى الى ديار الاسلام ، برفع رواتبهم عما يتقاضونه فى ديار اغترابهم وهجرتهم ، ومنحهم التسهيلات والامتيازات الخاصة كالجنسية وحقوق التملك والاستقرار ، وتيسير سبل التعليم والاقامة المريحة لهم ولعائلاتهم ، وتوفير مطالبهم للبحوث والمشاركة الفعالة فى دفع عجلة التقدم فى بلاد الاسلام .

ان ماتقوم به الكويت مثلاً ، من عمل مؤ تمر سنوى للطب الاسلامى فيها . تدعو اليه كثير من الأطباء فى المهجر ، وغير المسلمين . من المهتمين بتاريخ علماء المسلمين ومساهماتهم الفعالة فى دفع عجلة الحضارة الانسانية ، هو خطوة فى الاتجاه الصحيح ، ان شاء الله - للاعلام بدور المسلمين البناء وبما جاء فى الشريعة السمحة من تعاليم صحيحة لاتتعارض أبداً مع آخر مايتوصل اليه العلم الحديث من أنباء واكتشافات .

وكذلك اقيمت معاهد للتمريض متوسطة وثانوية وعالية ، وكان لها آثار طيبة فى مقاومة موجة الاشراف الرهبانى على هذه الناحية الخطيرة ، ولولا أنها مارالت حتى الآن لاتفى بحاجة التوسع فى الخدمات الصحية فى مختلف ديار الاسلام - مما يخطر بعضاً منها للاستعانة فى التمريض بالكفار والوثنيين لخدمة المرضى المسلمين ، ولا يخفى مالدلك من ضرر ، لأن كل اناء ينضح بما فيه - قاعدة مطردة لاتتخلف أبداً . فهم لايحملون لنا الاخلاص ولا الرغبة الصادقة فى الشفاء والتقدم بقدر مايهتمون بالحصول على أكبر فائدة يستطيعونها لأنفسهم ، عدا مايقدمونه لنا من مثل سء من تقاليدهم وعاداتهم التى لاتنفعك عنهم .

والمخلص أن امكانياتنا الحالية فى الجانب الطبى بالذات لابس بها - ولكن - يعوزها التنظيم والتركيز والتوجيه الهادف لخدمة القضية الاسلامية ، وفى مجال الدعوة والاعلام بالذات ، فان الاعلام العملى القائم المتجسد الفعال ، هو أكبر تأثيراً فى الناس من الجانب الشفهى الخطابى .

والمهن الطبية على العموم بطبيعتها ، ولأنها أكثر اتصالاً بالناس جميعاً ، فى جميع الأوقات - أكثر قدرة على القدوة الحسنة ، ويمكنها اشاعة الفكر المستنير والوعى الصادق بين الناس - كما يمكنها على النقيض من ذلك - وتبعاً لاعتقادات القائمين عليها - أن تمثل بالنسبة للجمهور القدوة السيئة والكبرياء الكاذب والتكالب على المتاع ، وأن تشيع بينهم الأفكار المادية والاحادية بالقسوة الفعلية والحوار المغرض .

لذلك وكما سنعود لتفصيله فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى . يتعين الاهتمام بالتربية الروحية وتوثيق الصلات بين العاملين فى المجال الطبى من المسلمين وتوجيههم ودعم جهودهم للدعوة الاسلامية .

الفصل الثاني

الإعلامُ وتاريخه وغاياته

## المبحث الأول

### مفهوم الاعلام وتطور وسائله

#### التعريف المختار هو :-

ايصال أحد الأطراف علما أو خبرا أو معنى ما - الى طرف آخر . ويتضمن بذلك كل المعارف والعلوم والمؤثرات التي تصل مباشرة أو بواسطة وسائل معينة من طرف الى آخر .

لذلك يمكن القول بأن الاتصال هو المحرك للتطور الاجتماعي ، بالتعليم ونقل الأفكار وتكوين الرأي العام .

ويتفق خبراء الاعلام على أنه رسالة ذات شعب خمس هي :-

- (١) جهة الارسال : مثل دار الاذاعة أو الراى ، أو دار النشر .
- (٢) جهة الاستقبال : وهم المرسل اليهم المقصودين بالرسالة الاعلامية سواء كانوا أفرادا أو جماعات .
- (٣) محتوى الرسالة : وهو المعنى الذى تنقله الرسالة سواء كان حقا أم باطلا .
- (٤) حامل الرسالة : وهو الموجات الكهرومغناطيسية أو موزعى الصحف والمكتبات .
- (٦) أداة الارسال : كالصحف والكتب والبرامج وآلات البث الاداعية .

ويمكن تطبيق هذا فى الاسلام على الوجه التالى :-

أولا : المرسل أو جهة الارسال فى الاسلام هو الله تعالى - قال سبحانه " انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا " (١) .

ثانيا : المرسل اليه أو جهة الاستقبال هم الناس جميعا - قال تعالى " وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا " (٢)

ثالثا : محتوى الرسالة ، عبارة عن مبادئ وتشريعات كلها حق وصدق - قال سبحانه " وبالحق انزلناه وبالحق نزل " (٣)

رابعا : حامل الرسالة ، هو الرسول صلى الله عليه وسلم ، اذ قال سبحانه وتعالى " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك " . (٤)

خامسا : أداة الارسال : كانت جبريل يحمل آيات القرآن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم - ثم كانت كلمات الله تتردد فى أحاديث الرسول

- 
- |                  |                      |
|------------------|----------------------|
| (١) سورة فاطر ٢٣ | (٣) سورة الاسراء ١٠٤ |
| (٢) سورة سبا ٢٧  | (٤) سورة المائدة ٦٧  |





وأعماله وهو كما قالت عنه السيدة عائشة رضى الله عنها ، كان خلقه القرآن - وفى خطبه والحوار مع الناس .

والحقيقة أن القرآن الكريم نفسه يمثل محتوى الرسالة مشتملا على المبادئ والأحكام التى هى مضمون الرسالة ، وهو وسيلة الرسالة فى إيراد الأدلة ومناقشة الخصوم .

وتؤثر وسائل الاتصال بأنوعها بدءا من الاتصال الشخصى والخطابة وانتهاء بأحدث الوسائل عبر الأقمار الصناعية والوسائل المرئية والمسموعة - تؤثر فى الناس من طريق العقل أو العاطفة أو الغريزة أو النزعة الترفيحية - بما يقنعهم - وصولا إلى أهداف مادية أو معنوية - تبعا للفكرة الأصلية لدى المرسل ، ومناسبة الوسيلة المستخدمة أيضا للهدف المقصود .

### تاريخ الاتصال بين البشر :

يفسر ه . ج . ويلز الكاتب البريطانى الذى اشتهر بالروايات العلمية قصة تطور الاعلام على أنها تتركز على ظاهرة اجتماعية أساسية تنزع بالانسان إلى تحطيم الحواجز للاتصال بأخيه الانسان فى مكان آخر أو مجتمع مختلف .

وبناء على ذلك فقد قسم ويلز مراحل تاريخ الاعلام بين بنى آدم إلى خمسة مراحل هى :-

أولا : مرحلة الكلام : وهى بداية الانسانية - فالانسان مخلوق ناطق والكلام نابع من الفكر والعقل ويمكن الاستشهاد لهذا بقوله تعالى " ولعسم آدم الأسماء كلها .. " (١)

ثانيا : مرحلة الكتابة : حين اخترع الناس رموزا للتعبير عن مشاعرهم وأفكارهم ووثائقهم ، والأرجح أن تكون بدايتها هى الهيروغليفية فى مصر والسماوية فيما بين النهرين .

ثالثا : مرحلة الطباعة : أصبحت الكتابة بعدها ذات أثر فعال ، واتسعت وظيفتها وامتد تأثير الكلمة بإمكان نقلها مثلات المرات بالمطبوعة بسرعة وسهولة . وبكثرة النسخ المطبوعة ، ازدادت الفعالية أضافا

مضاعفة - وبدأت تلك المرحلة فى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد.

رابعاً : **المرحلة العالمية** : باختراع الوسائل الحديثة للنقل السريع باستخدام وقود الفحم فى تحريك القاطرات والسفن البخارية - ثم بعد ذلك النفط والكهرباء - فاختصرت المسافات البعيدة - واستخدمت تلك الوسائل فى نقل الكتب والصحف وغيرها .

خامساً : **مرحلة الازدهار** : ويرى ويلز أنها تمثل قمة التطور فى تاريخ الاتصال البشرى لأنها استطاعت تخطى الحدود والحوجز الجغرافية والسياسية فى نقل المشاعر والأفكار المختلفة الى كل جزء فى الأرض .

ولاشك أن الاعلام قديم منذ عهد القبائل البدائية من سكان الكهوف - وكان عليها أن تجد من يحرس الأفق ويبلغ عن الصيد والوحش والعدو - وكانت مهمته تنحصر فى الإبلاغ عن ذلك ثم يبدأ الترتيب لتقرير مايتخذ من الاجراءات اللازمة المناسبة . وكان القصص والشعراء قديماً من رجال الاعلام أيضاً ، بالتعريف بأخبار القوم الماضية وتاريخهم وجيرانهم وأعدائهم والعمل على شحذ هممهم وإذكاء مشاعرهم . ومازال هذه وظيفة الاعلاميين الى يومنا هذا ، وقد أصبحوا الآن من المتخصصين والخبراء فى مختلف مجالات الاعلام .

من ذلك العرض الموجز لتاريخ الاعلام فى نظر "ويلز" يمكن تعريف الاعلام بأنه " استخدام كافة وسائل الاتصال الممكنة - لنقل فكرة أو خبر أو وجهة نظر - لأحد الأطراف الى طرف آخر ، لتحقيق هدف مادي أو معنوي " .

وهو علم من العلوم الانسانية ، ولكنه يتصل بجميع العلوم النظرية والعملية ومنها الطب بجميع فروعها ومايتصل به كالصيدلة والدواء - اذ تحتاج جميع العلوم الى الاعلام بجميع وسائله كمرآة لعرضها وإيضاحها .

وهو أحدث العلوم الانسانية من حيث التحديد والتقسيم وضبط مناهجه ، وأيضاً من حيث تطور أدواته ووسائله فى السنوات الأخيرة وازدياد تأثيرها وعمومها جميع أنحاء الكرة الأرضية - بل ونفاذها منها أيضاً - بسرعة تطور خيالية .

ومنذ عقود قليلة قيل عن الصحافة أنها ( السلطة الرابعة ) - لأنها كانت حينئذ هى الوسيلة الأكثر انتشاراً ونفوداً من وسائل الاعلام المعروفة حينئذ ، أما الآن فتبدو وسائل الاعلام الأكثر تطوراً وكأنها لاترضى بالمكانة الرابعة بين السلطات بل تمارس فغوطاً عن طريق توجيه رأى العام الذى تؤثر فيه بطريقة متزايدة الفاعلية يوماً بعد يوم ، حتى لاترضخ لها بقية السلطات وتتوافع تدريجياً . لذلك

يسمى عصرنا الحالى فى أواخر القرن العشرين الميلادى بعصر الاعلام . (١)

ولاجدال ، أن حربا عالمية اعلامية قائمة فعلا بين مختلف الأهواء والأفكار والسياسات - تحاول استقطاب بنى آدم الى هذه الناحية أو تلك . والمثال القريب على ذلك ما يحدث فيما يسمى بالمعركة الانتخابية فى أمريكا مثلا - وكيف يتسم التمهيد لها بجميع وسائل الاعلام الحديثة ثم كيف يستمر أوارها كلما اقترب يوم الاقتراع .

ولم تصبح الفلسفة المحضة أو التجريد الفكرى ، فى كتب الأديان والفلسفات القديمة أو المعاصرة هى طريقة الدعوة المثلى لهذه المذاهب ، ولاتدبيح الخطب المنمقة ولا المقالات المطولة - بل دخل فى أساليب الدعوة - المؤتمرات والمعارض والمسارح والاذاعة ودور العرض والتلفاز ووكالات الأنباء والتسجيل الصوتى والمرئى وأصبحت هذه الوسائل هى بمثابة الصواريخ الموجهة من بعد والطائرات فى مواجهة الخطابة والصحافة المحلية والاتصال الشخصى الذى أصبح بمثابة السهم والحرب - والسكين فى وسائل الحرب القديمة .

ولذلك يصعب على الانسان فى أيامنا هذه الحصول على المعرفة التى يبتغيها وسط سيل منهمر من المعلومات فى شتى المجالات والتخصصات - فانه قد قيل أن عدد الكتب التى صدرت فى الربع قرن الأخير تساوى فى العدد جميع الكتب الصادرة منذ أن اخترع " جوتنبرج " المطبعة منذ خمسة قرون تقريبا . وان ملاحقة نتائج الأبحاث فى أدق التخصصات لهو أمر شاق على الطبيب مثلا - وقيل أنها تتضاعف كل عشر سنوات فى القرن العشرين . ( كما يبدو من مراجعة المبحث السادس من الفصل الأول )<sup>(٢)</sup> - ولم نذكر فيه الأرووس الموضوعات . وقد يكون ذلك بسبب انتشار التعليم، ونظرة الى التعليم الجامعى فى مصر أو المملكة العربية السعودية مثلا تريننا بوضوح أن إنشاء الجامعات والكليات والمعاهد العليا جار على قدم وساق ، حتى تضاعفت عدة مرات فى النصف الأخير من القرن الحالى وأصبح الخريجون بعد أن استنفذوا التعليم اهتمامهم طوال فترة شبابهم المبكر، واثقل كاهل ذويهم ودولهم - يضطرون للتوجة الى أعمال لم تكن فى حساب أحد فى البداية .

---

(١) جاء فى محاضرة منهجية للاستاذ زين العابدين الركابى ، احصائية تقول أن عدد الاعلاميين ( بما فيهم من المعلمين ورجال الاديان والسياسيين والعاملين فى مجالات الاعلان واللهو والترفيه والعلاقات العامة .. ) فى أمريكا يفوق عدد العمال الصناعيين والزراعيين معا . ويمكن فهم ذلك بسهولة اذا اخذنا التقدم التقنى فى الاعتبار ، ولاشك أنه يوفر العاملين الصناعيين والزراعيين من ناحية ثم أخذنا جميع العاملين فى مجالات ووسائل الاعلام المذكورة وغيرها من ناحية ثانية .

(٢) انظر ص (٤٠) من هذه الرسالة . وما بعدها .

والمكتبات تتضخم حتى تحتاج الى العقل الالكتروني لفهرسة و تخزين المعلومات  
ليمكن استخراج الكتاب لقارئه والا استغرق البحث عن المطلوب الوقت اللازم  
للمطالعة اذا ماوفق في العثور على بغيتته .

وقد ادرك أصحاب المذاهب والملحدون قيمة وسائل الاعلام الحديثة  
في وقت مبكر . فقد قال " لينين " أول رئيس للروس الشيوعيين " ان مشرة  
سينمائيين أفضل من مليون كتاب وألف خطيب مفوه " وقد يكون ذلك صحيحا في  
عصرنا الحاضر الذي جعلت منه وسائل الاتصال السريع عبر الأقمار الصناعية  
كأنه قرية صغيرة ، بل أكثر من ذلك فان سكان القرية يعرفون كل مايجرى فيها  
أولا بأول أما في عالم اليوم فقد أوشك المسيطرون على وسائل الاعلام - من  
اليهود بالذات - أن لايسمحوا بامرار الا مايخدم أهدافهم في السيطرة على  
العالم بأسره . . الى وكالات الأنباء ومن ثم الى ادارات الاعلام الخارجى في  
البلدان النامية ومنها الاسلامية على الخصوص ليراء الناس في الراشسي  
ويسمعونه في المذياع ويقرأونه في الصحف .

وفي ديار الاسلام اليوم باعتبارها جزءا من العالم المتخلف حيث تتفشى الأمية  
لتصل الى حوالى ثمانين بالمائة أو أكثر وخموصا بين النساء والأطفال .  
فان تأثير الاعلام المرئى والمسموع يفوق تأثير الاعلام المقروء سواء في  
الصحافة أو الكتب المدرسية أو غيرها (١) . وهذه قضية بدهية - وأجهززة  
الاتصال هي معوان البناء أو معاول الهدم .

ومن الأمور المقررة في فن الدعاية أن لاتسفر عن وجهها - وانما تعمل الى  
الناس وتؤثر فيهم بطريق غير مباشر - وخموصا اذا كان الموضوع مما لم يألوه  
الجمهور - فالناس أعداء ماجهلوا . وهكذا وبخبت شديد ومهارة في استخدام  
وسائل الاعلام الحديثة - لم يقل أعداء الحق للمسلمين أنكم لستم على شئ هكذا  
مباشرة وانما أخذوا في رفع أوضاع الناس الى مرتبة النجوم والأبطال  
أو هكذا يسمونهم ، وفي الوقت نفسه وضعت أشرف الناس من لابسى العمامة  
الاسلامية والملتحين من المشايخ والأكابر الى مرتبة دنيا وظللتهم بالشبهات  
حتى أوشكت أن تسقطهم في أعين الناس ، بما تشيره حولهم من سخريه وهزل عن  
طريقة كلامهم ، وملابسهم ، وفهمهم للأمور !!

في حين أن ثمانين بالمائة تقريبا من العلماء والتقنيين الذين عرفهم التاريخ  
يعيشون في عصرنا الحاضر - وعلى سبيل المثال فان عدد الأطباء المقيديين  
بجداول نقابة الأطباء في مصر ممن يمارسون المهنة فعلا سواء بداخل البلاد  
أو خارجها - يزيد على ثلاثين ألفا - ولم يحتفظ لنا التاريخ الانسانى كله  
باسماء ثلاثين ألف طبيب حتى أواخر القرن التاسع عشر مثلا - والظن أن لتقدم  
علم الاحماء والتسجيل دورا في ذلك الانطباع . ولكنه من الحق أيضا أن نقول أن  
التعليم والتصنيع والتقنية قد استقطبت اعدادا هائلة من بنى آدم ممن كانوا

---

(١) كتاب الخبر للدكتور محمود أدهم ص ٨٨ وما بعدها يتصرف .

يعملون بالزراعة والرعى والصيد من الأحرار والأرقاء - فى القرون الأخيرة منذ عصر الاكتشافات الجغرافية ثم الثورة الصناعية وموجة الاستعمار - حين تم الانقسام الحالى للشعوب الى أنواعها الثلاثة المعروفة وهى دول الشمال الغنية ويعمل أهلها بالصناعة والتعليم والاعلام ، ويصدرونها الى دول الجنوب المتخلفة ، وهذه تنقسم قسمين : فمنها مافيه المواد الأولية اللازمة للحضارة الحديثة وتحصل على الطعام ومعطيات التقنية فى مقابلها - ومنها البلاد المتخلفة الفقيرة فى الموارد الطبيعية وهى تتلمس الفتات وتبدو متروكة فى أيامنا هذه للمجاعة والموت والوباء بلارحمة ولا وفاء .

## المبحث الثاني

### فلسون الاعلام ونظرياتـه ووسائلـه

#### فلسون الاعلام (١) :

أولا : الايـلام الاخباري : وهو التقريرى الذى يسرد الاخبار والاحداث بعد جمعها من هنا وهناك - لذلك يفسرون كلمة ( الاخبار ) بالانجليزية ( NEWS ) على أنها تجمع الحروف الأولى من أسماء الجهات الأصلية : ( NORTH الشمال ) ، ( EAST الشرق ) ( WEST الغرب ) ، ( SOUTH الجنوب ) كان الأخبار تجمع من كل مكان .

والاعلام الاخبارى يحتفل بالصدق والكذب - ويعمل الآن على تلبية اهتمامات الناس بلائيد ولاشرط اللهم مراعاة السياسة العامة للدولة . ويجب أن يتميز بالجدة والتشويق والشهرة - ومهمته تعليم أو تحذير أو اخضاع الرأى العام .  
والواجب أن يتميز الاعلام فى ديار الاسلام بالصدق دون الكذب ، وأن يعمل على ترقية اهتمامات الناس قبل تلبيةها بتكذيب السوء وفتح آله وأهماله ومراعاة الآثار النفسية الخطيرة التى تؤدى الى شذذ الهمم واستنطار الأمم .

ثانيا : الايـلام الثقافى : بجانبية الفكرى والسلوكى المبنى - سواء فى الماضى أو الحاضر - ومنه أيضا الصادق والكاذب والصحيح والخاطى . وبناء على ذلك التعريف الواسع أدخلت فيه الفنون بمعناها الدارج الذى قلب عليها حديثا - حتى طفت فى وسائل الاعلام على ثقافتها تهذيب العقل والسلوك .

ثالثا : الايـلام الترويحى : ويدخل فى السابق بمعناه الواسع - وقد يقد به أنواع التمثيليات المضحكة والغناء بأنواعه المتعددة . وقد يكون هادفا أو مفرضا .

---

(١) من محاضرات الاستاذ الدكتور ابراهيم امام .

رابعاً : الاعلام الاعلاني : ويقصد به الترويج التجاري للسلع وغيرها .

### نظريات الاعلام : (١)

(١) نظرية الحرية : وتعتمد هذه النظرية على حسن اختيار الفرد باعتباره واعياً لما ينفعه ، لذلك تترك له الحرية الكاملة سواء في البناء أو الهدم . ومقاييسها مادية بحتة ولذلك تتاح لمالك الوسيلة الاعلامية الذي يكون هدفه الرئيسي والوحيد تقريباً هو الربح أن يتحكم فلا يروج الا لما يدر عليه ربحاً أكثر .

فمن حق صاحب المطبعة مثلاً أن يصدر المجلة ( الجنسية ) وأن ينشر فيها الدعاية لأماكن الدعارة الى آخر ذلك !! وبالمقابل يمكن لأي صاحب نحلته أن يفعل مايراه للدعوة الى سبيله . . اذا دفع الثمن لصاحب الوسيلة الاعلامية .

وللأحزاب المتنافسة والمرشحين أن يستأجروا أي وسيلة من وسائل الاعلام المملوكة للأفراد عادة للدعاية لبرامجهم - وذلك أشبه بالاعلان الحر عنه بالاعلام .

### (٢) نظرية المسؤولية الاجتماعية :

وكما أن نظرية الحرية يكون ضابطها ( الفرد ) وحده - ففي هذه يفترض أن يكون ضابطها المجتمع عن طريق مؤسساته الدستورية ، واتحادات المهنيين الاعلامية ، ونواب الأمة ومفسري القوانين وصانعيها - وقوة ضغط الرأي العام على الحكومة أن اقتضى الأمر . وتقول النظرية أن حق الحرية ليس مطلقاً وإنما يقابله واجب المسؤولية الاجتماعية . ومن ثم يحظر المساس بالسلطة الشرعية ، أو بالدين ، أو بالأخلاق ، والأعراف المتبعة .

### (٣) النظرية التسلطية :

وترجع أصولها الى التراث الاغريقي الروماني ، وفيه تحتكر الطبقة الحاكمة حق التفكير الصائب . وتبلورت هذه النظرية في عهود التسلط الكنسي فـ في العصور الوسطى حين احتكر رجال الكنيسة حق معرفة وتفسير الكتاب المقدس ، ومن ثم التفكير والتعبير والنشر ، وقالت أنه لايجوز الا من طريقها باعتبار التفويض الالهي . واتضح ذلك منذ اختراع الطبعة في ألمانيا سنة ١٤٣٦ م . وتبع (٢) ذلك تمرد " مارتن لوتر " ثم " كلفن " من بعده ونشأة الكنيسة البروتستنتية

---

(١) من محاضرات الاستاذ زين العابدين الركابي بقسم الاعلام بالمعهد العالي للدعوة الاسلامية .

(٢) بروتستانت معناها المعارضون - وزعيمهم " مارتن لوتر " القسيس الألماني الذي نادى بطبع وترجمة الكتاب المقدس ، وعارض مسألة صكوك الغفران .

وبعدها بدأ اضطهاد الهيجونوت ( بروتستانت فرنسا ) ومحاكم التفتيش فى كل أنحاء أوروبا التى نكلت بكل من اشتبهت به فى عدم إخلاصه للكنيسة الكاثوليكية .  
وتعزى نظرية استعلاء الجنس الآرى التى أخذت بها النازية وماتبها من دعاية كبيرة الى هذه الجذور .

(٤) النظرية الشيوعية : تتفق مع التسليطيه فى اعتمادها القمع وتسليط فكر الطبقة الحاكمة على أجهزة الاعلام ، وتختلف معها فى تفسير الأحداث بناء على التفسير المادى للتاريخ . وتعتمد الكذب العلمى للترويج للنتائج الموافقة للنظرية الماركسية ، والتفليل المدروس بالنسبة لكل ما يخالفها - عملا على نشر الشيوعية فى استراتيجية اعلامية شابتة .  
فالتسليطيه النازية مثلا جزورها فكرية ومثلها الصهيونية - والتسليطيه الشيوعية أساسها وطريقتهما مادية جدلية .

(٥) المنهج الاسلامى فى الاعلام :

ولانسميه " نظريية " لانه حقائق الوحي الالهى ، علمها للبشر بواسطة رسله المعصومين عليهم السلام .  
ومنهج الاسلام فى الاعلام يجمع محاسن هذه المذاهب جميعا ويطرح مساوئها فهو يأخذ بطرف من الحرية الفردية ويقيد بها بحدود ضابطة لصالح الاخلاق والقيم العليا .  
ويأخذ بطرف من المسئولية الاجتماعية بحيث لاتتطفى على الفرد وتقتل مواهبه وملكاته .  
وهو قائم على أساس " الشمول " فى فهم الكون والحياة ، والدنيا والآخرة ويعتمد أسلوب الصدق ولو مع المخالفين فى القومية أو الدين ، ولايقبل أى امتهان للقيم والاخلاق فى سبيل كسب مادية مهما كانت المغريات . وسيأتى مزيد تفصيل لذلك ان شاء الله .

وسائل الاعلام :

(١) الاتصال الشخصى

هو أقدم وسائل الاعلام وأبقاها أثرا - وما الوسائل الحديثية الا لتضخيم صوته وتكبيره وتوسيع مجاله وتحسين صورته وتجميلها ، ولكن يبقى الاتصال الشخصى أكثر احياء بالثقة وفيه عنصر الواقعية والقسودة الحسنة واجابة التساؤلات ومايعن من الخواطر - ومن هنا أهمية التربية والتعليم ، ودور المدرس والأستاذ ، والطب والتطبيب ، ودور العاملين فيه .



فهذه المهن بحكم واقع الحال تفرض الاتصال الشخصى بين أصحابها وتلاميذهم ومرضاهم . وذلك جمهور عريض هو فى الواقع كل البشر ، ينظرون الى أصحاب هاتين المهنيتين بالثقة والرجاء والأمل ، فلو كان أصحاب هاتين المهنيتين على مستوى المسؤولية أمام الله سبحانه وتعالى . لكان الحال غير ما هو عليه الآن .

## (٢) الخطابة

وهى من الوسائل القديمة أيضا وماتزال سلاح الرؤساء والزعماء وقادة الرأى ، كما كانت من مواهب الرسل والأنبياء . ومن الناس من يكون عنده استعداد فطرى للتأثير فى الآخرين كأن يكون صاحب صوت معبر ونطق سليم وله قدرة على التعبير الدقيق مع حضور البديهة وخفة الظل والمصورة المقبولة ( ولو أن ذلك الأخير وأمنى جمال المنظر ، ليس أساسيا ، فقد كان مبرابو خطيب الثورة الفرنسية الشهير غير حسن التكوين ، ولكنه كان ذرب اللسان قوى البيان ) .

ويجب أن يكون الخطيب الجيد كثير الاطلاع ملما بعادات المجتمعات التى يفطر للخطابة فيها ، ويعلم النفس والمنطق والتاريخ والأخلاق وغير ذلك من العلوم الانسانية . ذلك كما يحيط الطبيب بالتشريح ووظائف الأعضاء والأدوية ويعلم مقدار حاجة المريض منها فلا يسرف عليه ولا يقصر .

وقد قيل قديما " المرء بأصغريه ، قلبه ولسانه " .

ومن المعروف أن الخطبة المرتجلة هى أكثر تأثيرا من المقروءة - لأنها عادة ماتكون أكثر حرارة وواقعية ، مع مراعاة حال المخاطبين . وفق القول المأثور " أمرضا أن فخطاب الناس على قدر عقولهم " .

## (٣) المسرح

ويقال عنه أنه أفضل أشكال الأدب للتعبير عن الحياة . وقد استغله اليهود الى الغاية القصوى للترويج لقضيتهم ، والدعاية ، والكسب المادى وجمع التبرعات . ثم لتدريب الأشخاص الذين عملوا فيما بعد فى التمثيل أمام آلات التصوير سواء فى السينما أو الرأى وغير ذلك من وسائل الاعلام الحديث المتطور . وكذلك تدرب فى الاعداد للمسرحيات جماعات فى جميع الجوانب التى يحتاجها هذا العمل كالتنسيق والاخراج والاعداد المسرحى للنصوص ذلك عدا التمثيل على خشبة المسرح أمام الجمهور .

#### (٤) المهرجانات ، والمعارض

ويجوز تشبيه أسواق العرب القديمة مثل سوق عكاظ - بنوع من المهرجان -  
يقام أياما لتبادل المعلومات والاحتكاك الفكرى والثقافى والعلمى  
والتجارى بين الناس والدول . ومثله المعارض سواء كانت زراعية أو  
صناعية أو تجارية أو للكتب أو للآلات الطبية أو السيارات الى آخر القائمة .  
فكل هذه وسائل للدعاية والاعلام عن تقدم البلدان والحضارات - وتساهم  
فى الدعوة لمختلف الاتجاهات السياسية والفكرية بطريقة غير مباشرة  
ولكنها كثيرة الفعالية والتأثير.

#### (٥) الكتاب

هو اناء ووعاء لما يحتويه من الأفكار والعلوم ، فلو كان رخيما باهتا  
سعى التنظيم والطباعة والشكل . انتقى ذلك من قيمة ما يحتويه ، ولو كان  
دسم المحتوى ، ونفر الناس عنه الى غيره من المطبوعات الفاخرة الأنيفة  
اللامعة الملونة المصقولة المصورة ولو كانت مليئة بالسم الزعاف .

وفى عصرنا الحالى الذى غلبت عليه السرعة فى كل شىء ، أصبحت المطولات والشروح  
والحواشى مما لا يستطيع قراءته الا المتخصصون فى كل مجال بعينه . فمن  
ذا يقرأ كتابا فى الطب البحت الا الطبيب المختص ؟ وكذلك كتب الفقه  
والشريعة والحديث لن يقرأها الا علماءها . لذلك عمد رجال الكهنوت  
والتبشير الى تسريب أفكارهم فى كل اتجاه لتبريرها وهدم ماعداها فى  
نفس الوقت وتجريحها . وأصبحت الكتيبات والدوريات والقصص والروايات  
هى من أكثر المطبوعات انتشارا فى أيامنا هذه

#### (٦) الصحافة

رحم الله الشاعر شوقى اذ قال :

" لكل زمان مفى آية . وآية هذا الزمان الصحف "

اذ ماتزال المادة المكتوبة فى الصحف والكتب هى أكثر الوسائل تأثيرا  
فى المثقفين بالذات ، والكتابة هى خامسة الاعلام ومادته . ويطلع من  
الصحف حوالى اربعمائة مليون نسخة يوميا من مختلف الصحف فى العالم ،  
تمل بتأثيرها الى أكثر من نصف البشر البالغ عددهم حوالى أربعة آلاف  
مليون انسان فى أيامنا هذه .

وليس المسألة بعدد النسخ وانما بعدد القراء . وفى احصاء جاء فيه  
أن لليهود فى أمريكا وحدها ( ٢٤٤ ) صحيفة و ( ١٥٨ ) دورية ، وهى من  
أقواها تأثيرا وأكثرها توزيعا . ولديهم ثلاثون دورية فى كندا ، ( ١١٨ )  
صحيفة فى أمريكا اللاتينية ، و ( ٣٤٨ ) دورية فى أوروبا - ولهم فى  
العالم كله ( ٧٦٠ ) صحيفة ومجلة دورية . وتصدر فى الولايات المتحدة  
وكندا ١٨٦١ صحيفة يومية . وينص دستور الاتحاد السوفييتى على انشاء  
شبكة صحفية هدفها تدعيم النظام الشيوعى. (٢)

(أ) الاداءة

- ٦٤ -

## (٩) التليفزيون

بدأ الإرسال المرئى عام ١٩٢٨ فاقترح على الناس جذران بيوتهم ووصل الى النساء والأطفال وجمهور الأميين والعوام الذين هم أكثر تأثرا به بسبب الانبهار ، وفقدانهم للحصانة الثقافية وبالتالي انعدام قدرتهم على الانتقاء والاختبار. ويتكلف انتاج الدقيقة الواحدة الملونة أكثر من ألف دولار. وتصدر الولايات المتحدة وحدها عشرات الآلاف من ساعات برامج المرئى كل سنة .

ولاشك أن انتشار أجهزة المرئى وتدنى أسعارها تدريجيا حتى أصبحت فى متناول أكثر الناس كان وراء الاهتمام الزائد بالريافة مثلا ، ليس لممارستها وانما لمتابعة أخبار الأندية واللاعبين علامة على العصرية فهى صرصة هذه الأيام .

## (١٠) وكالات الأنباء

تسيطر على الاعلام الدولى خمسة وكالات عالمية تنتمى الى أربع دول صناعية ، هى ( اليونيتديرس ) ( والاسويتد برس ) فى الولايات المتحدة ، و ( رويتر ) الانجليزية و ( تاس ) السوفييتية ووكالة الأنباء الفرنسية ، أما الوكالات المحلية فمحدودة الدائرة ، ولاتأثير يذكر لها على مسرح الاعلام الدولى .

## المبحث الثالث

### الاسلام اليوم

لا فرو أن يسمى العصر الحالى فى اواخر القرن العشرين ، بعصر الذرة ، وعصر السرعة ، وعصر الاعلام أيضا .

لم يصبح الفكر المحرد فى أذهان أصحابه ومعتنقيه أو كتبهم ومحلهم - هو الوسيلة الوحيدة أو المثلى أو الأكثر فعالية أو الأقوى تأثيرا أو الأسرع وصولا الى عقول الناس سواء كانوا من أتباع الحق وأنصاره أو المبطلين .

ان عالم اليوم الذى أصبح كأنه قرية صغيرة يعرف سكانه الأخبار ساعة وقومها ، منقولة اليهم عبر وسائل الاعلام الحديث بالاقمار الصناعية واللاسلكى والمرئى التى يجوز تشبيهها بالمواريخ والطائرات مقارنسة بقوافل الابل والدواب فى العصور الخالية .

هل الأمر أدهى من ذلك - ففى القرية - يعرف الناس كل شئ على وجهه الحقيقى - أما فى عالم اليوم فقد أوشك المسيطرون على وسائل الاعلام الحديثة ووكالات الأنباء - وأقصد اليهود بالذات - أن لا يسمحوا الا بتمرير ما يخدم أهدافهم الكبرى فى السيطرة على العالم كله الى الوكالات ثم من خلالها الى ادارات الاعلام الخارجى فى كل بلدان العالم ليسمعه الناس فى المذياع أو يقرأونه فى الصحف أو يشاهدونه على شاشة المرئى ويتأثرون به يوما بعد يوم ويقتنعون فى النهاية بما يراود لهم - بطريقة غير مباشرة - ولكن بتخطيط محكم .

مثلا فى ديار الاسلام يعرف الوليد - المساجد والطلوات وصيام رمضان وفريضة الزكاة والحج ، سواء منهم الملتزم بدين الحق أو المنحرف عنه - ولكنهم لم يكونوا يعرفون المراقص والملاهى وفنون الدماره وأساليب الجريمة المنظمة وغير ذلك ، حتى تملكت اليهم بوسائل الاعلام المختلفة وطرقت عليهم بيوتهم عبر الوسائل الحديثة وأخرها وأشدها خطرا الشريط المرئى المسموع (الفيديو) . ذلك بعد أن مهدت لها أهائى الحب والغرام والخلاعة ، والتمثيلات فى السينما والمذياع والمرئى مدمومة بوسائل النشر الأخرى - حتى جعلت من كل المعاصى والمنكرات وكأنها شئ عادى لا يثير استنكارا ولا دهشة . وكذلك رفعت أرفع الناس الى مرتبة النجوم والأبطال أو هكذا تسميهم . وبخبت شديد وفعت أشرف الناس من لابس العمامة الاسلامية المميزة وحافظ القرآن الكريم - والملتحين من المشايخ أو جعلت منهم أضحوكة ومسله .

تم ذلك كله فى سياق واتساق وتتابع والحاج عبر السنوات ، وبجميع الوسائل حتى أوشكت أن تسقط حملة دين الله وفقهاءه فى أعين العوام وهم للأسف الكثرة الغالبة من جماهير المسلمين .

كان لقب العلماء يطلق على شيوخ الاسلام ، فليست عند المسلمين كهانة ولا رهبانية أما الآن فأول ما يتطرق للذهن عند ذكر اللفظة فهم ——— الأجانب الواقفين خلف الأجهزة فى المختبرات والمعامل وغرف العمليات ، أما الفقهاء فقد تفهقت صورتهم فى أذهان الناس الى من يعتقدون عقود الزواج ، ويتمتمون بالقرآن فى سرادقات العزاء ، وبينهم من تناول كل معطيات الحضارة الحديثة بلا استثناء . فى جاهلية أيامنا هذه بتسرد الأفكار والالحاد والشرك والاباحية فى كل صباح ومساء ، فى كل زاوية وركن فى أرجاء المعمورة عبر وسائل الاتصال الحديثة بالصوت المؤثر والموسيقى التصويرية والصورة اللامعة الملونة ليعطى الانطباع القسوى للنفوس المادى - ومع ذلك تجد صوت الحق ضعيفا ونور الاسلام محجوبا عن أمين بنى آدم التائهين الحيارى ، بسحب كثيفة من ذر شياطين الجنسة والناس والعياذ بالله .

من ذا الذى يتوجه الى المسجد لينفق الساعات يستمع الى درس أو موعظة ، الا من رحم ربك ؟ وكان الواعظ ممن يجتذب الناس اليه . قليل من الناس من يستمع الى اذاعات القرآن الكريم وهم عادة من المسلمين المتهتدين ، ( ولا حاجة بالأصحاء الى الطبيب ) كما روى عن السيد المسيح عليه السلام ، أو على الأقل ليست حاجتهم اليه ماسة كحاجة اللاهين المعرضين من الحق (١) .

ان القرآن دين الحياة ، ودستور السلوك للمسلمين فلا يمح أن يكون مهجورا فى المساجد ، ومعزولا على موجات اذاعية ، كذلك الفقه والتفسير وعلوم الاسلام يجب أن تكون علوما حية شأن الطب والهندسة والكيمياء ، تتناول مشاكل العصر وتمايش الأيام التى أصبحت سريعة الايقاع حتى أوقعت الحيرة والبهلولة فى نفس الحليم فأصبح حيران والعياذ بالله ، ان التسيارات

---

(١) الانسان بطبيعته يكره النصح والوعظ لأنه ينهاء عادة من شئ يحببها ويفعله ، أو يدعوه الى فعل شئ لا يميل اليه . والنصح يشعر الانسبان بالنقص وامتيلز الناصح الذى يحاول ارشاده وتوجيهه ، ولما كان الانسان يكره أن يعترف بالنقص فإنه تتولد فى نفسه حسنة خفية يقيمها عقله الباطن ضد الوعظ والارشاد . لذلك اتجهت علوم الاعلام الحديث الى الأسلوب المغلف وهو ما يملح للوسائل الحديثة وما تلح له أيضا ، أما أن يجلس الداعية مجلس الأستاذ ممن يدعوهم فلن يستمع اليه الا القليل . ولو كان مثل طبيب الأسرة أو الحى لكان أجدى لهم يستنصحوه فى كل شئ من شؤون حياتهم وصحتهم ضمن ذلك ، فليعالجهم بلباقة وحسن تصرف - والا هربوا منه ودواؤه المرير ، وواجبه كداعية أن يقول الحق ولو كان مرا - فلا بد إذن أن يكون جذابا ويكون دواؤه مغلفا بالسكر ، وأكثر الدوايا لا يستساغ لذلك يمزجونه بالعسل ويغلفونه بالسكر .

الحضارى والثقافى والانسانى للمسلمين من الضخامة والاحاطة والعمق - منذ عصر التنزيل والخلفاء الراشدين حين كان الدين صريحا صريحا ، والنقل بالمشافهة بسبب أمية الأمة والاشتغال بالفتوح ، وحتى اقامة دولة الاسلام العالمية التى امتدت من حدود الصين الى حدود فرنسا - فجاء دور التصنيف فى المائة الثانية بعد الهجرة منذ عهد الخليفة العادل عمر ابن عبدالعزيز رضى الله عنه - ثم دور المسانيد والمصاح فى المائة الثالثة بعد الهجرة . والحقيقة أنه بعد أن انقسم المسلمون الى سنة وشيعة وخوارج ، ثم الى أتباع مذاهب صحيحة ونحل فاسدة ، وبعد أن اعتنق الدين كثير من الأعاجم وأهل الكتاب وبعضهم من غير فهم صحيح لحقيقة التوحيد الأزلية الأبدية وأخذوا فى التأليف والدفاع والأخذ والرد وانتشر الكلام بعد أن تسربت الفلسفة اليونانية وطريقة اللاهوت المسيحى ، أخذ جوهر الدين السهل السمج فى الاختفاء تدريجيا وراء متعاطف من التفسيرات ، التى اختلطت بعلوم الفلسفة والتعريف والاسرائيليات وهكذا تحولت بعض كتب التراث الى أدوات تفريق وتمزيق للأمة - رغم أن الغرض من ارسال الرسل وانزال الكتب السماوية هو جمع الخلق على الحق . كما قال بعض السلف - وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم " انما بعثت لأتمم حسن الأخلاق " (١) وقال " بعثت بالحقيقة السليمة " (٢) .

ونحن المسلمين فى أيامنا هذه وقد أصبحنا كالأيتام فى مأدبة اللشام - لا طريق لنا للخروج من هذه الوحدة التى نتردى اليها يوما بعد يوم الا بالعودة الى الوحدة فى أصل الدين نستلهمه اصلاح العقيدة الأخلاق والأعمال ، بالدعوة بل طريقة للاعلام والتعليم ، وهما من أمضى أسلحة العصر ، وقد مهر فى استخدامهما اخوان الشياطين يعدون الناس بواسطتها عن سبيل الله ، ويقطعون عليهم الطريق ويستهمون

- 
- (١) رواه : الامام مالك فى الموطأ ، وأحمد فى المسند ( راجع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث مادة ( خلق ) .
- (٢) رواه : الامام احمد فى مسنده ( راجع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث مادة ( حنف )

الأقوياء وذوى الذكاء والموهبة فيجيبونهم ويصبحون من أوليائهم (١).

اننى أعتقد أن علوم الدين لاتنفع من الحياة أبداً فى أى عمل أو خاطرة .  
وان الطب على سبيل المثال من العلوم الأساسية التى بحث عليها الدين .  
فكما تجب صيانة العقائد والأخلاق والأعمال كلها من الفوضى والاضطراب بأن  
يعلم كل انسان مسائل الدين الملازمة له أو تحدث له فى أغلب أحيائه وقد  
لاندج مطلبها فقيها - كذلك ينبغى شرعا أن يعلم من أمور صحة بدنه وسلامة  
عقله ومايتعلق منها بالطهارة والنظافة وسنن الفطرة وآداب الطعام  
والشراب والنكاح - ومايعرض فى أيامنا كالسفر بالطائرة والأمراض  
المصاحبة له وكيف يتوقاها أو يعالجها ، وأمر تكيف الهواء وعلاقته  
بالصحة ، والصناعات الحديثة الى غير ذلك من أمور هى من فقه الطب  
ان جاز التعبير . وهى تتجدد وتتطور - ولم يرد نص شرعى بوجوب التوقف  
مند مفاهيم أحد من العلماء والأطباء مهما مبالغ من مبررية فى زمانه .  
والواجب تصوير الحقيقة وبيانها للناس فى أبغ صورة وأجملها وأقواها  
أشرا (٢) ولايجب على كل انسان أن يبحث كل شئ والاضاعت وظيفة أهل الذكر .  
وانما يتملى بعض أبناء المسلمين من بعض العقائد الصحيحة لجهلهم بها  
أو نفورهم من طريقة مرضها عليهم . وليس الاسلام دين وعظ مجرد ، وانما  
هو طريقة حياة سهلة بناءة لاتعقيد فيها ولاغموض ، حياة ممتعة لارهبانية  
فيها ولا تزهد مبالغ فيه كما يفعل الهنود ، حياة مثمرة فيها المسمى  
الدائب فى الدنياخير من القصور . ذلك ما جاء به النبى القائد للبشرية  
فى ختام مراحل تاريخها وحتى قيام الساعة - طوات الله وسلامه عليه .

(١) نظرة الى جمهور رجال الاعلام اليوم .. ونسأله ممن يختارهم اساطير  
الاعلام الذين يسيطرون عليه الآن - نجدهم ممن يملكون الاستعداد الفطرى  
والموهبة الخلقية الجمالية ثم أنهم يدربونهم ويجهدون لهم السبيل  
للظهور طالما كان ذلك فى خدمة أهدافهم فى افساد البشر بأشارة فرائضهم  
بالالجاج على القيم المادية وحدها ، واطهارها متفوقة منتصرة فنية  
قادرة على كل شئ . وفى نفس الوقت يفسهون القيم الروحية وينكسرون  
الغيب ويشوهون الاسلام باظهار رجاله فى أردل صورة . فى أفلام السينما  
والمسلسلات فى المسرح والمذياع وحتى أفلام " الكارتون " ( الصور  
المتحركة ) تجد العربى وهو رمز للمسلم دائما هو الشره الأكسول ،  
الشهوانى المزواج ، راكبا على الجمل أو الحصان قابضا على السيوف  
يحتدى على الآخرين . ثم أنه لايتحتاج بعد ذلك من الغربى ( السوبرمان )  
إلا الى ركلة ، أو خدمة صغيرة لينكفى مدحورا مهزوما !!

(٢) ولاتكفى الحقيقة وحدها مجردة ، بعد أن أثرت الدعاية فى الناس فتسلطت  
على نفوسهم الشهوات وحب المتاع وهى معهم دائما بالطبيعة وتذكيتها وتؤجج  
أوارها وتزينها أساليب الاعلام الكافر التى مهما تنافست فيما بينها ،  
تآزرت وتكاتفت لحرب الاسلام الحق فى كل زمان ومكان وحتى قيام الساعة .



ان فساد الأمم وتأثر أمة الاسلام بذلك فى عصورها المتأخرة بعد أن توقف اجتهاد ابنائها، وظهور أعراض المرض فيها ناتج عن اضطرابنا للأخـذ بوسائل الحياة فى القرن العشرين ، وكأن التقدم المادى مشروط بالفساد الأخلاقى - وليس كذلك ، بل ان القوة والحياة الصحيحة يمكن أن تعود بواسطة التلقيح العلمى - ان جاز التعبير - كما يتم تلقيح النبات والحيوان بالسلالات القوية مع الاحتفاظ بالميزات الأصلية للدين الحق والترجيح بالمصلحة القائمة على الدليل الشرعى المبين .

ولا ينبغى أن يقعد بنا الكسل والتباطؤ عن بيان الحق بالعقل ، اذ لن يبقـى عندئذ الا المفلون الذين تحول بينهم وبين الحق شهوة المصالح الشخصية وهو لاء باقون الى يوم الدين وفيهم يقول سبحانه وتعالى " يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ، ولو كره الكافرون"(١)

ان اعجاز القرآن الشامل للتحدى الأبدى بأقصر سورة منه قائم ومتعاطف كل يوم باستعجام الألسنة حتى فى السلالات الباقية من العرب الغابرين ، ولكن الاعجاز القرآنى ليس فى بيانه فقط وانما فى علاجه لأمراض العالم جميعا الى الأبد. وقد بهت فصحاء العرب عند سماعهم التنزيل المحكم على النبى الأمى وسلموا بأن ذلك لا يكون قول بشر. وبالرغم من ذلك فقد راعى التشريع السماوى حال الأمة واعتبارات الزمان والمكان . ولذلك نزل منجما بحسب الأسباب والحوادث . وآلات البيان فى أيامنا هذه قد أصبحت وسائل الاعلام .

ولهذا يجب أن تكون الدعوة ليست بالنص فحسب ، بل بمعانى الدين وحكمه أيضا بما يلـى حاجة الزمان ، ويجب أن يكون الداعى فى نظر من يتصدى لدعوته على أحسن صفات الانسان بقدر الامكان . لئلا يشوه القبح المادى أو المعنوى جمال الحق . فيحول بينه وبين القلوب .

ان انصراف الناس اليوم عن الاسلام ، ليس الى سواه . لأنه لم يبق من الحق سواه . ولا لضعف ظهر فى سياسته ، أو سقوط فى آدابه ، أو اضطراب فى قوانينه ، أو نقص فى استدلاله ، أو تكذيب لأخباره . وانما هو فى الأغلب نتيجة لجمود أهله ، ووقوف دعائمه ، وضعف أنصاره وطلابيه .

ولما كانت فطرة العربية الفصحى قد بادت أو كادت ، فان معنى الجمال فى الصنعة البيانية القرآنية قل من يدركها الا من رحم ربك من القابضين على الجمر ، وبذلك ضعف الاحساس بهذا الجمال .

وتمكن أعداء الاسلام فى غفلة من أتباعه ، من تلمس المطاعن على الرسول المعصوم والسنة المطهرة ، ثم روجوها عبر وسائل الاعلام . كقولهم عن انتشار

تتغير جواهرها الفعالة المؤثرة ، ولكن تم تعليلها وتغليفها ومعايرتها واستخلاص النافع منها وطرح الضار أو الدخيل جانبا ، وذلك شأن الحواشى والتعليقات ومطولات الشروح التى لم يعد زماننا يسمح بترديدها الا للعلماء المتخصصين فيها - شأن علماء الطب والصيدلة والكيمياء المتخصصين فى تاريخ هذه العلوم .

ان من المداخل الاساسية الى ترشيد الفكر الاسلامى الحديث ، والعمل على نشره عند غير المسلمين ، وترسيخ الايمان به عند أمة الاسلام - الاستخدام الأرقى للوسائل الاعلامية المتقدمة المتاحة ، مع ملاحقة الأحداث والمشاكل العملية التى تواجه الناس كل يوم مع التنمية والتحديث ، بما يسبب المشاكل النفسية والانفصام بين اضطرارهم لمعاصرة الأيام ، وعدم تيقنهم الحكم الشرعى بالنسبة لكثير مما يواجهون فى حياتهم اليومية فى أواخر القرن العشرين . وهناك شعور سائد - قد يكون خاطئا - أن فقهاء الاسلام يرفضون كل جديد لأنه بدعة ، والناس تميل الى معرفة الجديد اشباعا لغريزة حب الاستطلاع .

لذلك يجب أن يكون اعلامنا أكثر فائدة ، وجاذبية أيضا - فان التطور العجيب فى فنون الاعلام ووسائله فى العقود الأخيرة منذ بداية الاربعينات من القرن الميلادى الحالى ، وتطور الارسل من اشارات مرسى اللاسلكية القديمة الى المبرقات الكاتبة ( التلکس ) وآلات التسجيل الصوتى والمرئى وغير ذلك عبر الأعمار الصناعية الى آخر ما نسمع به من اتصال عبر اشعة الليزر مثلا - كان ذلك التطور فى وسائل الاتصال من أهم أسباب تعميق الشعور بالضعف والتخلف لدى الدول النامية ومنها ديار الاسلام الآن - لأن ذلك قد نتج عنه تدفق المعلومات فى اتجاه واحد من الغرب الى الشرق بسرعة وكثافة وتركيز فانتج شعورا بالتخلف الثقافى - اذ ليس من المعقول ولأمن المنتظر أن ينتجوا شرائط مصورة عن تاريخنا المشرف أو حاضرتنا المكافح المتطلع للأخذ بأسباب الفلاح ، بل ان عكس ذلك هو الواقع - فانهم يفرّبوننا بالنار كلما استطاعوا ، ويمهدون لذلك ويتبعونه بأن يمحّطوننا بوابل اعلامى يزعم ثقتنا بأنفسنا ، ويدخل الوهن الى قلوبنا ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

## المبحث الرابع

### الإعلام الإسلامى والطوفان

قلنا فيما سبق أن الاعلام أصبح يرتبط برجل الشارم بما يؤثر فى حياته ، ويشير غريزة حب الاستطلاع فيه ويشبعها . وهذه فى الحقيقة وظيفته منذ البدء وحتى عصرنا هذا الذى يمشى فيه الانسان على القمر ، وكل ما فى الأمر أنه قد برزت مستحدثات وأدوات وأجهزة آليه وبشرية لتكبير هذه الوظائف ومد نطاق فعاليتها . فمثلا ، اتسع مجال الكتابة باختراع المطابع ثم بعدها آلات التصوير وأجهزة العرض ثم الأجهزة التى تجعل الانسان يسمع ويرى ما يجرى على بعد آلاف الأميال فى نفس لحظة وقوعه ، وأصبح المذياع والمرضى من سمات العصر ، ودخلت الأقمار الصناعية فى خدمة الاعلام - وهكذا كسان السبب الأول والأهم لأن يصبح العالم كله كمثلى قرية صغيرة هو - الاعلام الحديث .

### مفهوم الاعلام الإسلامى:-

لتحديد ذلك بدقة يجب توضيح أصل الموضوع فى جوهره وحقيقته من جانب ، والصورة التى نراه عليها حاليا من جانب آخر .

ان المجتمع الإسلامى الذى يطبق الشريعة الإسلامية هو مجتمع شمولى من حيث العقيدة ، ومتكامل من حيث التنظيم وفقا للشريعة . والاعلام فى مثل هذا المجتمع لابد أن يعكس شمول العقيدة وتكامل البناء الاجتماعى ، ومن ثم يكون كل شئ فى هذا الاعلام من الدعاية والترفيه والمرح والمزاح - حتى مواجهة الخطر والحرب والموت ، هو اسلامى الفكرة والهدف فى الثقافة والترويض والتسلية وفى صدق الأخبار وشرحها والتعليق عليها . أما المجتمع الذى يطبق من الشريعة شيئا ويترك أشياء ، أو يتحايل عليها بالمخالفة أو المنع أو الالتفاف ورغم ذلك يسمى نفسه مجتمعاً ودولة اسلامية ، فان الاعلام فيه بصفة عامة لا يمكن أن يسمى اعلاما اسلاميا - وانما هو يمثل شيئا معاشا وأصبح من سقط المتاع فى اعلام الدول الغربية الرأسمالية المتقدمة ، أو الدول الشيوعية أو خليط منها معاً . اضافة الى محاولات تقليدية أو ابداعية أحيانا . وبين هذا اللون الاعلامى نجد جانبا منه يسمى ( الاعلام الدينى ) أو ( البرامج الدينية ) أو ما شابه ذلك من التسميات ، التى تحتتم على الباحث فى الاعلام أن يرفع ( الاعلام الإسلامى ) فى مثل هذه المجتمعات ضمن ( الاعلام المتخصص ) وليس الاعلام العام شأن الاعلام الاخبارى أو الترفيهى مثلا .

والواجب أن يكون الاعلام الاسلامى عاما وعصريا وعالميا - أى أن لا يكون خاصا بمجتمع معين أو دولة بعينها ، عكس ما هو كائن الآن حيث انه اعلام متخصص ، معزول فى البرامج الدينية فقط ، والصفحات الدينية وحدها - وهو متخلف نتيجة اعتماده على اسلوب واحد ، وطابع متماثل.

ان الدين الاسلامى - باعتباره منهج الحياة فى أكمل صورها وأشملها - ينبغى أن يشكل كل قيم الحياة ، وأن يصبغ كل تصرفات الفرد والمجتمع بصبغتة السامية ، ومن هنا فان تجميد الاعلام الاسلامى فى صورته التقليدية كالخطابة والمحاضرة مثلا - قد أوقع ضررا بليغا بالدعوة الى المعانى العظيمة التى جاء بها الاسلام .

اننا لاننكر هنا دور الصور التقليدية الكبير ، لكن نريد أن نواجه العصر بأساليبه فندخل المعانى الاسلامية الى السامع ، أ والمشهد ، أو القارئ من خلال قصة قصيرة أو طويلة ، أ و من خلال تمثيلية تأتى هذه المعانى فى اثناء الحوار وكأنها أمر عرضى ، وينتهى الأمر بتثبيتها فى نفس الانسان المعاصر ، ونفاذها الى قلبه فى سهولة ويسر من غير أن يشعر بتوجيه أمر أو نهى اليه ، ومن قبل أن يقف موقف المتحفظ لرد هذه الرسالة الاعلامية الجليلة بلسان الحال أو المقال ، وهكذا نجح الاعلام الحديث فى غزو العقول والقلوب والأفكار بالشر ، وأولى بإعلامنا القائم على الحق أن ينازله فى هذا الميدان ، لينقذ الناس من فنون الضلال .

### رابع الاعلام الاسلامى :-

هو فى كافة الدول الاسلامية فى وضع المستهلك المستورد ، وليس فى أى منها الاكتفاء الذاتى فضلا عن أن تكون احداها دولة منتجة لما يفيض عن حاجتها . وفى مجال وكالات الأنباء نجد أن كل دولة اسلامية لها وكالتها المحلية الصغيرة محدودة الدائرة ، وليس لى منها تأثير على الاعلام العالمى أو فيه . ومشكلة ديار الاسلام فى مجال وكالات الأنباء هى مشكلة العالم الثالث بأسره فى هذا المجال - وهى أن امكانيات هذه الوكالات المحلية لاتسمح لها بالانتشار فى جميع بلدان العالم لذلك لابد لأبناء العالم الثالث أن يعرفوا أخبار الدنيا عن طريق وكالات الأنباء العالمية ، حتى أخبارهم أنفسهم يعرفونها عن طريق لندن وباريس وواشنطن - وهذه الوكالات العالمية مهما حاولت الحياد والموضوعية انما تعبر عن مصالح وسياسات وثقافات وحضارات مختلفة . ان لم نقل أنها معادية للإسلام من حيث هو دين وعقيدة وشريعة ، ولأهله باعتبار مقاومتهم لمطامع الكفار - وخاصة اليهود - فى احتلال أراضيهم ، وسلب مقومات حياتهم !! .

ويمكن تجسيد عمق هذه المشكلة في العالم الاسلامي اذا علمنا أن أخبار الكويت مثلا تنشر في السعودية أو مصر أو العراق عن طريق احدى الوكالات الدولية للأنباء . أو أن أخبار الحرب العراقية الايرانية على الحدود المتاخمة لنا ، والمراع الدائر في لبنان ، وأخبار الاعتداءات الاسرائيلية تأتينا جميعا بنفس الطريقة ، لأن الدول التي تنشر الخبر ليست لديها وكالة تستطيع تغطية أحداث البلاد الإسلامية جميعا ، ولا الدول التي تقع فيها الأحداث هي أيها مندهمسا الوكالات القوية التي تستطيع نشر أخبارها لبغية الدول !! .

وفي مجال الانتاج المرئي نجد الدول الإسلامية بحكم واقع الحال المؤسف اعلاميا ضمن دول العالم الثالث هي دول مستوردة ، وتمثل السوق العالمية للمرشـــــى حوالى ألف مليون من المشاهدين . وتدل هيساكمل الاتصالات الدولية في الوقت الحاضر على أن البلدان النامية هي المستورد الرئيس للبرامج التي تشتريها من البلدان الغنية المتقدمة .

والواقع ان حرية تداول البرامج المرئية تعنى أن حرية الانتاج لا تخص الا البلاد التي تملك موارد اقتصادية ضخمة ، أما البلاد الفقيرة فانها تعتمد على الغنية في هذا المجال أيضا ، في غذاء العقول والضمائر ، كما تعتمد عليها في غذاء البطون فتستورد منها اللحوم والحبوب !! .

ان تكلفة انتاج البرامج المبتكرة مرتفعة للغاية ، يغطيه توزيعها في السوق الدولية - لذلك تجد الدول النامية أن شراء أو استئجار المنتجات الأجنبية هو أرخص الطرق لملا ساعاات الارسال المرشى أو الاذامى .

ويجرى تداول الأنباء والبرامج في العالم في اتجاه واحد طبقا لدراسة نشرتها هيئة اليونسكو سنة ١٩٧٧ م<sup>(١)</sup> - ينبع من الولايات المتحدة ، والمملكة المتحدة ( إنجلترا ) ، وفرنسا ، وألمانيا الغربية ، ويتجه نحو البلدان النامية - ذلك الى جانب التيار النابع من الاتحاد السوفييتى الى البلدان الشيوعية ومن على شاكلتها .

والمشكلة الحقيقية في عملية استيراد البرامج ليس في تكلفتها فحسب ، وانما في أن المواد الاعلامية المستوردة تشكل تهديدا للثقافات التقليدية ، وأنها تخضع لاعتبارات تجارية ارضاء لأذواق المشاهدين والقراء والمستمعين في البلدان المنتجة ، وبالتالي فهي لاتلائم احتياجات المجتمعات التي تستوردها .

وفي مجال الكتاب نجد الكتاب الاسلامي باللغات العربية والفارسية والأردية والتركية وغيرها ، لا يمثل ثقلا في المجال العالمى - والترجمة من هذه اللغات الى بعضها البعض والى غيرها من اللغات الحية - قليل اذا ما قورن بما يترجم من الانجليزية والفرنسية الى العربية مثلا .

---

(١) من مجلة اليمامة - العدد ٦٣٦ في ٢ فبراير سنة ١٩٨١ م

والحديث من الكتاب والمواد المسمومة والمرثية ووكالات الأنباء - يشكل نماذج وأمثلة لمختلف وسائل الاعلام والتعليم والثقافة بصفة عامة - فالاسطوانات والأشرطة المسجلة والمسرحيات وغير ذلك تمثل ظاهرة تدفق المعلومات من منبع واحد هو الدول الصناعية المتقدمة الى الدول النامية ، وأهمها الدول الاسلامية ، من حيث الموقع والثروة والثقافة - وهي امكانات التقدم .

وهكذا فان الواقع المرير هو غياب الكتلة العربية ومن ورائها الاسلامية عن الساحة الاعلامية الدولية بتأمر من الشرق والغرب معا ، وأيضا بسبب طفلة الاعلام العربي والاسلامى . الأمة التى رفعها رب العزة بقوله " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر " وتقولون بالله " (١) - تظهر اعلاميا وكأنها أمة تضحك من جهلها الأمم - ذلك بعد أن منحها الله سبحانه وتعالى العدد الوفير والثروة الكبيرة ، وحدد سبحانه منزلتها من العالم فقال " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا . " (٢)

ان الاعلام والفنون - وهما توأمان - قد أصبحا فى موقف من يتحدى كرامة أمة الاسلام ويهزأ بها ، اللهم الا بصيما من شعاع الأمل فى طبقات من الظلمات . وللأسف فان بعض الدعاة يحاربون بالسلبية ، أو بضييق الأفق جميع وسائل الاعلام ، وهى كالسيف فى يد اللجّة ، ويمكن أن يكون ماضيا أيضا فى يد الأبرار .

والواجب الأعداد لغزوها والسيطرة عليها من طريق فهم أساليب العمل فى ميادينها العلمية والآلية ، لا أن تترك مهجورة للمعاشين والمجاهدين من العصاة والمفسدين . ان انتقاء الموهوبين وتوجيههم ودعمهم - ليجاهدوا فى سبيل الحق بالقلم والريشة والعدسة والجهاز والآلة الحديثة مثلما يجاهد جندي اليوم بالمدفع والدبابة والطائرة والصاروخ ، والا أصبح الواعظ فى المسجد ، أو المعلم المسلم فى المدرسة ، أو الداعية المخلص فى محاضرة أو مناظرة أو كتاب كمن يقاتل بالسيف والخنجر ، صاروخا أو طائرة مقاتلة .

---

(١) سورة آل عمران : ١١٠

(٢) سورة البقرة : ١٤٣

## الجهود لتنظيم الاعلام الاسلامى :

عقدت عدة مؤتمرات ، وتم انشاء منظمات للاعلام الاسلامى - ولكنها -  
فى المجال الدولى لاتمثل أكثر من بدايات متواضعة - وعسى أن تتطور للتأثير  
فى الاعلام العالمى ان شاء الله - ومن هذه :-

### ٠١ منظمة الندوة العالمية للشباب الاسلامى :

كان الاعلام الاسلامى هو موضوع لقائها الثالث فى مدينة الرياض فى ٢٣/١٠/١٣٩٦ هـ ( ١٦/١٠/١٩٧٦ م ) وكانت التوصيات كالاتى :

\* تتبنى الندوة الدعوة الى اجتماع تأسيسى لانشاء اتحاد دولى أو منظمة  
عالمية للصحافة الاسلامية يكون من مهامها :-

- أ - العمل على توفير أجهزة متخصصة فى الصحافة الاسلامية .
- ب - توفير المادة الجيدة الهادفة والتعليقات والبحوث والدراسات  
الاسلامية الواعية ، وامداد الصحف والمجلات الاسلامية بها .
- ج - اصدار دليل للصحافة والصحافيين الاسلاميين بالتعاون مع  
المنظمات الصحفية الاسلامية ووكالة الأنباء الاسلامية وجمعيات  
علماء الاجتماع الاسلاميين .
- د - دعوة الصحافة والاعلام فى العالم الاسلامى للتقيد بأخلاق الاسلام  
ومثله وقيمه ومتابعتها والعمل على التزامها بذلك .
- هـ - العمل على تكوين رابطة للصحافيين الاسلاميين فى مجال المرمى  
والمسموع .
- و - انشاء شركات ومؤسسات نموذجية اسلامية للانتاج السينمائى  
والتليفزيونى والاذاعى .
- ز - مناشدة اذاعات العالم الاسلامى العناية بالاذاعات والبرامج  
الموجهة للأقليات الاسلامية لتعليمهم مبادئ الاسلام واللغة  
العربية ومساعدتهم على الاحتفاظ بشخصيتهم الاسلامية .

### ٠٢ منظمة المؤتمر الاسلامى :

فى رجب ١٣٩٥ هـ ، صدر قرار المؤتمر السادس لوزراء خارجية الدول  
الاسلامية فى جده بانشاء منظمة اذاعات الدول الاسلامية .  
وجاء فى أهداف هذه المنظمة الوليدة نشر الدعوة الاسلامية ، والاهتمام

بالتراث ، والتعريف والدفاع عن القضايا الاسلامية ، وتبادل انتاج البرامج الازاعية والأخبار والمعلومات الفنية والتقنية ، وتدريب الموظفين فى المجالات الازاعية ، وتعزيز التعارف بين الشعوب الاسلامية وتعميق روح الاخاء بين المسلمين ، وتنظيم التعاون مع المنظمات الدولية .

وقد تمكنت المنظمة من انجاز بعض المسلسلات للمرئى مثل بعثة الشهداء الذى عرضه التلفاز السعودى فى ربيع الأول سنة ١٤٠١ هـ مما يدل على أن هذه المنظمة لو أتيح لها الدعم المطلوب فانه يمكنها أن تؤدي عملا بناء جيدا فى خدمة الدعوة الاسلامية ، وربما مع الوقت تصبح ذات تأثير على المستوى الدولى . ولكن مايقال منها يمكن أن يقال أيضا عن وكالة الأنباء الاسلامية .

واذا كانت منظمة المؤتمر الاسلامى تمثل تجمعا لحكومات البلدان الاسلامية - فان رابطة العالم الاسلامى فى مكة المكرمة تمثل شعوب العالم الاسلامى - ولها نشاط اعلامى ملحوظ كان من أهم أوجه انعقاد المؤتمر العالمى الأول للاعلام الاسلامى فى جاكارتا عاصمة اندونيسيا من ٢١ الى ٢٤ / ١٠ / ١٤٠٠ هـ . واشترك فيه قرابة اربعمائة شخصية اعلامية اسلامية من مختلف انحاء العالم يمثلون كافة أشكال وسائل الاعلام الاسلامى . وكان من أهم توصيات هذا المؤتمر: -

أ - تبنى انشاء مراكز للمعلومات لامداد الحقل الاسلامى بالمعلومات الموثقة .

ب - الاستعانة بالطاقات الاسلامية فى مختلف مجالات الاعلام .

ج - حث الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامى على تنشيط دور وكالة الأنباء الاسلامية بأسرع وقت ممكن .

د - دعوة وكالات الأنباء فى العالم الاسلامى الى ابراز أخبار العالم المسلم ، والعناية بها ، لكسر طوق العزلة الذى تفرضه وسائل الاعلام المعادية للإسلام .

هـ - دراسة امكانية انشاء صحيفة يومية ومجلات اسبوعية وشهرية اسلامية - بعدة لغات - تصدر فى يوم واحد بالعواصم العالمية والاسلامية .

و - دراسة امكانية انشاء شركة أو شركات اعلانات اسلامية حماية للصحف الاسلامية من الوقوع تحت ضغط الشركات المعلنه الاجنبية .



هذا الى جانب اصدار ميثاق جاكارتا للاعلام الاسلامى الذى يعد من اهم مواثيق الشرف الاعلامية فى العالم الاسلامى المعاصر .

(١)

ومن مقترحات كتبها باحث اعلامى بمجلة اليمامة السعودية : -

١. الدعم المالى - مثلا واحد فى الالف من الدخل القومى للدول الاسلامية للاعلام والدعوة .
٢. التنسيق والتعاون بين الصحف الاسلامية والمجلات الهزيلة والمتباعدة .
٣. انشاء مركز عالمى للاعلام بالدعوة - يترجم معانى القرآن الكريم الى جميع اللغات ، وينشر الدعوة الاسلامية بمختلف وسائل الاعلام .

وكل هذه المقترحات وماقبلها طيبة ولايبقى غير التنفيذ !!

## المبحث الخامس

### نظرية في الاعلام الاسلامي (١)

من حق المسلمين اليوم أن يوقنوا بأن النصر لهم في النهاية ، فقد بشر القرآن الكريم المسلمين القلائل المضهدين في مكة ثم المحاصرين في المدينة - وهم قلة تواجه العالم بأسره - بشرهم بالنصر القريب والفتح المبين - وهكذا كان حين صدقت العزائم .

والحقيقة أن الفكر الاسلامي المعاصر لم يقم بما ينبغي عليه من التكيف السريع مع وسائل العصر وتسخيرها لخدمة الحقيقة ، ولا هو استطاع الاتصال بالناس مع ما يكتنفهم من الهم والحاجة - ولذلك كان ذلك الغياب الاسلامي عن الصراع العالمي الدائر الآن على ساحة الاعلام . وقد تعددت المقترحات والنظريات التي تتحدث عن خصائص ومقومات الاعلام الاسلامي المعاصر ، حتى يستطيع البروز الى ساحة الاعلام العالمي مؤديا وظيفته العظيمة في تجلية الحقائق الالهية ، وانقاذ البشرية مما تعانيه من صراع واضطراب .

ومن ذلك ما كتبه الاستاذ زين العابدين الركابي :

#### المضمون الكلي للنظرية :-

١٠ العلانية : هي منهج الوحي وأسلوبه في خطاب الناس ونشر الحقائق ، منذ انتهى الدور السري للدعوة بمكة وقد كان قصيرا واستثنائيا . قال تعالى " هم يفتسئون ؟ من النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون . " (٢) والنبأ لا يكون سرا لأن طبيعته الظهور والعلانية .

ومن شواهد ذلك قوله تعالى في آيات كثيرة لرسوله صلى الله عليه وسلم - كلمة " قل " وهو فعل أمر والزام بقول الحقيقة ، ومن الشواهد أيضا الأذان للصلاة علنا وبصوت جهوري ، ومنها رفع الصوت بالتلبية في الحج . وذلك كله ينبثق من طبيعة الاسلام الاعلامية وجمعه المعجز بين الاخلاص الخفي والمظهر العلني - ومن شواهد ذلك قوله تعالى " هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون " (٣)

(١) باختصار وتصرف عن البحث المقدم من الأستاذ زين العابدين الركابي بعنوان " النظرية الاسلامية في الاعلام " - عن كتاب الاعلام الاسلامي والعلاقات

الانسانية ٢٩٢ - ٣٣٥ .

(٢) سورة النبأ ٣-١

(٣) سورة التوبة ٣٣

وذلك وعد الله الذى يتضمن النصر على فكر البشر ومذاهبهم، وأجهزة الاعلام الحديث هي منابر الظهور والهيمنة والتفوق . ولقد ضاق الجاهليون قديماً بالظهور الاعلامى للاسلام فلجأوا للتشويش " وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون" (١)، وكذلك سيفعلون - والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون .

٢ - الوحي : أو البلاغ المبين - فى أجمل صورة وأسلوب ، وأحسن وسيلة - مع مراعاة الاعتبار الظرفى ، فان العصر أو الزمان له وزنه الراجح فى تحديد أساليب التبليغ .

ومثال ذلك ايمان سحرة فرعون وسجودهم كان نتيجة البلاغ المبين الذى وفق الله موسى اليه - وقد اختار أن تكون المباراة فى حفل عام " قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس حشياً" (٢).

وسحر أيامنا هذه هو الاعلام بوسائله التقنية وفنونه المختلفة وسرعة بثه وقوة تأثيره وبراعته فى تزيين مايراد تزيينه .

واذا كان وحى السماء قد انقطع بعد انتقال الرسول للرفيق الأعلى فان حقائق الوحي لاتزال محفوظة ، فليس أمام المسلمين غير اتقان فنون الاعلام أداء لواجب البلاغ المبين ، وابطالاً لصناعة السحرة المعاصرين بما لديهم من وحى الله المحفوظ، وتوضيح المضمون يتضمن القدرة على التوصيل - ويفتضى معرفة علوم الاتصال والتحكم فى الاعلام المعاصر ، والتعريف عن طريق بث المعلومات عبر البرامج الثقافية والتعليم ، والاقناع بالقُدوة الحسنة والمثل الحى والحجة المنطقية .

٣ - البيانات : وتعنى الاهتمام بالاحداث والتعبير المناسب عنها - وهما شرطان عمليان بنى عليهما الاعلام المعاصر فرص نجاحه . وشاهد ذلك من القرآن ماتنزل منه حين كان الروم يهزمون أمام الفرس والعرب يتابعون أنباء المعارك - قال تعالى " ألم. هلكت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . فى بضع سنين " (٣) وهى معجزة قرآنية وخبر قد تحقق على الوجه الذى أخبر به القرآن .

ومن الشواهد أيضاً مسارعة المسلمين لأداء صلاة جماعة معلومة حين يحدث خسوف للشمس أو كسوف للقمر .

---

(١) فصلت ٢٦

(٢) سورة طه ٥٩

(٣) سورة الروم ١ - ٣

فالشاهد الأول تعبير اعلامى مناسب عن حادث بشرى ، والثانى عن حادثة كونية . اذن الارتباط بالأحداث جميعا والتعبير الظاهرى الاعلامى عنها هو من خصائص مضمون النظرية الاعلامية الاسلامية وهو من صميمها منذ البدأ .

ان اذاعة الحقيقة فى ابانها من الزمان والمكان، والحالة النفسية المواتية لبث الرأى والمعلومات، يجسد معناها ويعمق مفهومها .

### خصائص النظرية :

**الوسيلة :-** ان ما يظنه الناس صعوبة فى استخدام وسائل الاعلام المعاصرة انما هو التيسير ذاته لأنها تختصر مساحات المكان ومسافات الزمان وتخطب أكبر عدد من الناس فى أسرع وقت ممكن ، كما أنها أكثر جاذبية . لذلك ينبغى تسخير هذه الوسائل لخدمة رسالة الحق .

ان الاسلام لم يخترع اللغة العربية ولا النطق بها والخطابة ، ولم يخترع السيف والخيال . وانما استخدم هذه الوسائل الموجودة فى زمان التنزيل فى سبيل أهدافه وغاياته بعد أن منحها الضابط الأخلاقى والمضمون الحقيقى .

قال تعالى " وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومهم ليهيئ لهم " . (١)  
فالمسلم اذن مكلف بمخاطبة جيله بلسان العصر ، والجيل الذى نضج فى الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين الميلادى مسئول عن وسائل عصره هل أتقن أو أهمل ؟ وأمثلة ذلك :-

( السبغما ) :- لو أحس الاسلاميون فى مصر بجدوى هذه الوسيلة وفعاليتها لنافسوا النصارى واليهود منذ البداية وهم الذين قد استخدموها للمساهمة فى حرب الاسلام وصرف انتصاره عنه . وحين توجد النخبة الاسلامية الممتازة فى هذا الحقل ويرتفع مستوى الأشرطة الهادفة لا يمكن أن تكون الوسيلة ذاتها ممنوعة .

( العرفى ) :- الذى وفر الوقت واقتحم على الناس بيوتهم هو من أكثر الوسائل تأثيرا فى أمة العرب والمسلمين التى تبلغ الأمية فى بعض اقطارها ٩٥ ٪ ويبلغ عدد اطفالها مئات الملايين . وعلى سبيل المثال فأطفال الأمة العربية بين الخامسة والرابعة عشر ١٩٨٠ م حوالى ٤٣ مليون من بين تعدادها البالغ المائة مليون نسمة أو أكثر قليلا . فلوتحول الى وسيلة تعليم لمحو الأمية ولتحرير العقل العربى من الخرافة وحفره الى العمل - لأختصر المتاعب وعمم المعرفة التى مازالت من امتيازات الخاصة من الناس .

---

(١) سورة ابراهيم : ٤

( الاداءة ) : - بمختلف اللغات واللهجات وشوبا فوق وصاية الكهنة والطغاة من اعداء الاسلام ، وهى قوة لاتحدها الحدود ، ولا الحواجز الجغرافية والسياسية .

( وكالة الأنباء ) :- أمة النبأ العظيم ليست لديها وكالة أنباء معتبرة ، وهى أمة أمية وهى التى بدأ قرآنها بلفظ اقرا . ولذلك شوهدت صورة العربى النفطى ، وطمست قضايا المسلمين ، وشوهدت حقيقة صراعها مع اليهود .

( الصحافة ) :- المركز العالمى للابحاث الصحفية الذى خططت له منظمة الصحافة العالمية وفيه أكثر من ألف عالم وفنى ، ليس فيهم الا عشرة مسلمون وهذا تخلف شديد فى ذلك المضمار الحيوى .

( الكتـاب ) :- الاسلامى يحتاج الى مراجعة فى شأنه كله ، فالقديم الموثق يحتاج الى ترتيب واخراج جديد . وغيرالموثق يحتاج الى توثيق وضبط وتنظيم .

ان التراث الاسلامى كله يحتاج الى نفضة شاملة تخليه من الخرافة ويقيـدم للصفوة على الأقل مالايجدونه فى أجهزة الاعلام اليوم .

والخلاصة أن أجهزة وسائل الاعلام الحديث يمكن استخدامها بوعى واخلاص لدعم الجهاد الاسلامى القائم الى يوم يبعثون .

## الباب الثاني

# إستخدام الطبّ في الإعلام

الفصل الأول

عِنْدَ الْأُمَمِ

ذكرنا فى الفصل الأول من الباب الأول ارتباط المرض عند الإنسان منذ القديم بالمجهول - ومن ثم بالسحر والكهانة والتنجيم بحثا عن الشفاء على أيدي المتطبين الذين استخدموا هذه الوسائل اضافة لما عرفوه بالتجربة من خواص الأعشاب فى علاج المرضى . وبالرغم من مرور عشرات القرون وتعاقب الحضارات وتقدمها حتى وصلت الى العصر الذى نعيش فيه الآن ، وقد يظن الإنسان أن لاشع بات يستعص على الطب الحديث فان الأطباء يزرعون أعضاء سليمة عوضا عن التالفة ، وفى بعض الأحوال توضع أجزاء صناعية من المعدن أو غيره لتقوم بعمل الأجزاء الحية ، وتصنع ( الفيتامينات ) ( والانزيمات ) ( والهورمونات ) يتناولها المريض الذى لاتستطيع أجهزته إفرازها بكفاية حتى يستمر فى الحياة الطبيعية - الى غير ذلك من تقدم باهر فى جميع فروع الطب . أقول انه بالرغم من كل ذلك التقدم فانه مازال الإنسان المتحضر يترك كل هذا ويسافر ألوف الأميال ليعالجه المشعوذون والسحرة فى الهند مثلا ، وبطرق غريبة متوارثة عندهم - ويشفى أحيانا .

وفى الصين يشتهر العلاج بالابر التى يستخدمها الأطباء هنساك للتخدير ولعلاج كثير من الحالات المعبة كالروماتيزم المزمع والصداع وغيرها بنجاح تام .

وكما ساعدت وسائل الاعلام الحديث فى التحقق من وجود مثل هذه الأنواع من العلاج فلم تصبح أسطورية ، ولكنها ساهمت فى اشارة فضول العالم نحو هذه الأمم - وكانت من عوامل تنشيط السياحة العلاجية اليها وانتقل أناس ممن يتقنون هذه الفنون الى بلاد العالم لعلاج المرضى وتعليم الناس والأطباء مايساعد على الشفاء من أسقام النفس والجسد . ومن ذلك ( اليوجا ) مثلا التى انتقلت من الهند الى أمريكا وأوروبا وانتشرت معاهدها ويدعمها محترفوها أنها رياضة تساعد على تحقيق الاسترخاء النفسى والعظلى ومن ثم تشفى من كثير من الأعراض المصاحبة للتوتر والقلق الذى أصبح هو داء عصر السرعة الذى نعيش فيه .

وليس من شك فى أن شهرة بلد ما أو قوم بعينهم أو خروج أحد الأفذاذ فى فرع من فروع العلاج - يساهم مساهمة حقيقية مؤثرة فى الاعلام البناء بالنسبة الى هذا البلد ، ويعود عليه بالفائدة ماديا ومعنويا - قديما وحديثا .

فامحوتب فى المصريين ، وأبو قراط وجالينوس فى اليونانيين ، ثم الرازى وابن سينا والزهراوى فى المسلمين - ساهموا فى رفع شأن بلادهم حتى



لتقترن أسماؤهم بحضارة هذه البلدان ، بل قد لايعرف الكثيرون من الناس عن بلادهم الا أنها قد انجبت هؤلاء - أو أنها قد اشتهرت بذلك النوع أو ذاك من العلاج .

وفى العصر الذى نعيش فيه لايعرف الناس عن اسبانيا مثلا الا مصارعة الشيران ، وعلاج عيون الانسان - ذلك بفضل ما اشتهر به ( باراكير ) ثم ولده من بعده ، وأقامت الحكومة معهدا سمته باسمه لطب العيون . وعن جنوب أفريقيا المعروفة بممارسة التفرقة العنصرية يبرز اسم ( برنارد ) زارع القلوب الانسانية .

وفى فرنسا برز اسم ( باستور ) حتى رفعوه الى درجة القديسين وأقاموا معهدا باسمه واتخذت منه ارساليات التبشير ستارا تخفى وراءه أعمالها المريبة .

وفى هذا الفصل سنبحث ان شاء الله كيف استخدمت الأمم الكتابية صناعة الطب فى الدعوة الى سبيلها . ولقد برع النصارى بالذات دون غيرهم فى ذلك . ولذلك سنكتفى بالاديان السماوية الثلاثة الباقية وهى : اليهودية والنصرانية والاسلام .

## المبحث الأول

### منذ اليهود

ان الأنانية والقسوة من الصفات المعروفة فى اليهود ، وقد جعلوا ذلك ديناً وشريعة ونسبوه الى وحى السماء وتعاليم الأنبياء كذباً وزوراً ، وصاروا بذلك مضرب المثل فى التاريخ كله على الحقد والبغضاء وسوء العمل والكيد لجميع الأمم والوقية بين الناس والأجناس والشعوب .

وعبر الأيام لم يعقد قوم ما العزم على محاربتهم الا اندحر اليهود أمامهم . لذلك اعتمدوا الخبث والافساد والقتل سبيلاً لحرب بنى نوح جميعاً ، اذ يعتقدون أنهم قد تميزوا عنهم ببينوتهم لسيدنا ابراهيم ومن بعده اسحق ويعقوب . وكل من عداهم من بنى آدم هم كالبهائم خلال دماؤهم واموالهم لبنى اسرائيل ، بكل طريق - وهذه فحوى شريعتهم التى افتروها على الله تعالى .

وللدلالة على ذلك نذكر مسألة قتل الأب توما الكبوشى وخادمه ابراهيم العمار (١) . كان هذا الراهب قد ولد فى ايطاليا ثم ارسلته كنيسة روما الى دمشق الشام مبشراً بالنصرانية على عهد حكم ابراهيم باشا المصرى لها . وكان قد تعلم من الأزرغيسية ( الصيدله ) وطالع فى الكتب الطبية وكان ماهراً على الخصوص فى صناعة التطعيم ضد الجدري . وفى يوم ٢ من ذى الحجة سنة ١٢٥٥ هـ استدعاه جماعة من كبار اليهود بايعاز من حاكمهم الأكبر - لاجراء التطعيم فى منزل أحدهم بحارة اليهود بدمشق ، ثم أنهم ربطوه وكمموا فاه وذبحوه ذبح الشاة ثم استصفوا دماءه فى طست نحاس كبير - لاستخدامها فى عمل خبز الفطير الذى يتناولونه فى عييد الفطير ( الفصح ) . وحين ذهب خادمه للبحث عنه الحقوه بسيده بنفس الطريقة وأخذوا دمه أيضاً ، ثم دقوا عظامهما وقطعوها ارباً وألقوا بهما فى بعض الآبار . ذلك لأن التلمود يقول " من يسفك دم الكافر يلازب قرباناً الى الله " (٢) .

وهذا القسيس النصرانى كان كافراً بيهوه اله اليهود مؤمناً بالمسيح .

---

(١) راجع كتاب الكنز المرصود فى قواعد التلمود - الدكتور يوسف حنا نصر الله - والكتاب الملحق به - الطبعة الثانية بيروت سنة ١٩٦٨ م

(٢) ص ٨٦ المصدر السابق .

ويقول " اقتتل الصالح من غير الاسرائيليين " (١) ، والراهب كان مبشرا بالنصرانية عن طريق الطب .

والتلمود هو كتاب تعليم ديانة وآداب اليهود - وهو عبارة عن كتب موسى الخمسة وشروحها الموروثة عن الفريسيين ، واضافات الربيون والحاخامات بعد ميلاد المسيح بقرن ونصف من الزمان . ثم أضيفت على المشنا تعليقات وحواش كثيرة وشروحات مسهبة سميت الجمارا - وسمى كل ذلك فيما بعد - التلمود . (٢)

وقد ترجم التلمود الى بعض اللغات وطبع مرات قليلة متباعدة . ومنذ قرون بدأوا يتركون أجزاء منه بيضاء أو مكانها فارغة أو علامات رمزية للرجوع الى الطبقات القديمة كطبعة البندقية في القرن الخامس عشر الميلادي . ورغم ذلك فكثير من عبارات التلمود تفضح بالحق والاحتقار وسوء النية بالنسبة للنصارى والمسلمين على السواء ، بل لكل شعوب العالم وخاصة السلالات الموجودة في الشرق الأوسط ، ومنهم المصريون والسوريون والفلسطينيون والعرب عموما - ويبدو فيه واضحا أنهم يعتبرون أموال بل وأرواح البشر جميعا هي ميراثهم من دون الناس ، وأن حصولهم عليها بكل طريق ماهر الا استرداد للحق المغتصب أو الضائع .

والتلمود ملئ بكثير من الغرائب منها مثلا أن هنالك ملائكة مختصة بصناعة الطب والشفاء - بل زعم بعضهم أن الله قد أنزل على موسى سفر الأشفية كما ذكرنا في أول الفصل الأول - ومما ورد في التلمود النص التالي :-

" على الطبيب اليهودي أن لا يداوى أميا مطلقا ، ولو بالاجرة ، الا اذا أراد ضرره والانتفاع بأمواله . فاذا كان الطبيب مبتدئا في هذا الفن فليتعلم بمدواة باقى الأمم ويجوز اجراء المعالجة مجانا في هذه الحالة " . (٣)

وبناء على مثل هذه التعاليم والروح العامة للديانة الاسرائيلية التي تجعل امتصاص دماء الناس بالربا واجبا شرعيا . بل وذبح الأبرياء غيلة قربانا الى الله - سبحانه وتعالى عما يصفون . لم يعمل اليهود أبدا على نشر ديانتهم بين الناس ، ولم تكن أسفارهم المقدسة في زعمهم من الكتب المتداولة . ولم يكن الطب عندهم ، بالرغم من براعة بعضهم فيه شأن كثير من الصناعات الاوسيلة من وسائلهم لامتصاص أموال الناس وسفك دمائهم ما آمنوا على أنفسهم المليئة بالجبن والخيانة .

---

(١) ص ٨٤ المصدر السابق

(٢) ص ٤١ ، ٤٢ المصدر السابق .

(٣) حقائق عن المسيحية والتبشير ص ٦١ - ٦٢

ومما يذكر أنهم فى حروبهم الأخيرة مع المصريين والعرب والمسلمين - كانوا يجرون أنواعا من الجراحة التعويضية تجريبيا على بعض الجرحى من الأسرى، وحين تنجح يردون هو لاء الأسرى بالذات الى بلادهم بعد أن يفهموهم أنهم لولا تقدمهم العلمى ماشى هو لاء ، ويكون هو لاء الجنود بعد ذلك دعايسة حية قائمة ماعاشوا يلهجون بفضل الأطباء الاسرائيليين .

وذلك شأن اليهود تعلقو مصلحتهم الشخصية على كل شىء ، ويستحلون الكذب والخداع بلا حرج دينى أو نفسى ، ويمتصون دماء الأمم والشعوب حتى اذا توحدت مشاعر أمة من الأمم على الاحساس باطماعهم اصطدمت بهم وهزمتهم وهكذا كان على طول التاريخ المعروف . والحقيقة اذن أنهم ماهزمونا ولكننا هزمننا أنفسنا حين تفرقنا وصدقنا فينا كلمات الرحمن جل شأنه " وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون " (١) .

## المبحث الثانى

### منذ النصارى

#### فى عصر الميلاد :

كان أبوقراط الملقب بأبى الطب قد أرسى قواعد الصناعة وظلت طريقته هالبة عليها حتى عصر النهضة الأوروبية الحديثة قبل قرون قليلة .

وكانت الفلسفة والحكمة اليونانية قد تبلورت فى تعاليم ( فيثاغورس ) (١) وأفلاطون وأرسطو ثم من جاء بعدهم ( كاليبور ) (٢) - ( وزينون ) المعاصره وهو امام المدرسة الرواقية (٣) وتبعه ( بوسيدون ) ( ١٣٥ - ٥١ ق م ) ، ثم ( يهودا فيلون السكندرى ) ( ٣٠ ق م - ٥٠ ب م ) وكان بيــــــــــــن الأبيقورية والرواقية فى تعاليمه .

فى عصر ميلاد المسيح كان اليهود قد تحجروا وأصابهم داء الجمود على النصوص وانصرفوا عن لباب الايمان الى عبادة المراسم ، فكانت رسالة المسيح لازمة لتعلم الانسان أن العقيدة مسألة قلب ونية وضمير فى عصر موبوء بالرياء - لأن حقيقة الرياء هى أنه خداع عفن على وجهه طلاء .

فى هذه الحقبة رفع الرومان القياصرة الى مرتبة الآلهة ، وبطشوا بمحكوميهم وظنوا أنهم قادرون على الأرض بحق السيف - وأدعن لهم اليهود بدفع الجزية اضافة الى ضريبة الهيكل ، وكان العشاريون الملتزمون يقومون بجبايتها اضعاف فومل اليأس والبؤس فى فلسطين الى أقصاه . وتتواتر روايات الأناجيل عن المعجزة والمرضى الذين يتعرضون لطلب الشفاء - ومنهم المشلولون والمجانين والخرس والصم والعمى . ومنهم من يقال أن جسده تسكنه الشياطين ، ذلك الى أمراض البرص والنزيف والصرع الى غير ذلك مسكن الأمراض . (٤)

واذا كانت هذه هى الحالات البارزة فالى جانبها ولاشك حالات أخرى دونها فى الشدة والوضوح ، تنم عن الآفات الجسدية والنفسية التى فشت فى المجتمع آنذاك وتركته مهيبض الجناح عرضة للسخط والهيـاج .

- 
- (١) - القرن السادس قبل الميلاد ، وكان أتباعه يعتقدون أنه ابن الاله  
الوثنى أبولون ، ومنه يستمدون الحكمة .  
(٢) حوالى ٣٤٠ ق م ودعا الى السرور واللذة التى لاتعقب الألم .  
(٣) كانت تدعو الى الصبر والعفة .  
(٤) حياة المسيح ص ٥٨ - ٥٩ دار المعارف سنة ١٩٦٢ بتصرفه .

وفى عصر الميلاد شهدت فلسطين طوائف شتى من الأساة الذين يطهبون بالعلاج الروحانى ويعتمدون على قوة الايمان وطهارة المعيشة فى علاج مرضاهم ، ومن هؤلاء زمرة " الآسيون " اليهودية القليلة العدد ، الصارمة العقيدة ، التى اكتشفت صومعة لبعض نساكهم بوادى شرق الأردن فى أوائل سنة ١٩٤٧ ومنها كتابات أشارت جدلا كبيرا حينئذ . وقيل أن صومعتهم هى البرية التى كان يلود بها السيد المسيح ويوحنا المعمدان (١) . وربما كانت لهم علاقة بطائفة المتنطسين (٢) بمصر التى ذكرها الحكيم ( فيلون السكندرى ) .

فى ذلك الوقت انتشرت النحل السرية والعلنية وكلها خليط من الفلسفة اليونانية والسحر الشرقى والعقائد الوثنية القديمة . وتركها دهاقيسن السياسة الرومانية جريا على قاعدتهم الخبيثة بأن الشعوب لا تهتم بمن يسوسها متى وجدت الخبز واللعب بين أيديها ، ومازال الأمر كذلك الى يومنا هذا .

فاذا سلمنا بأن عصر الميلاد قد شهد الانسان مهيف الأعصاب ، واليهود قسدا تعاقب عليهم الأنبياء والرسل حتى صارت النبوة فيهم أمرا عاديا بل كان عملهم كالفقهاء فى أمة الاسلام . وانقسموا الى طوائف يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض وقد سباهم البابليون من قبل ، وأعادهم الفرس ثم وقصوا تحت حكم الرومان شأن الأمم الأخرى فى العالم القديم . فان ظاهرة الأطباء الروحانيين اذا صحت التسمية تشير فى جملتها الى حاجة العصر الى السكينة والاطمئنان أو حاجة الناس الى الهدى الى الايمان .

فى ذلك العصر الذى غلبت فيه المظاهر والأشكال والمراسم ، وسادت فيه الفتن ، واحتكم الانسان فيه الى السيف - جاء المسيح يرحب بالأطفال الصغار ويخاطب المنبوذين والمحتقرين ويبذر بذور المحبة ، وفى نفس الوقت يذهل الطفلة والمتألّهين بقدرات خارقة غير مسبوقه باذن الله تبارك وتعالى . كان عليه السلام يقول للمريض بعد أن يشفى " **هناك إيمانك** " (٣) أى شفاك الله بفعل ايمانك به ، وكان الأمر كذلك فعلا . وترددت أنباء عن الحواريين والقديسين من أتباعه بكرامات من هذا القبيل لشفاء أناس بالايमान .

ولذلك استغلت الكنيسة هذه الأخبار - فى التبشير بالانصرانية من طريق التطبيب بالذات - وذلك لأنهم خلطوا فى اعتقادهم بين الله سبحانه وتعالى،

---

(١) مقدمة حياة المسيح - الاستاذ عباس محمود العقاد .

(٢) THERAPEUTICS وسموا بالآسيين أيضا أو الأطباء وكانت أكثر صوامعهم حول مريوط القديمة . وقال منهم فيلون اليهودى أنهم كانوا يجتمعون كل سبت يتدارسون ثم يتفرقون الى صوامعهم ( ص ٦٣ نفس المصدر ) .

(٣) ص ١٢٩ القرآن والعلم : محمد محمود سليمان - الطبعة الثانية ١٩٧٤م - بيروت

والابن بزعمهم المسيح عليه السلام - فاختلف عليهم بذلك أمر الشفاء بأنه من قدرات المسيح الذاتية ، وما هو الا من الله الواحد القهار .  
وعملت الكنيسة بكل سبيل على التأكيد على قدرات المسيح على شفاء المرضى -  
والقديسين أيضا ، ومن ثم النصارى من الأطباء - فى شفاء الأمراض المعببة  
والمستعمية لجذب الناس الى مستوصفاتها ودور الاستشفاء بأنواعها ، ضمن وسائلها الأخرى  
فى الدعوة للتنصير كما سنوضحه فيما يلى من مباحث ان شاء الله .

### صفة المسيح عليه السلام :

ولد فى سنة ٤٠٠٤ بالتقويم العبرى على أمح الأقوال ، أو قبل ذلك ببضع سنوات - بأرض الجليل ( كنعان ) - ووصف بأنه ذو سم نبيلى وقوام بيىن الامتدال ، يفيض وجهه بالحنان والهيبة معا فيحبه من يراه ويخشاه . سيماء كلها صدق ورحمة . وديع مجيب اذا دما وعلم . لم يره أحد يفحسك ورآه الكثيرون يبكى ، وكلامه متزن رصين لايميل الى الاطناب . (١) وكانت طبيعته غير طبيعة يحيى بن زكريا - فلم يكن متأبدا نافرا من الناس ، بل كان يمشى مع الصالحين والخطائين ، وكان يشهد الولائم والأعراس ، ولم يكن يكره التحية الكريمة التى تصدر من القلب ولو كانت فيها نفقة غالية .

ولم يجئ فى رسالته بمزيد من الشريعة أو تطبيقها وانما رفض فيها الرياء والنفاق ، فحس على الصدق والعطف والانصاف وبتييسر التوبة للخطائين وتمهيد سبل الرجاء فى الغفران .

واجتنب التعرض للسلطة الدينية والزمنية ، ولكنه جاء بشريعة المحبة نقيض الرياء والكبرياء ، وقال أن الدين بما تعمل لا بما تعلم " . وقال للمترفعين بتقواهم عن الخطاء " انما يحتاج المرضى الى الطبيب " .

واستمالت دعوته طائفة من المثقفين منهم الطبيب لوقا صاحب بولس ( الرسول ) وينسب اليه انجيل لوقا ، وقد أورد فيه طائفة من الأخبار والوصايا من الوجهة الانسانية ، وقدمه الى شرى مثقف .

ولايعتقد الأستاذ عباس محمود العقاد فى كتاب حياة المسيح - أن معجزاته عليه السلام وخوارق أعماله كانت السبب فى ايمان الناس ، فان المعجزة ( بحق ) لاتقنع المكابر - وانما طريق الايمان هو كلمات الحق سبحانه وتعالى ، واخلاص الدعاة .

---

(١) حياة المسيح ص ٩٦ باختصار

## المسيح والطبيب :-

قال تعالى عن المسيح عليه السلام " ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل . ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جثتكم بأية من ربكم أنسى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيصير طيرا باذن الله ، وأبرىء الأكمة (١) والأبرص وأحى الموتى باذن الله وأنبثكم بمسا تأكلون وماتدخرون فى بيوتكم ، ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين " ( آل عمران ٤٧ ، ٤٨ ) .

وهذه المعجزات فى عمومها تتعلق بانشاء الحياة أو ردها ، أو رد العافية وهى فرع من فروع الحياة . أو رؤية غيب بعيد عن مدى الرؤية . وهى معجزات تتسق فى صميمها مع مولده عليه السلام ، ومنحه الوجود والحياة على غير مثال الا مثال آدم عليه السلام - واذا كان الله سبحانه وتعالى ، قادرا على أن يجرى هذه المعجزات على يد واحد من خلقه - فهو قادر على خلق ذلك الواحد من غير مثال - قال تعالى:

" اذ قال الله ياعيسى بن مريم ، اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك ، اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا ، واذا علمت منك الكتاب (٢) والحكمة والتوراة والانجيل ، واذا تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى ، وتبرىء الأكمة والأبرص باذنى ، واذا تخرج الموتى باذنى ، واذا كففت بنى اسرائيل عنك اذ جثتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين . " ( المائدة ١١٠ ) .

فى هذه الآية يلتفت الله سبحانه بالخطاب الى عيسى بن مريم وحده - لانه قد فتن قومه فيه ، وغام الجو حوله بالشبهات ، وخاص الناس فى الأوهام والأساطير حول ذاته وصفاته ونشأته ومنتهاه . ثم تعليمه كيف يحسن تصريف الأمور ، ثم آتاه خارق المعجزات التى لا يقدر عليها البشر الا باذن الله ، كيف ذلك لاندري ؟ لأننا لانعرف سر الحياة الى يومنا هذا بالرغم من تقدم العلوم - كيف تدب الحياة فى الخلية وكيف يشبت الخالق البارئ المصور سبحانه وتعالى الروح فى الأحياء ؟ وكذلك يبرىء المولود أعمى باذن الله . ويفشل أمهر الأطباء فى رد البصر الى من فقدته

---

(١) قيل الأعشى أو الأعمش أو الذى يولد أعمى ( ابن كثير ٣٦٤ الجزء الأول ) وذلك مارجعه سيد قطب ( فى تفسير الظلال ص ٣٩٩ الجزء الأول ) .

والأبرص هو المصاب بالجذام - وهو مرض معدى يصيب الجلد والأعصاب وقد يتشابه مع كثير من أمراضها .

( الكتاب : ص ٩٩٧ الجزء الثانى من الظلال .



بل وقد يتسبب من محاولاتهم مزيد من الضرر ، ولكن الله سبحانه الذى يهب القدرة على الابصار أصلا ، قادر على أن يفتح النور على العيون المظلمة ، وكذلك يبرىء الأرض باذن الله لابدواء ، والدواء وسيلة لتحقيق اذن الله فى الشفاء - وصاحب الاذن قادر على تغيير الوسيلة وعلى تحقيق الغاية بلا وسيلة ولا واسطة - كذلك كان يحيى الموتى باذن الله ، فواهب الحياة ابتداء قادر على رجعتها حين يشاء .

كان الرومان قد ورثوا علوم الفراعنة والفرس والعرب ، واستعلوا على بنى الانسان وتألهاوا وظنوا أنه لاشئ بعدهم يبلغ مبلغهم من الحضارة وتكبروا على اليهودية ثم النصرانية واضطهدوا أتباع الديانتين وأشبعوهم قتلًا وتنكيلا وتشريدا كما هو معروف ومشهور فى التاريخ .

وبعد رفع المسيح عليه السلام - انقسم أشياعه الى فريقين : أحدهما برئاسة يعقوب ببيت المقدس تحت سلطان الهيكل وهى التى تعتقد أنه مبعوث لبنى اسرائيل دون غيرهم - والثانية برئاسة بولص ومريديهم خارج فلسطين وقد صارت اليها قيادة الدعوة بعد تهديم الهيكل والقدس برمتها على يد الامبراطور هيدريانوس سنة ١٣٥ ميلادية . وبدأت حوالى هذا الوقت كتابة الاناجيل ، فوضحت فيها دلائل الدعوة كما تولاهم المبشرون فى بلاد الأمميين ، واتخذوا لهم أسلوبا غير الذى تتفاهم عليه بنو اسرائيل ، وغلبوا الصفة الالهية وأظهروا المعجزات لأنها أكثر تأثيرا فى الأمم الوثنية التى كانت تعبد الملوك والباطرة .

وأطنبوا فى ترديد كلمات الانجيل التى تدل على اعتنام المسيح بالتبوة مثل " ماجئت لانقضى بل لأكمل " (١) وقوله "على كرسى موسى جلس الكتبة (٢) والفريسيون (٣) ، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ، ولكن حسب أعمالهم لاتعملوا ، لانهم يقولون ولا يفعلون (٤) وذلك قد يكون تفاديا منهم لشارة عداوة اليهود - ولو أن الأمر لا يمكن أن يكون احتيالا محضا لاجتذاب السامعين من الأمم بالالحاح على معجزات الشفاء والاحياء لأن الدعاة الذين بشروا الأمم بالنصرانية قد احتملوا أشد العذاب ، وواجهوا الموت فى سبيلها ، وهم الذين صمدوا بعد تشتت جماعة اليعقوبيين من القدس .

- 
- (١) انجيل متى الاصحاح الخامس (١٧) .
  - (٢) هم اتباع صدوق الكاهن وهم رؤساء الهيكل المحافظون ولا يقبلون الا كتب موسى الخمسة ولا يؤمنون بالبعث .
  - (٣) أكثر اتباعا من الصدوقيين وأقرب الى رأى منهم الى النسم ويؤمنون بالبعث .
  - (٤) انجيل متى الاصحاح ٢٣ ( ١ - ٣ )

## الكنيسة والعبيد :

بعد رفع المسيح عليه السلام أخذ الحواريون والتلاميذ فى نشر دعوته فى كل اتجاه وصلته أقدامهم حتى لا قوا حتفهم على أيدي الكافرين بالدعوة من شعوب الأرض الا ماذكر عن قليلين ماتوا على فراشهم . وأخذ تلاميذهم الزمام بعد ذلك بالرغم من اضطهاد الرومان لهم عشرين السنين ، حتى اعتنق قسطنطين امبراطورهم النصرانية ودعا من بدأت تسميتهم رؤساء الكنيسة الى مجمع نيقية سنة ٣١٢ ب م . منذ ذلك الحين وبعد أن انتقلت عاصمة الامبراطورية الرومانية من روما فى عهده أيضا الى " بيزنطة " التى سميت باسمه " القسطنطينية " بدأ نفوذ الكنيسة فى التعاطم ، حتى فاق نفوذ البابا وثروته قوة الأمبراطور فى أحيان كثيرة .

وحتى ظهور الاسلام فى أواخر القرن السادس الميلادى وانحسار الحكم الرومى عن أكثر أجزاء الامبراطورية فى سنين قليلة ، ثم حتى بداية ما يسمى بعصر النهضة عندهم وخروج " مارتن لوتر " عن الكنيسة الارثوذكسية الشرقية والكاثوليكية الغربية فى القرن السادس عشر - كانت هذه فترة القرون المظلمة فى تاريخ أوروبا .

بعد مجمع نيقية المسكونى بقرن ونيف ، عقد مجمع مسكونى آخر لرؤساء الكنيسة من جميع الاقطار لارساء قواعد الديانة فى أفسس سنة ٤٣١ ميلادية - وفيه اختلفوا مع نسطور بطريرك القسطنطينية الذى قال ببشرية المسيح - فتركهم وهاجر مع اتباعه شرقا الى نصيبين على أطراف بادية الشام ثم استقروا فيما بعد تحت حكم فارس فى جنديسابور بعد أن استمر اضطهاد الكاثوليك لهم .

وقد ذكرنا انتقال مركز العلوم والفلسفة من مدرسة الإسكندرية بعد أضمحلالها ، الى انطاكية بالقرب من بيزنطة - ثم مع النساطرة فى طريق هجرتهم شرقا الى فارس حتى استقرت فى مدينة جنديسابور قبيل ظهور الاسلام .

ولاغربة فى أن تلاميذ المسيح عليه السلام الذين حملوا تعاليمه ودأبوا على نشرها فى أرجاء الامبراطورية الرومانية وغيرها - فقد وصل بعضهم الى الحبشة فى وقت مبكر ، ثم فارس ، وقيل أن بعضا منهم قد وصل الى الهند ، قد حملوا تعاليم الرحمة والمحبة والغفران التى بشر بها السيد المسيح باخلاص - ولم يرفعوا سلاحا فى وجه الدولة التى اضطهدتهم وتعقبتهم فى كل مكان بالقتل والتعذيب .

وكما ذكرنا أن لوقا صاحب أحد الأناجيل الأربعة المسمى انجيل لوقا كان طبيبا ، وليس ما يمنع أن يكون من أتباع المسيح آخرون من المتطبيين<sup>(١)</sup> وبخاصة أنه هو نفسه عليه السلام كانت له قدرة خارقة من فضل الله على شفاء الأمراض بل واهياء الموتى باذن الله .

ولم يكن الطب كما هو الآن ، بل كان أكثر عمل الأطباء تسكين أوجاع المرضى ومساعدة قوى الجسم الطبيعية على مقاومة المرض - ولا شك أن ذلك أمرا كان يتطلب صبرا ورحمة من الطبيب المعالج ، ورغبة منه فى شفاء المريض ومساعدته على الابلال من مرضه - وبخاصة حين يكون صاحب دعوة الى الله مؤمنا بها ، فذلك أقرب لأن يساعد الله سبحانه فيما يقوم به من عمل .

وبناء على ماتقدم فأننى أرجح أنه فى قرون المسيحية الأولى كان حماس المبشرين وإيمانهم بالله واقتداؤهم بما وصل اليهم من أخبار المسيح ومعجزاته فى الشفاء عاملا مهما ومساعدة على قيامهم بأعمال التطبيب بحسب ما وصلت اليه علوم زمانهم - وكانت الرهبانية والاقامة فى الأديرة والمواقع المنعزلة وما زالت من سنهم ، وذلك مما يساعد على التأمل ومذاكرة الكتب مما يقع تحت أيديهم ، واستزراع واستخلاص الأدوية من الأعشاب المعروفة الفوائد .

ولكن بعد ظهور الاسلام وانحصار دولة الكنيسة فى أوروبا بين الأناضول شرقا والأندلس غربا . وذبول روح الايمان والحماسة الأولى بعد أن انغمست الكنيسة فى الأملاك المتسعة ، والسلطة المتعاطمة ، وأصبحت مؤسسة ضخمة يحاصرها التقدم الاسلامى عسكريا حتى يضطر بابا روما لدفع الجزية

---

(١) من أعمال الرسل الاصحاح الخامس ( ١٤ - ١٦ ) " كان مؤمنون ينضمون للرب أكثر، جماهير من رجال ونساء ،حتى أنهم كانوا يحملون المرضى خارجا فى الشوارع ويصفونهم على فرش وآسرة .. حتى اذا جاء بطرس بيخيـم ولو ظله على أحد منهم ، واجتمع جمهور المدن المحيطة الى اورشليم حاملين مرضى ومعذبين من أرواح نجسه ، وكانوا يبرأون جميعهم " .

سنتين متتاليتين (١)، وحضاريا بصنوف التقدم العلمى فى كل فروع المعرفة ومنها الطب فى المقدمة .

وحين انتصر السلاجقة على الروم وهددوا ببيزنطة سنة ١٠٥٤ - استنجد الامبراطور بالبابا بعد أن كان قد انشق عنه ، فدعى البابا أوربانيوس الثانى الفرنسى الى مجمع مسكونى فى مدينة كليرمونت بفرنسا ومنح الغفران الكامل والخلود الأبدى لمن يموت فى سبيل استرداد الأراضى المقدسة من مغتصبى قبر عيسى عليه السلام (٢) . وهكذا جمع الخوف من خطر انتشار الاسلام بين ملوك أوروبا الذين حرصتهم الكنيسة للقيام بالحملات الصليبية المتعاقبة . وكان الغرض منها تقويض الاسلام وهزيمته بالقوة العسكرية واستئصال شأفته ، فقد كان رد البابا على من يتساءلون فى عجب . . كيف نمضى لمحاربة المسلمين فى الشرق ونتسرك الأندلس وشمال أفريقيا فى أيديهم ؟ - فكان رده عليهم " ان فى طرد المسلمين

---

(١) بعد أن استقل الأغلبية بتونس عن الخلافة فى بغداد ، فتحوا جزيرة كورسيكا سنة ٨٠٩ ثم سردينيا سنة ٨١٠ ثم استولى أتباع الفقهاء الذين شاروا على الحكم بن هشام الأول ثالث ملوك الأمويين بالأندلس ( ٧٩٦ - ٨٢٢ ) فنفاهم الى فاس والأندلس فنزل بعضهم بجزيرة كريت وفتحوها .

وفى سنة ٨٢٧ بدأ الوزير أسدين الفرات جهاد صقليه ثم فتح زهير بن عوف عاصمتها باليرمو سنة ٨٣١ . ثم فتحت نابولى سنة ٨٣٧ ثم انكونا سنة ٨٣٩ ثم تورنتو سنة ٨٤٠ ثم مسينا سنة ٨٤١ واستبيحت ضواحي روما سنة ٨٤٦ وبعد فتح مالطة سنة ٨٧٠ عاد المسلمون لتهديد روما واضطر البابا يوحنا الثامن لتأدية نحو خمسة وعشرين ألف رطل من الفضة لهم لمدة عامين ، وظل المد الاسلامى حتى سنة ٩١٦ حين هزم المسلمون وأجلوا من ايطاليا الى صقليه التى ظلت تابعة للأغلبية ثم للفاطميين الذين جاهدوا منها جنوة والبندقية سنة ٨٣٥ .

وحين اختلف المسلمون اضطروا لاخلاء باليرمو فى صقليه بعد أكثر من قرنين سنة ١٠٧١ ثم جلوا عن مالطة سنة ١٠٩٠ - وسقطت طليطلة سنة ١٠٨٥ - ثم بدأت الحملات الصليبية . ( المستشرقون الجزء الأول ص ٥٠ )

(٢) حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر - احمد عبدالوهاب - مكتبة وهبه بالقاهرة ص ١٠٣ وما بعدها .

من اسبانيا تحريراً للمسيحيين فحسب " (١) ( أى أن القصد الاسمى هو القضاء على الاسلام ) وبدأ العمل للحرب بخروج الرهبان يطوفون بلاد أوروبا داعين للحرب المقدسة ضد المسلمين ، وتجمع فى الحملة الأولى الأفاقون والمرزقة يقودهم ( جوتيه ) الملقب بالمعدم ويصــرخ فيهم بطرس الناسك بقوله هكذا أراد الله - ولكنهم أشاروا حفيظة الأهالى حتى تجمعوا قرب القسطنطينية فأمر امبراطورها الكيس بنقلهم الى البر الشرقى تخلصاً من الفوضى التى أشاروها ، فلاقاهم الأتراك وأبادوهم .

ونجحت الحملة الثانية بقيادة جودفرى دوق اللورين الفرنسى فى فتح القدس ودبحوا سبعين ألف مسلم فى ثلاثة أيام حتى كلت أيديهم ، وجمعوا اليهود فى كنيسة شم أحرقوها - قربانا للسيد المسيح ( فى زعمهم ) وتتابع حملات ملوك أوروبا واحتلت أغلب شغور الساحل الشامى نتيجة انقسام ملوك المسلمين حتى طمع " رينودى شاتيون " حاكم انطاكية فى غزو الحجاز ، وبنى اسطولا نقله مفككا الى ميناء العقبة ، مما أشار الحمية فى نفوس المسلمين بقيادة صلاح الدين الذى خرج اليه من مصر وهزمه فى طبرية وأسره وأعدمه بيده ، ثم استعــساد القدس الشريف سنة ١١٨٧ .

حينئذ نذر أخبار الكنيسة أن يعيشوا على الصدقات والا يمتطوا الركائب وتعاهدوا على ذلك حتى تعود الأراضى المقدسة ، وبدأوا ماعرف فى التاريخ بمحاكم التفتيش فى أنحاء أوروبا جميعا لاحكام سيطرتهم على الشعوب التى بدأت تدرك فساد النظام الكنسى مقارنا بما عليه المسلمين من تقدم وروح صادقة - فى هذه الحقبة من التاريخ - فما كانت محاكم التفتيش الا تفتيشا عن بذور الحرية والمعرفة الحقيقية - حولها رجال الكنيسة الى كراهية وتعصب ضد المسلمين .

فى عهد ازدهار دولة الاسلام أيام هارون الرشيد كانت بينه وبين شارلمان موده وتبادل للوفود والهدايا ، ومن ذلك ما أرسله اليه الخليفة من أشهر الأطباء والجراحين ومامنحه له من حق حماية كنيسة القيامة بالقدس (٢) - وظل الأمر كذلك حتى اغى الخليفة الفاطمى الحاكم

---

(١) حقائق عن التبشير ص ١٢ وما بعدها .

(٢) الطب الاسلامى ص ٣٤١

بأمر الله هذه الحماية الفرنسية على الكنيسة - ثم حين دمرت سنة ١٠٠٩ هـ المسلمون يعاونون على إعادة تشييدها ، ثم أذنوا لتجار (مالفى) بتشديد مستوصف لعلاج مرضى الحجاج النصارى وفقرائهم داخل أسوار القدس سنة ١٠٤٨ ، ثم أسس فرسان القديس يوحنا مستوصفا آخر على غرار سنة ١٠٧٠ - كان ذلك قبيل الحروب الصليبية - حين دق السلاخة أبواب القسطنطينية فى نفس السنة (٢) .

مما سبق نرى أن فكرة التبشير قد بدأت منذ العهد الأول للمسيحية - ويقول المستر "ادوين بلس " فى كتابه ملخص تاريخ التبشير مانصه ( ان تاريخ التبشير المسيحى يرجع الى صدر النصرانية وان ( ريمون لول ) الاسبانى هو أول من تولى التبشير بعد فشل الحروب الصليبية فى مهمتها حيث تجول فى بلاد الاسلام وناقش علماء المسلمين ) .

ففضية التبشير اذن عميقة التخطيط وخطيرة الهدف والمرمى ويأتى استخدام الخدمات الصحية فى مقدمة وسائلها المؤثرة (٢) .

ومن المفارقات أن يكون أول من يحدد دور المبشر ومهمته ويكيف طبيعته كمحارب هو الملك لويس التاسع - بين جدران زنزانته التى نزل فيها أسير حرب فى دار بن لقمان بالمنصورة فى دلتا مصر - بعد هزيمته فى آخر الحملات الصليبية التى قادها بنفسه الى مصر ومن وحى المأساة التى أطاحت بأوهامه .

يقول مؤرخو الغرب وعلى رأسهم المؤرخ " جوانفيل " الذى رافق الملك لويس " ان خلوته فى معتقله بالمنصورة أتاحت له فرصة هادئة ليفكر بعمق فى السياسة التى كان يجدر بالغرب أن يتبعها اناء المسلمين وانتهى به التفكير الى تلك الآراء التى أفضى بها لأعوانه المخلصين أثناء رحلته الى عكا من دمياط " (٤) . وانتهى تفكير الملك لويس التاسع الى أن النعرة الدينية فى أوروبا لم تعد كافية لاثارة الحروب ضد الاسلام والتغلب على المسلمين . فالحروب الصليبية قد أنهكت قوى الغرب البشرية والمالية ، حتى تداعت تسعة حملات اشترك فيها ملوك وأمراء جميع الدول الأوروبية - بدعم الكنيسة وتشجيعها . ومات فى قلب الصليبيين ذلك الحافز الروحى الذى يدفعهم لخوض حومة الوغى ولامطعم لهم الا نصرمة المسيحية - وتبدل بذلك حوافز مادية لاتتمل بالروح ، وانما للطمع فى المغانم وخيرات الشرق الأسطورية ، وموقعه ( الاستراتيجى ) فى قلب المسكونة . وأصبح ذلك هو الدافع الوحيد للاشتراك فى هذه الحملات .

---

(١) الطب الاسلامى ص ٣٤١

(٢) المستشرقون ص ٤٧

(٣) الطب الاسلامى ص ٣٤١

(٤) حقائق عن التبشير ص ٩

وبوحى من هذا العرض الزاخر بالتجارب والعبر التى طافت برأس الملك المهزوم فى سجن المنصورة - رأى القضاء على الاسلام أو على الأقل اضعافه ووقف توسعه عند حد هو مطلب حياة أو موت بالنسبة لفرنسا وأوروبا بأسرها .

وتساءل هل بوسع المسيحية أن تواصل وحدها الاضطلاع بمحاربة الاسلام؟ وعلى ضوء تجاربه كان الجواب أنه لم يعد بوسع الكنيسة أو فرنسا مواجهة الاسلام . ولن تستطع أوروبا كلها أن تضيق الخناق على الاسلام أو القضاء عليه ليتم لها التخلص من الحائل دونها لاستعمار آسيا وأفريقيا الا بما يأتى :-

يقول المؤرخ ( رينيه جروسيه ) (١) " ان الملك لويس التاسع كان بذلك فى مقدمة ساسة الغرب الذين وضعوا الخطوط الرئيسية لسياسة جديدة شملت مستقبل آسيا وأفريقيا . وكان من بين خطوط هذه السياسة ،

(\*) تحويل الحملات الصليبية العسكرية الى حملات سلمية تستهدف الغرض نفسه ، لافرق بينها الا نوع السلاح المستخدم فى المعركة . وتجنيد المبشرين من الغرب فى هذه المعركة السلمية لمحاربة تعاليم الاسلام ووقف انتشاره ثم القضاء عليه معنويا - واعتبار هؤلاء المبشرين جنودا للغرب فى تلك المعارك .

(\*) العمل على استخدام من يمكن استمالتهم من نصارى الشرق لتنفيذ سياسة الغرب .

(\*) العمل على انشاء قاعدة للغرب فى قلب الشرق الاسلامى تتخذ كنقطة ارتكاز ومركزا للقيادة الحربية والسياسية والدينية - يمكن منها الوثوب على ديار الاسلام كلما سحت الفرصة لذلك . وقد عين لويس التاسع لانشاء هذه القاعدة الاراضى الممتدة على ساحل البحر الأبيض المتوسط من غزة حتى الاسكندرية . وتشمل فلسطين " الاراضى المقدسة " والأردن ثم لبنان بأسرها وجزءا من سورية " ( ولذلك مهد النصارى الغربيون الطريق لليهود لاحتلال فلسطين ومآحولها . ) ويرى عامة المؤرخين الغربيين أن هزيمة الامبراطورية البيزنطية أمام المسلمين كان الى حد كبير بسبب خيبة أمل عامة المسيحيين فى الكنيسة التى جعلت من

---

(١) حقائق عن التبشير - المختار الاسلامى القايره - تأليف عماد الدين شرف ص ١٠

الدين أداة لغرض سيطرتها على الشعوب ، فى الوقت الذى كانت تعيش فيه الأقليات من الذميين وبخاصة النصارى فى ديار الاسلام تحت حماية القضاء الاسلامى - وتوفر لهم الحماية فى نظير الجزية التى توازى فى مقدارها الزكاة المفروضة على المسلمين - واستطاعوا فى ظل دولة الاسلام أن يصلوا الى أكبر المناصب .

لذلك كله دأبت المؤسسات الكنسية من مدارس ومستوصفات ومشافى متنوعة ونوادى وغير ذلك من النشاطات التبشيرية ، دأبت على حرب الاسلام بطريقة مقنعة ولم تكن هذه المؤسسات جميعا الاستارا للحملات الصليبية السلمية لاضفاف العقيدة الاسلامية السمحة الواضحة فى نفوس الشعوب المسلمة ، وزعزعة ثقتها بنفسها وخصوصا بعد انحسار الحملات الصليبية العسكرية فى الشرق .

وفى نفس الوقت تأجيج العداوة والكراهية واشعال مشاعر التعصب الأسود الذميم - عن طريق المستشرقين من رجال الكهنوت ، ومؤلفاتهم التى ألبسوها ثوب البحث العلمى، ونشروها فى الجامعات ووسائل الاعلام فى الغرب والشرق ، بل ربوا عليها جيلا من أبناء المسلمين أنفسهم فى عهود الاحتلال الأخيرة . !!

#### خطة الكنيسة الغربية :

ترى الكنيسة أن الحروب الصليبية لاتعدوا فى جوهرها العمل الدينى ، ومن حيث نتائجها عمل تبشيرى . فان كانت قد فشلت فى تحقيق أهدافها عسكريا فمما لاشك فيه أنها مهدت الطريق لزحف المبشرين كى يحققوا نفس الهدف . وعلى حد تعبير الكاردينال ( بوديار ) أسقف باريس " حسبنا أن تكون الاعلام التى ترفرف على الشرق تحمل الصليب بين طياتها " . ويقول اليسوعيون " ألم نكن نحن ورثة الصليب ، أو لم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التمدين المسيحى ، ولنعيد فى ظل العلم الفرنسى وباسم الكنيسة - مملكة المسيح ؟ ! " (١)

وكتب أحد غلاة المبشرين وهو القس ( صموئيل زويمر ) ، هذه الملاحظات للمبشرين :-

- \* يجب اقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداء لهم .
- \* يجب نشر الكتاب المقدس بلغات المسلمين لأنه أهم عمل مسيحى .
- \* تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم من بين صفوفهم .
- لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها .



• ينبغي أن لا يقيظ المبشرين إذا رأوا نتائج أعمالهم ضعيفة - إذ أنه من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الحب الشديد للعلوم الأوروبية ، وتحرير النساء . (١)

يتضح مما سبق أن منطق الكنيسة لا يعدو كلمتين اثنتين هما " حرب الاسلام " بكل طريقة - بالسيف ان أمكن كما حاولت في الحروب الصليبية ، ثم بعد ذلك في حروب أوروبا مع الدولة العثمانية وولاتها كما اجتمعت الأساطيل الأوروبية لتدمير الأسطول المصري في (نافارين ) على عهد الوالى محمد على باشا ، وكما يحدث الآن في أواخر القرن العشرين من ذبح للمسلمين في فلسطين ولبنان والحشة والفلبين ( حيث يخبرون بين التنصير أو الابادة في جزيرة مندناو ) أو في افغانستان حيث الشيوعية والاحاد تعمل لاجتثاث شأنة الاسلاميين فيها تحت اسم وبصر الكنيسة العالمية . وحين لاتسمح الظروف بالمواجهة المباشرة - تلتف الكنيسة وبفناء التبشير تحت ستار التعليم والتطبيب وغيرهما من الوسائل للهدم والنخر الداخلى في ديار الاسلام لدفعها طوعا للهيمنة والاستسلام ، والاستشراق يساهم في هذا المجال في الغرب بتأصيل الأفكار المشوهة عن الاسلام والمسلمين في طبقات المثقفين والجامعات "وهو لا بدورهم ينقلونها الى طلابنا الدارسين هناك ليعودوا الى ديارهم مشبعين باليأس من جدوى تراثهم الشمين وبالاقتناع الباطل السائد هناك ليعملوا في نفس الاتجاه من خلال مايتولون من مناصب تؤهلهم لها شهادات جامعات التبشير فى الخارج والداخل .

### خطة الكنيسة المصرية الارثوذكسية الآن :

يعبر عنه تقرير عن اجتماع للأنبا شنودة مع القبط الأثرياء والقساوسة بالاسكندرية فى ١٩٧٢/٣/٥ (٢) - جاء فيه :-

(١) ان عدد شعب الكنيسة هو حوالى ثمانية ملايين ( من مجموع الشعب المصرى)حوالى ( أربعين مليوناً ) يجب أن يتساوى مع المسلمين فى خمسة عشر عاماً وذلك عن طريق - تحريم تحديد أو تنظيم النسل فى شعب الكنيسة ، مع وضع الحوافز والمساعدات للتشجيع على الاكثار من الانجاب كتشجيع الزواج فى سن مبكرة ، وتخفيض تكاليفه وخفض رسوم فتح الكنائس والاكليل للفقراء .

---

(١) المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ص ٥٧ ، ٥٨ - محمد محمود المصاوى

(٢) حقائق عن المسيحية والتبشير ص ١٥ - ٢٤

وفى نفس الوقت يتم تشجيع تحديد النسل بين المسلمين وخاصة أن أكثر من ٦٥ ٪ من الأطباء وبعض الخدمات الصحية فى يد الأقباط - وتبلغ نسبتهم فى الصيدلة قريبا من ذلك ، والتنبيه على العاملين بالخدمات الصحية على المستوى الحكومى والخاص بمضاعفة العناية وبذل الجهود بين الشعب المسيحى لتقليل نسبة الوفيات ، على أن يكون تصرفهم غير ذلك مع المسلمين .  
( ويذكرنا ذلك بما جاء فى التلمود اليهودى مما ذكرناه فى المبحث الأول من هذا الباب عن الطب عند اليهود ) .

وجاء فى التقرير أيضا - أن الكنيسة تحرم على أصحاب العقارات تأجير أى مسكن أو متجر للمسلمين ، بل يجب اخراجهم من هذه العقارات المملوكة للأقباط للتضييق من فرص زواجهم - ومن لا يفعل ذلك يطرد من رحمة الرب .

وهكذا نرى ضمن خطة الكنيسة استخدام الطب من جميع الجوانب ابتداء من الحصول على أكبر عدد من مقاعد الكليات العملية ( جاء ذلك فى نفس الوثيقة بالنص ) ومنها الطب والصيدلة ، وانتهاء بتشجيع الأطباء على خيانة شرف المهنة مع المسلمين بالذات .

(٢) مقاطعة المسلمين اقتصاديا ، ولو كلف ذلك الفرد المسيحى الجهد والمشقة ..

(٣) التبشير : هدفه زحزة أكبر عدد من المسلمين عن التمسك بدينهم وليس من الضرورى ادخالهم فى المسيحية - بلباقة وذكاء - مع تعقيم أنباء التنصير لعدم اشارة حفيظة المسلمين . ثم قال بالحرف الواحد أننا يجب أن ننتهز ما هم فيه من نكسة ومحنة ( قبل عبور القنال وتحطيم خط بارليف فى رمضان ١٣٩٣ هـ ) لأن ذلك فى صالحنا ولن نستطيع احراز أى مكاسب اذا انتهت المشكلة مع اسرائيل . ثم اختتم حديثه بعد تقديم عدة مطالب للحكومة المصرية - فبشر الحاضرين أن عودة البلاد الى أصحابها الأقباط المصريين قد أصبح وشيكا كما عادت اسبانيا .. وكما عادت اسرائيل .

وقال كذلك ليعلم الجميع أن الدول الكبرى فى العالم تقف وراءنا ولسنا وحدنا بل ان الفاتيكان وأمريكا تمداننا بالمال اللازم ولا بد أن نحقق الهدف .

من ذلك يمكن أن نفهم قول "اللورد اللنبى " حين دخل القدس فى الحرب العالمية الأولى - قال " الآن انتهت الحروب الصليبية " - اعتبر أن الحروب الصليبية لم تنته فى القرن الثانى عشر ، بل امتدت بالتبشير حيننا وبالسيف ان تمكنوا من ذلك ، وفى ذلك يقول أيضا أحد قواد

الفرنسيين حين دخلوا دمشق ووقف على قبر صلاح الدين :

" لئلا ندنا بصلاح الدين " !!

### الطب والاعلام النصراني ( التبشير )

انه من الأمور المسلمة التي يسهل على كل شخص ادراكها - أن التبشير الذي يضرب جذوره في أقاصي الدنيا قد استفاد من الطب كوسيلة من أنجع الوسائل وأجداها في كسب المؤمنين للدين الذي يبشر به ، ويدعو الناس اليه .

ان الانسان المريض ينظر الى طبيبه نظرة ملؤها الأمل في الشفاء مما ألم به - لذلك يكون على استعداد للاستماع الى نصائحه ويتلقى منه ويتأثر به ولو بطريق غير مباشر ، وينصاع الى توجيهاته في المأكل والمشرب والملبس والنوم ، وكل خصوصياته بما في ذلك علاقاته مع زوجته ، فإذا كان ذلك الطبيب مبشرا بعقيدة معينة فان هذه العقيدة تأخذ طريقها الى عقل المريض وقلبه ، وتستحوذ على مشاعره ويخرج من مقابلة الطبيب مستسلما وقد أخذ علاجه ممزوجا بعقائده وأفكاره .

وقد المحنا سابقا الى أن قضية التبشير قديمة في النصرانية ، وعميقة في تخطيطها ، وخطيرة في أهدافها ومراميها ، ويأتى استخدام الخدمات الطبية بأنواعها في مقدمة وسائلها المؤثرة . قالت الطبيبة ( ايسرا هاريس ) بمؤتمر المبشرين المنعقد بالقاهرة سنة ١٩٠٦ م " حيث تجد الانسان تجد الآلام ، وتكون الحاجة الى الطبيب ، وحيث تكون الحاجة الى الطبيب فهناك فرصة مناسبة للتبشير " .

وقالت أيضا في نفس المؤتمر المذكور " انه يجب على طبيب الارساليات التبشيرية ألا ينسى ولا لحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شئ ثم هو طبيب بعد ذلك " .

وقال الطبيب المبشر ( بول هاريسون ) في كتابه الطبيب في بلاد العرب - ( ان المبشر لا يرضى عن انشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى منطقة عمان بأسرها فلقد وجدنا في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى ) (١) . وأضيف أنهم لو لم يستطيعوا ذلك فكفاهم أن يجعلوا المسلمين يحدون عن التمسك بدين الاسلام وتعاليمه .

---

(١) التبشير والاستعمار ص ٥٩ .

ومن تقرير رفعه القسيس ( أناتولييكوس ) جاء فيه " ان أهم الوسائل التى يستخدمها المبشرون هى التبشير عن طريق الخدمات الطبية - لأن ذلك فى مأمن من مناوأة الحكومات - والمسلمون يلجأون بأنفسهم الى مستشفيات المبشرين ومستوصفاتهم (١) .

وقد كان التبشير عن طريق الطب عاملا مهما عند النصارى منذ زمان طويل - حتى ألفوا الكتب فى ذلك الموضوع ، منها كتاب ارساليات التبشير الطبية من تأليف ( جون لو ) سنة ١٨٩٦ ، وكتاب الطبيب فى جزيرة العرب من تأليف ( بول هاريسون ) سنة ١٩٤٣ م ويقول قائلهم " ان المستشفيات يجب أن تسخر للتبشير على أن يصل المبشرون الى الأشخاص المحترمين من ذوى الفائدة الذين يمكن أن يؤثروا فى غيرهم من أبناء ملتهم " . (٢)

ومن ذلك تجربة شخصية لى ، فقد أجريت جراحة ناجحة بفضل الله تعالى لمريضة أمريكية تعمل بالصحافة وكانت زوجة لأستاذ زائر أمريكى الجنسية بكلية الآداب بجامعة الرياض " قسم الاعلام " فما كان منها الا أن كتبت رسالة مسهبة بعنوان الولادة فى جزيرة العرب ، فيها وصف كامل لمشاعرها وأحوال المستشفى ليلا ونهارا والممرضات وحجرة العمليات وجاء فيها تشبيه لى بطبيب نصرانى معروف عندهم بالتدين - ولاشك أن قراء هذا المقال سيخرجون منه بانطباعات عن أحوال الخدمات الطبية فى بلادنا يكفى أن يكون منها أنه قد تم انقاذها وأبناءها بسرعة وكفاءة واخلص بدون النظر الى جنس أو دين المريض بالرغم من نقص الامكانيات عن مثيلاتها عندهم ، وما زالت هذه الاسرة يرأسوننى وقد انتقلوا الى أمريكا ثم عادوا الى إحدى دول الخليج العربى حيث يعمل الزوج رئيسا لقسم الاعلام هناك (٣) .

ولم أكن أقصد فى عملى الا أداء واجبى مرضاة لله تعالى ولم أكن مبشرا ، ولكننى كنت كما أنا بحقيقتى طبيب مسلم فحسب ، وليس كما قيل عن أطباءهم المبشرين أنهم لا يعالجون الا بعد أن يكرزوا (٤) على المرضى المنتظرين للفرج - كما قال ( ريختر ) " فى هذه المناسبات من التطبيب فى مستوصف أو مستشفى يمكن للطبيب أن يخاطب المسلمين بكلام كثير لو سمعوا بعضه فى مكان غير المستشفى أو من شخص غير الطبيب لامتلاوا غيظا وغضا (

---

(١) الغارة على العالم الاسلامى ص ٩١ ، ٩٢

(٢) التبشير والاستعمار ص ٦٤

(٣) السيدة تسمى ( برينا ) وزوجها الأستاذ ( ن . آ . جوردى ) ، وهو مؤلف لعدة كتب بالانجليزية ، ويعتبر مستشرقاً !! وهى مراسلة صحفية ، وعندى نسخة من المقال المذكور .

(٤) كرز بالسريانية تعنى وعظ ( ص ٥٣ - حقائق عن التبشير )

وكما قالت ( ايرا هاريس ) تنصح الطبيب " يجب أن تنتهز الفرص لتمل الى آذان المسلمين وقلوبهم فتكسر لهم بالانجيل ، واياك أن تضيع التبشير في المستشفيات والمستوصفات فانه أشمن تلك الفرص على الإطلاق ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك ان واجبك التطبيب لا التبشير فايك أن تسمع منه " (١) .

وليس الأمر بحديث مطول بل ان كلمة أو لمحة أو تصرف بعينه أو رأى - قد يؤثر في المريض ويجعله يجنح الى هذه الطريقة أو تلك ، اذا تعمد الطبيب ذلك ، وقصد اليه ، وخطط له ، وتدرّب عليه .

انه لمن الواضح أن رجال الدين والقساوسة بلباسهم المميز وطريقتهم المكشوفة ، يصعب عليهم أن يتملوا بالناس وخصوصا المثقفين منهم وذوى المكانة الاجتماعية .

لذلك فان الطبيب - وهو من ذوى الكلمة المسموعة عند مرضاه - يمكنه من خلال الحديث معهم أن يؤثر فيهم ، وذلك ما أدركه النصراني منذ زمن بعيد - قال البابا يوحنا الثالث والعشرين في المجمع المسكوني الثاني في روما سنة ١٩٦٢ م الذي أصدر وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح ( ان على كل كاثوليكي أن يكون في مسلكه في الحياة شاهدا على ايمانه عاملا به - وأن يحاول التعاون وإشارة الحوار بحكمة ومحبة مع هؤلاء الذين ينتمون للأديان الأخرى ) (٢) وما أحرى المسلمين أن يكونوا هم كذلك - قال تعالى " ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن " (٣) .

وقد أدرك أهل الغرب حساسية مركز الطبيب وتأثيره في المجتمع كشخص مؤهل تأهيلا علميا حديثا وراقيا من ناحية ، وباعتبار أن طبيعة عمله تحتم عليه الاتصال بجميع بيئات الناس وطبقاتهم ، وأن مهنته ذات دخل مرتفع نسبيا في العادة - لذلك وضمن خطتهم لاحكام السيطرة على ديار الاسلام فقد عملوا على تيسير وتوجيه نسبة كبيرة من أبناء غير المسلمين كالنصارى لدراسة الطب كما هو واضح وملحوظ في مصر ولبنان وسوريا والعراق .. الخ . وكانت مدارس ارساليات التبشير من وسائل الاعداد لذلك يوم كان المسلمون لا يجدون في غير التعليم الدينى الخالص طريقا للتعليم الحديث ، الا من خلال هذه المدارس التبشيرية حيث كان الاهتمام بتعليم اللغات الأجنبية كبيرا ، ان لم تكن كل الدراسات باللفظة

---

(١) التبشير والاستعمار ص ٦٢

(٢) التبشير والاستعمار ص ٢٥٩

(٣) النحل ١٢٥

الأجنبية ، على عكس المدارس الحكومية فى تلك الحقبة . ولما كانت الدراسة العالية فى كليات الطب باللغة الأجنبية نظرا لانتقال لواء الحضارة العلمية الى الغرب فى القرون الاخيرة فقد أصبح من الأيسر على غير المسلم الذى تربى فى بيئة أجنبية أن يتابع دراسة فى الطب وغيره من العلوم العملية فى بلاده أو بلادهم أيضا ، وبذلك أيضا تأصلت العلاقة بين الدمييين فى ديار الاسلام وبين المستعمريين دينيا ودنيويا - بالتبشير ومدارسه ومستوصفاته ومستشفياته ومؤسساته وشركاته . وذلك بتمهيد الطريق أمامهم للحاق بموكب التقدم العلمى بما يؤهلهم بعد التخرج للمناصب الحساسة ورد الجميل بالتالى . وهكذا يمكن أن تجتث الشجرة بيد من أظلمتهم بظلمها .

ذلك وكان المسلمون يدركون ما فى هذه المدارس من خطر فترددوا فى أن يدفعوا بأبنائهم اليها فى أول الأمر ، ثم لما لم يجدوا سبيلا غيرها وضعف عندهم الوازع نتيجة للالحاح الاعلامى الواسع ، اضطروا اليها أخيرا ثم تنافسوا فيها وتركوا العروة الوثقى ، وخصوصا بعد أن انفصل التعليم الدينى فى أغلب ديار الاسلام عن العلوم الحديثة ، وهى جميعا من فروض الكفاية على الأمة بأسرها تأثم بالتقصير فى تعلمها وبخاصة مالا تنفذ حاجتها اليه كالطب مثلا أو الاعلام .

ومن استعراض سريع للنشاطات الطبية التبشيرية - مما تيسر لنا الالمام به - ومن النظر فى أرقامها سيتضح لنا مقدار المكاسب التى ظفرت بها الكنيسة على اختلاف مذاهبها ، والمواقع التى أحرزتها فى اقامتها مؤسساتها فى أنحاء العالم المختلفة .

فى سبتمبر سنة ١٩١٠ عقد مؤتمر فى ادنبره بايرلندا حضره " ١٢٠٠ " - مندوب منهم " ٥٠٢ " من الانجليز ، و " ٥٠٥ " من الأمريكيين - والباقيون من البلدان الأخرى - وتم استعراض منجزات المبشرين والخدمات الطبية فى ديار الاسلام وكانت كما يلى : (١)

٩٨٣٨٨	مبشــــرا- أى قرابة المائة ألف- فى مطلع القرن العشرين .
٥٠٠	مستشفى
١٠٢٤	صيدلية
١١١	مجلسا طبييا
٩٢	جمعية ممرضات

(١) ص ٣٤٤ وما بعدها من الطب الاسلامى .

ملجناً للأيتام	٢٦٥
ملجناً لمرضى البصر	٨٨
مدرسة للعميان	٢٥
معهداً للأسنان	٢١
مستوصف لعلاج مدمني الأفيون	١٠٣
ملجناً للأراميل	١٥

فاذا انتقلنا الى سنة ١٩٢٧ - أى بعد سبعة عشر عاما - نرى فى موسوعة العلوم الاجتماعية فى صفحة ٥٤٦ احصائية تثبت التوسع والزيادة حيث جاء فيها انشاء مايلى من المؤسسات الطبية التابعة للكنيسة :-

مستشفى	١٥٥٠	- زيادة أكثر من ٣٠٠ ٪
مستوصف	٣٥٤٣	
ملجاً للأيتام	١٨٨٩	- زيادة حوالى ٧٠٠ ٪
مستشفى للجذام	١٨٥	- زيادة حوالى ٢٠٠ ٪
مستشفى للعجزة	٢٩٩	
مستشفى للمكفوفين والصم .	٢٢	

#### فى اندونيسيا : (١)

بدأ التبشير هناك فى سنة ١٥٤٦ م بوصول مبشر كاثوليكي يسمى " فريسيكوس " الى مدينة امبون ، ثم امتد نشاط المبشرين بعد ذلك فى أرخبيل ملقه وجزيرة ملقه الاسلاميتين . وتبع ذلك الارساليات البروتستانتية التى ازدادت ازدهارا بتعيين أول " قاصد رسولى " فى امبون سنة ١٨٠٢ وتبعه آخر الى جاكرتا سنة ١٨٠٧ مع ثلاث قسوس ثم أقيم أول قداس علنى فى ( ١٨٠٨/٤/١٠ ) .

وأصبحت اندونيسيا بعد الاحتلال الهولندى مرتعا خصبا للارساليات التبشيرية التى تعتمد على الخدمات الطبية بوجه خاص حتى بلغ عدد هذه الهيئات ثلاث وعشرين مكتوبة أسماؤها ونشاطاتها بكتاب حقائق عن التبشير من ص ٦٣ - ٦٧ . واذا تعمنا فى الغزو التبشيرى فى اندونيسيا وفق الاحصائيات الحديثة ، نماب بالدهشة والفرح لما يجرى فى أكبر بلد اسلامى ، حيث تنعم الأقلية النصرانية بحبوحه من العيش والرغد والاستقرار ، وتتمتع بفرص الازدهار على

(١) المستشرقون ص ٧٠ .

حساب المسلمين . اذ تستأثر هذه الأقلية ممن تربوا وتعلموا في مدارس التبشير ثم اصطنعهم الاستعمار - بأغلب المناصب المهمة كالـوزراء والمدراء العاميين بل ان القائد العام للقوات المسلحة ووزيرالدفاع ومحافظ البنك المركزي وقواد الاقاليم ومحافظن الولايات وقواد المناطق الدفاعية والعسكرية فضلا عن رؤساء الشركات والمؤسسات والمنظمات الحرفية والأحزاب السياسية كلهم من النصارى (١).

ونورد مقتطفات لمحاضرة القاها جنرال اندونيسي متنصر دماء المجلس العالمي للكنائس في جنيف عام ١٩٧٨ ، وقد حملنا عليها من صديق من الدعاة الى دين الله ممن يقيمون في اندونيسيا ٧ وعنوانها :

من محاضرة ألقاها الجنرال (SIMATUPANG) في اجتماع المجلس العالمي للكنائس الذي عقد في جنيف عام ١٩٧٨ م

بعد زوال حكم سوكرنو عام ١٩٦٦ م استطاع النصارى أن يتنفسوا نفسا جديدا بخصوص نشر الدين النصراني لاسيما في الأوساط المثقفة ( اى ثقافة غربية ) انجذبوا اليه بل اعتنق بعض هذا الدين طوعا أو ....

✳ من نواحي ضعف المسلمين :

(١) ان انتصار اسرائيل على الدول العربية أوجد في المسلمين شعورا اى في اندونيسيا بأن المسلمين لم يسبق لهم ان اتحدوا أو لا يمكن توحيدهم ، فهم دائما في شقاق .

(٢) ان المسلمين عاجزون عن تأسيس المستشفيات الاسلامية بحيث يفخرون بها ،

... الى آخر ماجاء تحت هذا العنوان .

✳ استراتيجية لتنمية الدين النصرانى :-

(١) السيطرة على وسائل الاعلام وخاصة التليفزيون ، ينبغي ان ينشر فيه كل مامن شأنه الاشعار بقوة نفوذ النصرانية ، فان الاعلام من طريق الوسائل البصرية انفع وأشد تأثيرا من غيره بالوسائل الأخرى .

(٢) يجب الاعتناء والاحسان الى الشيوعيين الذين كانوا في الحزب الشيوعى المحرم حتى ينحازوا الى الجانب النصراني بعد أن كانوا مسلمين .



(٣) يجب زيادة عدد المستشفيات والمدارس في جميع مراحلها بمساعدة مجمع الكنائس العالمي .

(٤) إبراز الأعمال الحسنة والسنن الطبية ، وبيان ان الوفاء فـى الصباح مثلا مما يسبب مرض الروماتيزم ، وان الصوم يخفض البـسـن والـذهـن ،

..... الى آخر ماجاء فى هذه الوثيقة ، وهى نقص النظر عـن محتها فانها تدل على كل حال على تقدير النصارى لأهمية الطب فى التبشير، وضرورته فى التوصل الى الناس والتأثير فيهم .

.. واستهداف اندونيسيا لحملات التنمير ونجاحها هناك هو بسبب التسامح البالغ حد التفريط من نحن المسلمين حين تركنا هذا الشغل الضخم السدى اعتنق الاسلام ببعض ارادة شعبه .

ان اندونيسيا بالذات قد استهدفت من مجلس الكنائس العالمي ومركزه جنيف ، ومن الفاتيكان بروما ، ومن الولايات المتحدة التى اعتبرت التبشير عـن طريق الخدمة الطبية مشروعا مسيحيا - ومن هنا طفق المبشرون الأمريكـيون التابعون لجمعيات " شهود يهـسـوه " وشباب العليب ( والمعمدانيسية ) ( والسبتية ) يأتون الى اندونيسيا ومعهم أحدث وسائل الاعلام من أجهزة ومجلات وآلات طباعة وغيرها - بل انهم قد استخدموا بواخر بأكملها لخدمة الأراض التبشيرية حيث أن جميع ربانيه وملاحى هذه السفن من الطساوسية وأشهر هذه البواخر " لوجوس " ( العقل ) ( واستيغ ماريز ) (واهنيزر ) ، بل ان لهم طائرات ومطارات واجهزة لاسلكى خاصة بهم (١) وذلك ناتج عـن أن اندونيسيا تتكون من جزر كثيرة - وفى أماكن غيرها كإفريقيا وآسيا قد تستخدم السيارات والطائرات أيضا - وهكذا تستخدم الامكانيات الحديثة فى الانتقال والاتصال السريع لخدمة الدعوة ) .

#### أمثلة للتبشير الطبى فى بلاد اسلامية أخرى :-

فى تركيا انشأ الأمريكـيون أول عيادة طبية فى " سيواس " سنة ١٨٥٩ (٢) والآن أصبح المستشفى الأمريكانى باسطنبول من أهم المراكز الطبية بالعاصمة الاسلامية العتيدة ، وأكثرها شهرة وربحا أيضا .

أما فى مصر فيروى مسيو " شاقليه " (٣) أن أهم معاهد التبشير والمراكز

---

(١) الطب الاسلامى ص ٣٤٥ يتصرف .

(٢) ص ٥٩ الاستعمار والتبشير .

(٣) هو كاتب مقررات عدد من المؤتمرات التبشيرية بمجلة العالم الاسلامى الفرنسية ، وهى التى لخصها الأستاذان مساعد الباقى، ومحب الدين الخطيب ثم نشرها فى كتاب الفارة على العالم الاسلامى .

الطبية تأسست سنة ١٨٥٤ من قبل اتحاد مبشرى امريكا الشمالية (١)، ثم تبع ذلك مؤسسات علمية وأقسام علاجية تأسست سنة ١٨٨٢ - عام الاحتلال البريطانى لمصر - من قبل جمعية تبشير الكنيسة ، ثم فى سنة ١٨٩٢ نشطت جمعية تبشير شمال افريقيا وقامت بإنشاء المعاهد والمؤسسات التبشيرية الطبية ، وفى سنة ١٨٩٨ تأسست جمعية رابعة باسم الجمعية العامة للتبشير فى مصر ، وغايتها كما يشرحها " مسيو شاقلييه " تنصير المسلمين بفتح المعاهد وتقديم الخدمات الطبية وخاصة فى الدلتا والسويس وقلوب .

وفى عام ١٨٨٥ ذهب الى عدن " ايون كيث فالكوفر " (٢) فأسس ارسالية تبشيرية اسكوتلانديه مؤلفة من طبيبين - وفى سنة ١٨٨٩ استت ارسالية التبشيرية العربية التابعة لكنيسة الاصلاح الأمريكية فروعا لها فى البصرة والكويت والبحرين والشيخ عثمان (٣) وعدن والموصل وبغداد وكلها تحتوى على مستشفيات تبشيرية حتى قال مسؤول التبشير فى الشيخ عثمان " ان عدد المرضى المترددين على المستشفى جاوز عشرين ألف مسلم " . وفى سنة ١٨٩٢ فتحت بلاد فارس أيضا أبوابها أمام المبشرين النمصارى - فقال المبشر " سن كليسر بتسدا ل " (٤) " ان الاعتقاد السائد باستحالة تنصير المسلم لم يعد الآن فقد فتحت فارس للمبشرين بالانجيل أكثر من غيرها واكتسب المبشرون محبة الناس لهم بسبب الأعمال الطبية التى تمكنهم من الاحتكاك بالمسلمين رجالا ونساء " .

وفى بلاد مثل نيجيريا تجد مهنة الطب الى وقت قريب احتكارا فى يـــــــد المبشرين - وحتى اليوم لا توجد للحكومة المركزية ولا حكومات الولايات الشمالية المسلمة سوى مستشفيات قليلة - ومجموعة مستشفيات جامعة أحمد وبيللو وهى أهم المستشفيات فى ولايتى كانو وكادونا بسيطر عليها المبشرون ( ومنهم أقباط مصريون ) كما أن ٨٠ ٪ من هيئة تدريس كلية الطب من الأطباء المبشرين .

وتدل المعلومات أنهم يسيطرون على بعض المستشفيات التى بنتها المملكتــــة العربية السعودية فى اليمن - وكانوا يصدد الاستيلاء على مستشفى الأطفال الذى تقيمه الكويت فى جوبا بجنوب السودان ويوم أعلن الكويت أنه أعطى منظمة الدعوة الاسلامية حق الاشراف عليه - سارعت ثمان كنائس لتبدي استعدادها لإدارته . (٥)

- 
- (١) ص ٨٠ وما بعدها من الفارة على العالم الاسلامى .
  - (٢) ص ٩٥ وما بعدها من الفارة على العالم الاسلامى .
  - (٣) الشيخ عثمان اسم مكان فى جوار عدن ( هامش ص ٩٦ من المرجع السابق )
  - (٤) ص ٩٨ من المرجع السابق وما بعدها .
  - (٥) من حديث شخصى مع المرحوم الدكتور عيسى عبده .

وفى سنة ١٨١٣ بدأت الارساليات التبشيرية تمتد أعمالها الى مسلمى الصين . وانتشرت أنتشارا واسعا من خلال الأطباء والممرضين ، حتى عام ١٩٠٠ حين شار الصينيون وهاجموا معاقل الارساليات المسيحية ، وهنا زحفت جيوش المستعمرات الساحلية التابعة للدول الأوروبية صوب العاصمة بكين ونهبتها وفرضت عليها غرامة كبيرة - ثم عادت معظم هذه الدول ورفعت الغرامة - مقابل - تعليم الطلبة الصينيين فى جامعات هذه الدول . . ؟ وعاد هو لاء بالجديد من الثقافة - وانتشرت الكليات التى اعتمدت على المعونات مثل هبه جون و . روكفلر الصغير بمقدار خمسة ملايين دولار لكلية الطب سنة ١٩٣٢ م والمستشفيات والمختبرات (١) .

وهكذا نرى التفات المبشرين الى غزو البلاد الاسلامية عن طريق الخدمات الطبية منذ البدأ وحتى يومنا هذا ، يبذلون الأموال ويجندون الأطباء ومساعدتهم باسم الخدمة الانسانية النبيلة ، ووراء الأكمة ما وراءها . ولاننى أن الطبيب يمكنه أن يكون مشرفا على مدارس للتعليم كما كان " د. كورنيلوس فان ديك " رئيسا للجامعة الامريكية وهو الذى أنشأها فى بيروت .

ولكى ندرك الابعاد العميقة وراء الخدمات الطبية التبشيرية ونتيجتها نعرض لبعض الأقوال الصادرة عن العاملين فى ميدان التبشير أنفسهم .

فهذا المستر " هاربر " يلقى كلمته فى مؤتمر المبشرين المنعقد بالقاهرة سنة ١٩٠٦ فىقول " يجب الاكثار من الارساليات الطبية لأن رجالها يحتكون دائما بالجمهور ويكون لهم تأثير على المسلمين أكثر مما لغيرهم من المبشرين (٢) - ثم يذكر قصة طفلة مسلمة اعتنى المبشرون بتمريضها فى مستشفى مصر القديمة ( المسمى باسمه تصحيفا هرمل (٣) ) ثم الحقت بمدرسة البنات البروتستنتية بباب اللوق ( الألمانية ) - وكانت نهاية امرها أن عرفت كيف تعتقد بالمسيح بالمعنى المعروف عند النصارى - وذكر قصة رجل مسلم كان يحضر محاضرات المبشرين لاثارة الضوضاء والجلبه حتى اتفق أن مرض فدخل مستشفى عالجه فيه هيئة من المبشرين ثم شفى وخرج منه فصار يحضر محاضراتهم بخشوع زائد ثم تعمد واصبح بروتستنتيا نصرانيا (٤) .

- 
- (١) المستشرقون ص ٧٠ - والمسلمون فى الصين قليلون بنسبتهم ، كثيرون بعددهم
  - (٢) الغارة على العالم الاسلامى ص ٦٠ وما بعدها .
  - (٣) عملت بهذا المستشفى منتدبا لمدة شهر واحد فى عام ١٩٦٩ واحسست بالطابع التبشيرى الذى مازال يغلب على المستشفى والراهبات وطبيب عجوز غير مؤهل كان يعمل بقسم أمراض النساء ولايعرف شيئا عن جراحاتها .
  - (٤) ص ٦١ الغارة على العالم الاسلامى .

ويقترح الدكتور "سمسون" في نفس المؤ تمر المذكور أن يكون الطبيب المبشر في جانب المريض في حالة الاحتضار - ربما ليلقنه كلمة الكفر والعياذ بالله .

ويقول ان المرضى الذين ينازعهم الموت بوجه خاص لابد لهم من مراجعة الطبيب . وقالت الدكتور " أنا وستون " في كلمتها في نفس المؤ تمر عن ارسالية التبشير في طنطا بمصر - ان ٣٠ ٪ من الذين يتــرددون للعلاج في مستشفى ارسالية من الفلاحين المسلمين وأكثرهم من النساء وطريقة التبشير في هذه المستشفى أن يذكر الانجيل بأسلوب بسيط لا يدعو للتطرف في المناقشة (١).

### الطب الساسي والتبشير :

لاغرو أن يبدى القاثمون على التبشير اهتماما خاصا بطب الأمراض النسوية والولادة ضمن تركيزهم للتأثير على المرأة باعتبارها عنصرا أساسيا في التحول الاجتماعي - قال نفر من المبشرين " ان الأثر الذي تحدثه الأم في صغارها حتى سن العاشرة بالغ الأهمية ، وبما أن النساء هن العنصر المحافظ على العقيدة والتقاليد - لذلك نؤ كسد على العمل بين النساء المسلمات كوسيلة مهمة للتعجيل بتنصير البلاد الاسلامية (٢) وهم يروجون لفكرة القائلة أن المحافظة على مقتضيات العقيدة الاسلامية من الحجاب وعدم الاختلاط وعمل المرأة خارج بيتها الا لضرورة - هي أسباب لتخلف المرأة المسلمة التي لايمكن أن تتحرر في زعمهم من ولاية الزوج وشبهح الطلاق الا بالدخول في النصرانية ، ويروجون في بلادهم الأصلية أن الاسلام مصدر ألم للمرأة المسلمة طبيعيا وروحيا وعقليا وأنها تخاف من الموت ومن زوجها ومن الطلاق - ليشيروا عاطفة المتبرعين في أمريكا وأوروبا للبدل في سبيل التبشير . ومن ناحية أخرى فهم يعملون بذلك لتحطيم عزيمة المسلمين رجالا ونساء ويحاولون حملهم على الشعور بمركب النقص في أنفسهم والشك فيما يعتقدون أنه الحق (٣).

لذلك كان تركيز حركة التبشير الطبية على العنصر النسائي في جانب الطب التطبيقي والتمريض ، فأرسلوا الطبيبات المبشرات الى القرى يجلن على البيوت وحرصوا على انشاء مدارس للتمريض في ايران خاصة . وهم يرون أن الممرضة لاتعمل على تخفيف آلام المرضى فحسب بل أنها أيضا تحمل اليهم رسالة المسيح .

---

(١) ص ٦٣ من المرجع السابق

(٢) الاستعمار والتبشير ص ٢٠٣

(٣) الاستعمار والتبشير ص ٢٠٤



الدولسى - لا يكلف أحدا شيئا ، وهو لفائدة الجميع ولو دعائيا  
وقد يكون بداية لتوحيد المنظمات المتشابهة والخدمات المتماثلة  
بين أمة العرب والاسلام .

فى أمريكا مثلا يوجد الصليب الأحمر علامة موحدة لجميع منظمات الأسعاف  
والاغاشة . ولا يمنع ذلك أن يكون لكل الديانات والملل والنحسل  
مستشفيات ومدارس وجامعات . حتى طائفة المجيشيون (١) لهم جامعة  
كاملة تسمى لوما ليندا .

والغريب أننا نقوم بدعم جامعاتهم مباشرة بالدولار نفدا ثم نبعث اليهم  
فلذات أكبادنا ليزوبوا فى مجتمعاتهم المتحللة ، ومما لاريب فيه  
أن ذهاب الطلبة المسلمين الى الغرب أو الى الشرق يكسبهم شيئا ممن  
أساليب الحياة هناك - ويغير كثيرا من اتجاهاتهم فى التفكير والسلوك  
ويدخل فى ذلك الزواج بالأجنبيات .

جاء فى نشرة لمجلة العربى الكويتية أن دولة عربية واحدة لها ٢٨  
طالب فى الولايات المتحدة الأمريكية يدفع الواحد فيهم ٢٠٠٠ دولار كحد  
أدنى لرسوم الدراسة ذلك عدا نفقات السكن والمعيشة وغير ذلك - فلو  
وجهت الجهود والدعم المخلص لإنشاء جامعة اسلامية فى أمريكا وكليسة  
للطب ومستشفى للعلاج . أفلا يكون ذلك أكثر فعالية وأقل تكلفة على  
المدى البعيد .؟؟

ان المبشرين قد عنوا أول شئ بالتطبيب كوسيلة الى غاية - اليسوعيين  
مثلا قد أسسوا أكثر أعمالهم التبشيرية فى سوريا الى جانب المستوصفات  
ومراكز الرعاية - بل ان مراكز التبشير قد بدأت عندهم كمراكز للتطبيب  
أولا . وفى هذه وجهوا عنايتهم الى كبار الموظفين والأعيان وكانوا  
يستغلون حاجتهم فى وقت المرض الى العناية لمعالج تبشيرية بحتة -  
ومع الأيام أخذت عناية اليسوعيين بالطب تقل تدريجيا وأخذت أعمالهم  
التبشيرية تتزايد حتى حل التبشير المحض عن طريق المدارس والجامعات  
محل التطبيب الذى كان غطاء مؤقتا (٢) - ويتبين بعد ذلك أنهم  
يدعون الى سلوك لايسلكونه ويبشرون بدين هم قليلو الاحتفال به (٣) .

ان التعصب الذى يرمى به أعداء الحق كل واقف فى صفوفه هو  
فى الحقيقة سبيلهم - ومن ذلك انكار الدكتور " ورتبات " الأمريكى

---

(١) يتبعون مذهباً يقول أن مجيء المسيح ثانية ونهاية العالم صارا قريبين

- الطب الاسلامى ص ٣٤٨ .

(٢) التبشير والاستعمار ص ٦١

(٣) التبشير والاستعمار ص ٨٩

عدوى الجذام في بيروت - وهو الأستاذ بكلية الطب بالجامعة الأمريكية هناك مضادة وعنادا للحديث الشريف المشهور " فر من المجدوم فرارك من الأسد " (١) - وهو شيء لا يتصور جهله به كطبيب ، فهو شيء معروف بالتجربة عند الناس قبل معرفة الجراثيم وطريقة العدوى ثم عاد واعترف بصحة الحديث واعجازه فيما بعد (٢).

وعلى ذكر الجامعة الأمريكية ببيروت التي تأسست كنتاج لحركة التبشير الأمريكية . وقد تأسست سنة ١٨٦٢ م . وكان أول رؤسائها الدكتور " كورنيليوس فان ديك " ثم ولده الطبيب أيضا " هنري فان ديك " - وحين احتج الطلبة المسلمون على اجبارهم على دخول الكنيسة سنة ١٩٠٩ أصدر عمداً الجامعة منشورا جاء فيه :

" ان هذه الكلية مسيحية أسست بأموال شعب مسيحي ، هم اشتروا الارض واقاموا الابنية ، وهم أنشأوا المستشفى وجهازه ... كل هذا قد فعلوه ليوجدوا تعليما يكون الانجيل من مواده .. وهكذا نجد انفسنا ملزمين بأن نعرض الحقيقة المسيحية على كل تلميذ .. وان كل طالب يدخل الى مؤسستنا يجب أن يعرف مسبقا ماذا يطلب منه ... "

وحين ترك بعض الطلبة المؤسسة المتعصبة أعلن مجلس الأمناء أن الكلية لم تؤسس للتعليم العلماني ولا لبث الأخلاق الحميدة .. ولكن أولى غاياتها أن تعلم الناس الحقائق الكبرى التي في التوراة وأن تكون مركزا للنور والتأثير المسيحي وأن تخرج على الناس بذلك وتوصيهم به . (٣)

وقد أجمع الباحثون من الشرق والغرب أن الجامعة الأمريكية مؤسسة تبشيرية ولم تؤسس للتعليم العلماني رغم أنها تدعو المسلمين اليه - وذلك ماقرره مؤسسوها منذ البدء كمعهد عال لتخريج اطباء في الشرق الأدنى وعلى أن تكون التوراه كتاب تدريس دائم بها .

ويمكن أن نفهم حينئذ لماذا يدعو خريجوها الى اللغة العامية المكتوبة بالحروف اللاتينية ، وأنهم لا يبالون بالمواقف المعادية للأمة العربية ولا بالتفرقة العنصرية الى غير ذلك من سياسات لا يقرها دين الاسلام الذي لا يتعلمونه في هذه الجامعة ولا يعتقدون الا ما اقتنعوا به عبر السنين التي تعلموا فيها .

---

(١) الحديث رواه البخاري في باب الطب بالجزء السابع ص ١٠٩

(٢) للتبشير والاستعمار ص ٦٣

(٣) من ص ٩٦ - ١٠٠ من الاستعمار والتبشير بتلخيص وتمصرف

## الطب والاستشراق والاستعمار

لعله قد اتضح لقارئ الصفحات السابقة أن الطب باعتباره خدمة عامة لا تنفك حاجة الناس اليها من جميع الأعمار والأجناس . وأن طبيباً واحداً في قرية أو مدينة صغيرة سرعان ما يعرفه الناس ، حتى من لم يروه ولم يحتاجوا إلى معرفته واستشارته . فلو أنه كان أجنبياً فإن صفته هذه تغلب عليه عند الناس فيشار اليه مثلاً بلفظ الأمريكى أو الفرنسى أو الخواجة ، ثم لا يعرف الناس عنه بعد ذلك تفاصيل كثيرة وهو يعرف عنهم أشياء ، ولا عجب أنه يتيسر له أكثر من غيره أن يحصل على العون والمساعدة من أكثر من جهة ، نتيجة تعرفه بمختلف البيئات والطبقات الاجتماعية .

ومن هنا تيسر لكثير من الأطباء الأجانب الذين عملوا على الأغلب تحت شعار المليب فى الخدمات التبشيرية جمع معلومات عن ديانات ومذاهب من عاشوا فى وسطهم - ومن المسلمين بالذات - وتيسر لهم الحصول على المراجع والمخطوطات وكثير منهم قد كتب الرسائل والمؤلفات أثناء إقامتهم ، أو بعد عودتهم إلى بلدانهم التى رحلوا منها للتبشير . يقول الدكتور عرفان عبد الحميد (١) " أنه يمكن اعتبار الاستشراق كمنهج عقلى إنما هو لقاح بين أبوين غير شرعيين هما التبشير الذى خطط له ، والاستعمار الذى غذاه ونماه - وهو لا ينفك يعمل من أجل التشكيك فى أركان العقيدة الإسلامية ، وإحلال مفاهيم مناهضة لها ، وتكوين شبكة فكرية فى ديار الإسلام تدور فى فلكه ، وتستمد منه ، وتبشر بتعاليمه وأولئك من تجوز تسميتهم بالمستغربين .

وقليل من المستشرقين من كانت أبحاثهم أقرب إلى النزاهة العلمية ، ولكن أبحاثهم بالطبع لم تلق رواجاً عند رجال الكنيسة والسياسة ، وهو لاء مع جنوحهم إلى الحق نتيجة إخلاصهم فى البحث لا يسلمون من الخطأ نتيجة جهلهم بأساليب اللغة العربية ، وأجواء الإسلام التاريخية على حقيقتها فيقيسونها ببيئتهم ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والزمنية - كما فعل "توماس أرنولد" فى كتابه الدعوة إلى الإسلام ، بل إن منهم من اهتدى للإسلام "كدينية" الفنان الفرنسى "ومحمد أسد" وغيرهم كثيرون سنأتى على ذكر الأطباء منهم .

وأغلب المستشرقون يستغلون المخاوف المترسبة فى أعماق النصارى الأوروبيين من قوة الإسلام ، نتيجة ما تركته الفتوحات الإسلامية فى العصر الأول التى امتدت إلى مشارف روما ، ثم الحروب الصليبية وانحسارها بالهزيمة ، ثم الفتوحات

---

(١) فى كتابه المستشرقون والإسلام ص ٢٨



العثمانية فى أوروبا .. كل ذلك يعمل رجال الكهنوت والمبشرون بأنواعهم على استغلاله لتخويف الشعوب الأوروبية وفى نفس الوقت يلقون ظلال الشبهة على النبى صلى الله عليه وسلم ليثيـروا الكراهية فى نفوس الناس نحو دين الحق ، وفى نفس الوقت يسايرون التحلل فى بلادهم .

ولقد اعتبر ريبتر الذى قال " ان أساس الاستعمار مسيحى " (١) - أن أيام الحروب الصليبية هى من أروع عهود العصور الوسطى ، وقال أن خيبتها فى تحقيق أهدافها كان بسبب التعصب الاسلامى ( والبديل الوحيد عندهم هو الخنوع والاستسلام باسم التسامح الدينى ) - " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم " (٢) صدق الله العظيم .

لذلك فانه حين حملت تركيا لواء التوحيد ، ارتابت بحق فى حركات التبشير فى ارجاء الديار الاسلامية الواقعة تحت الحكم العثمانى، واشتدت الأيام أن المبشرين كانوا هم طلائع الاستعمار فى كل مكان وأنهم تحت ستار الطب أو التعليم وغير ذلك من وسائل ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب قد كانوا من وسائل التمهيد ، ثم الدعم والتثبيت للاستعمار ، واستغلال خيرات البلدان التى دخلوها ، وقد عملوا أيضا بكل الوسائل على اخماد الجذوة الروحية بين المسلمين واشعالها فى نفس الوقت عند النصارى بما أدى لتعميق الطائفيـة وتفطيت الوحدة الوطنية للديار العثمانية - وما كانت الحركات القومية فى ديار الاسلام الا بتأليب الغرب ومبشرى الكنيسة للغرب والأقليات كاليهود والأرمن ضد الترك المسلمين وبالعكس ، وكذلك شارت القلاقل والفتن حتى انفرط عقد الخلافة العثمانية وبدأت حركات المطالبة بالاستقلال الوطنى فى العالم العربى والاسلامى - وآل الأمر الى ما نراه من استقلال اسمى للدويلات الاسلامية ، وخضوع فعلى للشرق أو الغرب - بدلا من خضوعها جميعا لله الواحد القهار - وبذلك تمكنت اسرائيل من الاستقرار فى أرض الاسلام ، وأصبحت تصول وتجول وتعيث فى الأرض الفساد - وكان الاستقلال والحرية بالنسبة للدول الاسلامية انفصالية وشروء عن الوحدة الاسلامية التى دعا اليها الكتاب فى قوله تعالى " ولا تؤمنسوا الا لمن تبع دينكم ..... " (٣)

---

(١) التبشير والاستعمار ص ١١٥ ، ١٧٢

(٢) سورة البقرة ص ١٢٠

(٣) سورة آل عمران ص ٧٣

وقال عز من قائل " يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين " (١)

وقال سبحانه " وامشوا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا .. " (٢)

ان قنـاع التطبيب والتعليم الذى تدشـر به الاستعمار وأشمـر السياسيين العلمانيين ، وأدخل البلبلة الى قلوب المسلمين الذين كانوا ومايزالون أقوى العناصر التى تدافع فى الشرق عن حرمة الديار - قد اتفقت غاياته مع الأهداف الصهيونية للسيطرة الاقتصادية والعسكرية على الشرق الأوسط - لذلك ساعدوا الهجرة اليهودية الى فلسطين لتكون اسرائيل كما صارت اليوم فزاعة للعرب . وتحققت الخطة القديمة بايجاد حاجز بين المشرق والمغرب الاسلامى بالقوة العسكرية منذ الحروب الصليبية - والتقت أهدافهم بالشبق الصهيونى للعودة الى أرض الميعاد - فتكاتفا سرا وعلانية على تحقيق ذلك ونحن فى غفلة .

يقول " اشعيا بومان " فى مجلة العالم الاسلامى عدد يناير سنة ١٩٣٠ - " ان شيئا من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربى ، ولذلك أسباب منها أن الاسلام منذ ظهر فى مكة لم يضعف عدديا بل هو دائما فى ازدياد واتساع ، ثم أن من أركان الاسلام الجهاد ، ولم يتفق أن دخل شعب فى الاسلام ثم عاد نصرانيا ، وأنه مامن دولة ظفرت بالمسلمين الا كانت خسارتها أضعافهم فى ذلك الكفاح " . ويقول " ان بدو الصحراء يمثلون نسبة كبيرة من المسلمين لذلك اقترح أن يعمل الغرب للسيطرة على الشواطئ - وعلى ذلك سارت خطتهم منذ الحروب الصليبية حتى اليوم - ولذلك كان تأسيس الدولة اليهودية أمرا مقررا عند المبشرين لتكون كما أصبحت بالفعل جرحا داميا فى قلب ديار الاسلام والعروبة .

فى هذه الفترة منذ القرن التاسع عشر وحتى آخر النصف الأول من القرن العشرين .. فى ديار الاسلام ، وحين انفصلت الطبقة المثقفة على الطريقة الأوروبية الحديثة عن جماهير الشعوب ورجال الدين ، كانت الحضارة الحديثة بالنسبة للجميع شيئا مجهول الكنه ، لذلك اقتصر الاقتباس على الشكل والشعار دون المضمون واللباب .

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٠

(٢) سورة آل عمران : ١٠٣

مثال ذلك مايقوله اليسوعيون<sup>(١)</sup> - ان دارس الطب بالفرنسية يحتاج الى اتقان اللغة الفرنسية ، ويصف الأدوية المصنوعة فى فرنسا ، ويتخصص فى فرنسا وقد يتزوج من فرنسية ، ويقرأ الكتب والمجلات الفرنسية - وكليات الطب والصيدلة فى بيروت مؤسسات تبشيرية يسوعية ، وهى ليست حرة تعتمد على دخلها الخاص - بل ان رئيسها واساتذتها يتناولون راتباً من وزارة الخارجية الفرنسية ، ولاغرو حينئذ أن يعتقــد خريجوها أن الحضارة الفرنسية أفضل من غيرها وقد تمثلوها وعاشوا عليها .

والنتيجة أنه الى وقتنا هذا فى أواخر القرن العشرين - قد لاتجد بلادا اسلامية كالمملكة العربية السعودية فى أمة الاسلام التى تعد بمشاة الملايين أطباء مسلمين فى بعض الفروع الحساسة للطب الحديث كالمختبرات والأشعة والتخدير - وتخرج اللجان باحثة فى أقاصى البلدان - ثم تفتطر للاستعانة بالنصارى وحتى بالهندوس ولا حول ولا قوة الا بالله .

وهكذا أصبحت الحضارة الفرنسية هى المثال الذى تحتذيه أبناء البلدان التى كان فيها النفوذ الفرنسى ، سواء بالاستعمار أو الانتداب وماسبقهمها ، وتعاون معها من مكامن التبشير ، المتمثلة فى مدارس وجامعاته ومستشفياته ومستوصفاته ونواديه . ويبدو ذلك واضحا فى لبنان وتونس مثلاً ، كما يبدو تأثير الحضارة الانجليزية فى مصر والعراق وباكستان - بل ان بعض البلدان فى أفريقيا مثلاً قد استبدلت بلغتها المحلية اللغة الأجنبية للمستعمر ، وهكذا سارت عملية التحضير على الاقتباس الشكلى فى الملبس وطريقة الحديث ولغة التفاهم بالنسبة للعامة تقليداً للخاصة والحكام الذين تعلموها جنباً الى جنب مع العلوم الحديثة فى البلاد الأوروبية فى عصر النهضة والتنوير ، وأصبح رجال الدين وقد تحدد دورهم فى الأحوال الشخصية والطقوس الشكلية - ولم يصبح الدين أسلوباً وطريقة للحياة لأن القوانين والدساتير صارت من وضع صانعيها الذين اقتبسوها ضمن العلوم الحديثه .

وتدريجياً أصبح الارهاب الفكرى ضد الدين - عند من أعلنوا شعار القومية وتبنوا الطريقة الاشتراكية أسلوباً للإصلاح الاجتماعى - حقيقة ماثلة لاتحتاج الى دليل ، وليس من تبنوا أسلوب الاقتصاد الحر وأعلنوا التمسك بالدين الاسلامى دستوراً للحياة - وقد أخذوا منجزات العلوم الحديثة كثمرة ناضجة اقتطفت من شجرة الحضارة الغربية حلوة لامة ولكنها سرعان ماتدبل لأنها لم تنبت من نفس الأرض والبيئة - بأحسن حالا - لأنهم استسهلوا النقل الحرفى عن اعمال الفكر لاستنباط مايلجح للزمان من أحكام جديدة من النصوص الثابتة الصحيحة .

---

(١) انظر كتاب التبشير والاستعمار ص ١٧١

## خلافات من إفريقيا :

يقول " بيار فونتين " (١) " ان الخوف الحقيقى فى نفوس المستعمرين ليس من الوحدة العربية بل من الوحدة الاسلامية ، ان قوة الاسلام هى التهديد الصحيح للاستعمار " .

فى السودان منعت الحكومة الانجليزية سفر المسلمين جنوب خط عرض ١٢ حتى تتيح للمبشرين حرية العمل عن طريق التعليم والتطبيب - ومن ثم وظائف الحكومة والمناصب السياسية وغير ذلك ، ومنذ عام ١٩٢٦ جعلت حكومة الانتداب تعطى المبشرين امانة من ميزانية حكومة السودان للتعليم - بعد أن استبيحت البلاد بعد القضاء على ثورة أحمد عرابى فى مصر ١٨٨٢ وتم الاحتلال ثم تم القضاء على المهدوية نهائيا فى السودان سنة ١٨٩٨ .

ومن أقوال المبشرين " ان التبشير الحقيقى يقوم فى المدارس والمستشفيات والمستوصفات الشابتة والقلالة - وكل تبشير خارج عن هذه المؤسسات انما هو شذوذ من القاعدة الصحيحة " . (٢)

ان ابنىة الارساليات ومنشآتها الضخمة قد بنيت أساسا للتأثير فى أولئك الذين سيصبح لهم فى بلادهم أهمية ما ، أو على الأصح لمساعدتهم لأن تصبح لهم تلك الأهمية - فينتسّر للغرب عن طريق هؤلاء أن ينفذوا الى حياة الشرقيين . (٣)

وذلك ما حدث فعلا فانه لما انتشرت الثقافة الغربية فى الشرق وانتشر معها شيء يسير من الذوق الأجنبى وأساليب الحياة الاجتماعية المألوفة فى الغرب - وظل جانب كبير من الحياة الشرقية موصدا دون هذه الأساليب الغربية التى اتفق أن تكون أكثر تساهلا فى سلوك الافراد الشخصى والاجتماعى وأقرب للفرية . هنا مال بعض المثقفين للانفلات من البيئة الشرقية المحافظة للانطلاق فى الطريقة الغربية المشرعة فى كل اتجاه .

وكان لتيسر سبل الاتمال ونشوء دواعى المصلحة واتفاق الأذواق دور هام فى تعميق الهوة بين هؤلاء وبين دعاة التمسك بالأصول وبالأصالة الذين رفضوا كل مستحدث باعتباره بدعة وضلالة ، ونظروا بريبة حتى الى العلوم الحديثية

---

(١) التبشير والاستعمار ص ٢٣٤ - ٢٣٦ من كتاب الملف السرى لشمال افريقيا بتصرف .

(٢) التبشير والاستعمار ص ٢١٦

(٣) نفس المصدر ص ٢٠٨

ومنجزاتها المفيدة - كالطب الحديث والاعلام .

فى كينيا ونيجيريا وأوغنده كانت مدارس التبشير هى أول منافذ التعليم الحديث - وكان الحال كذلك فى كل المستعمرات الأوروبية فى إفريقيا . وحين قامت الحرب العالمية الأولى عاملت كل دولسة أوروبية فى مستعمراتها - مبشرى أعدائها معاملة المحاربين - والجواسيس ، وأسرتهم واعتقلتهم - واستأصلت فرنسا وبريطانيا المبشرين الألمان والإيطاليين .

ذلك بينما يقول أحدهم وهو " وسترمان " (١) عن الاسلام " انه حين يعتنق الأفريقى الأسود دين الاسلام فانه يصبح فوراً عضواً فى هيئة اجتماعية أعلى من تلك التى كان فيها من قبل - ويشعر بالثقة فى نفسه اذ أصبح عضواً فى هيئة اجتماعية عالمية ، حتى ان الأوروبيين أنفسهم يجدون أنفسهم مرغمين على معاملتهم باحترام . بينما يختلف الوضع اذا أصبح نصرانياً فسيفى الأوروبيون دائماً أغراب عنه ، لأنهم يحاولون هدم حضارته وتبديلها بحضارتهم ، بينما الاسلام يجعل منسه إفريقيا يحترم نفسه ، ان الأفارقة يرون فى الاسلام الدين الوحيد للأفريقى الحديث .

فانه كما قال " جوستاف لوبون " فى كتابه حضارة العرب " ويقصد المسلمين " ( ان العرب هم أول من علم العالم كيف تتخلق مدينة الفكر مع استقامة الدين ) .

#### نشاطات المبشرين الأخرى :

ماعداء التطبيب والتعليم فقد استخدم المبشرون وسائل عديدة نذكر بعضها اتماماً للفائدة .

» **الرياضة :** كان تأليه الروح الرياضية وأبطال الألعاب الرياضية من عبادات الاغريق ثم الرومان من بعدهم ، وهو مما أخذته الكنيسة ضمن طباع الشعوب الأوروبية التى اعتنقت النصرانية بعد المائنة الثالثة لميلاد المسيح عليه السلام ، ومن هنا كانت مقولة " ترومنت النصرانية " هى أكثر تعبيراً عن الحقيقة من "تنصر الرومان " وتبنت مكان التبشير هذه النظرة - مما أدى لالهاء الشعوب عن عباداتها ومعتقداتها وقضاياها المصيرية - عسى

---

(١) التبشير والاستعمار ص ٢٤٤

## طريق التسلية الرياضية .

■ الأعمال الاجتماعية : وهي المناسبات التي تجمع الناس بعضهم ببعض وتتيح لهم فرصة التعارف - وقلما يتاح لهم ذلك في الحياة المدنية المصرية التي تجمع الناس معا في عمارات شاهقة وشقق متلاصقة ووسائل نقل يجلسون فيها جنباً الى جنب ، ولكن قلما يتيح لهم نمط الحياة الفرصة أو الوقت لتوثيق صلاتهم بآخرين - لذلك كان تأليف المنتديات الأدبية والسياسية والرياضية واقامة الحفلات أو المحافل لجمع التبرعات أو لغير ذلك من الأغراض - هي الوسيلة المناسبة لنمط الحياة الغربي الذي يخلو من أى دور للكنيسة - أو الطلوات أو الصدقات والزكوات والأضاحي ، وملاط الرحم .

وفى هذه الطريقة الغربية - غالباً ما يختلط الرجال بالنساء ، وكذلك عمل المبشرون على نقل أسلوب الاحتفال بأعياد الميلاد وغيره - لا لتوثيق الصلات بيننا ولا لتكون حياتنا أكثر مرحاً أو فائدة - بل - توصلنا الى الحاجز الذي ضرب به العرف الشرقي حول الأسرة المسلمة كي تنفتح لهم أبواب التبشير الداخلية الخاصة أيضاً ، وتلك غايية النشاط الاجتماعي الذي حاولوا أن يبشروه بيننا بواسطة المدارس الأجنبية والخدمات الاجتماعية مثل انشاء بيوت رخيصة للطلبة والطالبات المفتربين ، وعمل معسكرات ومخيمات الكشف ، وانشاء الاصحاحيات للأحداث والأيام واللقاءات ، ونشر الكتب المسيحية والانجيل باللغات المحلية ، وإشارة ما يسمى بالحوار الذي يهدف الى زمزمة العقائد عن طريق الأخذ والرد ، ثم النفاذ من طريق الخطأ والجميل المتشابهة الى احراج ذوى الكلمة المسمومة في قلوبهم في مناقشات علنية في الأندية بأنواعها مثلاً - ومن ذلك الدعوة لتأخير الزواج ، وتحديد النسل ، والمفاضلة بين المخادنة وتعدد الزوجات وغير ذلك من القضايا القتالسة (١) - كدعوتهم لنشر اللغة العامية لتكريس الاقليمية وقطع صلة الناس بالقرآن ، والتراث حتى يهيئهم كالانجيل الذي يقرأ باللاتينية في الكنائس ولا يفهمه مستمعوه .

وقد يدمجون دعواتهم الهدامة تحت عنوان رقيق كالرفق بالحيوان ، أو اصلاح أحوال العمال بالنسبة للأجور وساعات العمل والرعاية الصحية .

---

(١) ولا يخفى على ذى لب ما فى هذه الآراء من داعية لانتشار الفساد ، ويبدوا أن حب الكسب والسيطرة والعقائد المصرية ، هي وراء استجـارة الأوروبيون العمل على افساد الشعوب التي يستعمرونها عسكرياً أو ثقافياً بكل سبيل كالخمر والدعارة والأفيون الخ .. ومما يذكر أنه لم تكن فى بيروت سنة ١٨٥٦ الا حانة واحدة يديرها رجل يونانى يتمتع بالحماية ، وبعد احتلال فرنسا سنة ١٨٦٠ لجبل لبنان دفاعاً عن موارنه قاموا بافتتاح خمسين حانة وعدداً كبيراً من بيوت الدعارة ( ص ١٩٨ من التبشير والاستعمار ) .

❖ الاحسان : عن طريق المعونة المالية المباشرة أو هبة الثياب أو الطعام أو الكتب أو المساعدة على ايجاد عمل أو التعليم المجانى ( أولا ، أما الآن فى بداية ثمانينات القرن العشرين فان مدارسهم تتقاضى ائلى المصروفات وتسميها تبرعات ) وقد جاء فى كتاب أسس جديدة للتبشير (١) الذى ألفه جماعة منهم - ان التطبيب والتعليم من وسائل التبشير ويجب أن تبقى كذلك . . أما أعمال الخير فيجسب أن تستعمل بحكمة فلا تعطى الأموال الا للبعاء ، ثم تقل بالتدريج كلما اقتربوا من الكنيسة ولاتجب المبالغة فى أعمال الخير - وتلك من طرق تأليف القلوب المعترف بها . وقد اتخذ الاحسان بعد الحرب العالمية الثانية شكلا جديدا - فقد أصبح مساعدات فنيه للأمم المتخلفة - وقد جاء فى كتاب "الاستعمار عدو الشعوب" - للأستاذ عبدالعزيز فهمى (٢) الحقائق التالية :

" ان القسم الأوفر من المبالغ المحسوبة كمساعدات للبلدان المتخلفة يذهب الى الموظفين ، وغنى عن البيان أن المرتبات الضخمة يأخذها الموظفون الأجانب أى الامريكيون غالباً .

قال " ترومان " رئيس الولايات المتحدة الأسبق " ان مشروع النقطة الرابعة يعنى بالنسبة الى أمريكا توسيع نطاق التجارة ، وزيادة أسواق التصريف وتمويل أمريكا بالمواد الأولية ."

---

(١) التبشير والاستعمار ص ١٩٤

(٢) مجلة الغرفة التجارية ( فى الولايات المتحدة ) - السنة العاشرة مارس ( ١٩٥٣ ) ، العدد ٣ - ص ٩ ، ٩٦ ( الاستعمار عدو الشعوب ص : ١٣١ )

## الطب والمستشرقون :

لعلّه قد أتضح من الصفحات السابقة أن الأطباء في كل العصور هم أكثر اتصالاً ومعايشة للمجتمعات التي يتصادف وجودهم فيها . وهم من فئات المثقفين الذين يستمع الناس اليهم ويعتدون بهم ويصدقونهم .

والطبيب النابه يجد مكانه في المجتمع الانساني مهما اختلف معه في العقيدة أو نهج الحياة ، نظرا للحاجة التي لاتنك الى علمه .

ومنذ العصور الأولى حين كان الكاهن والطبيب شيئا واحدا ، الى العصور الوسطى التي استخدم فيها مبشروا الكنيسة مسألة الخدمات الصحية بكل جوانبها للدعوة الى مذهبهم ، الى عصرنا هذا الذي يعمل فيه الأطباء من كل لون ودين ، في كل دولة وشعب تقريبا ويمثلون جنسياتهم ومذاهبهم ولو لم يقصدوا ذلك .

كثير من الأطباء قديما وحديثا ، عملوا بالتأليف العلمي والأدبي ، وبالساسة ، والبحث العلمي والاكتشاف - وقد حفظ لنا التاريخ أسماء عباقرة الطب المسلمين في عصور ازدهار دولة الاسلام ، كابن سينا والرازي وابن زهر - الأندلس وغيرهم ممن سنأتى على ذكرهم ان شاء الله - وكان هؤلاء كالنجوم التي لم ينطفئ لمعانها على مر القرون ، مثيرة لفضول الناس حتى من غير المسلمين ، وداعية لنور الاسلام بالسلوك الفاضل والتأثير الايجابى فيمن تبعوهم وساروا على نهجهم فيما بعد ، وحتى يومنا هذا .

وكثير من المستشرقين من النصارى ، هم من المبشرين الذين هاجروا من موطنهم وسكنوا في البلاد الشرقية الاسلامية كمتطبين ، ثم عادوا الى ديارهم وتولوا مناصب رئيسية في سلك الكنيسة أو الجامعات أو كتبوا المؤلفات عن الاسلام والمسلمين ، وكانوا ممن ساهم مع أتربهم من اليهود والاستعماريين ودافعهم الواحد الاصيل هو العمل من أجل انكار المقومات الثقافية والروحية في أمة الاسلام ، والتنديد والاستخفاف بها - وكان ذلك على الأغلب هو منهج الاستشراق لفهم الاسلام عقيدة وحضارة وتراثا .

ويعود ذلك الى حالة نفسية تعود الى فترة التفوق الحضارى الباهر لدولة الاسلام في القرن العاشر الميلادى ، وتكاثف الأحقاد والمخاوف الصليبية الذى أدى الى الحملات الصليبية في القرن الحادى عشر والثانى عشر ، وهى الفترة التي وصفها محمد أسد بالطفولة الفكرية المبكرة للمدنية الغربية المعاصرة .<sup>(١)</sup>

ان اشارة الشعوب الأوروبية لتعبثتها لحرب المسلمين ، استوجب تسميم العقل الغربى عن طريق تفسير التعاليم الاسلامية بطريقة خاطئة وتصوير النبى الخاتم الصادق الأمين على أنه عدو المسيح ، وأن دين الاسلام يبيح القسوة والفجور .

---

(١) الطريق الى مكة - ترجمة عفيف بعلبكي ص ٢١ - سنة ٥٦ - بيروت .



وتكونت الصورة المشوهة عن الاسلام من مصادر تاريخية بيزنطية شرقية واسبانية لاتينية مع ما أضيف لها من خبرات الحروب الصليبية - ثم اتخذت شكل التقليد المنهجي والاطار الفكرى توارثتها الأجيال التالية ، وتحولت الى فتاوى شرعية أخذ بها المتأخرون وحقائق مسلمة تلقوها بلا بحث ولا نظر . ويقول "برنارد لويس " المستشرق المعاصر " لاتزال آثار التعصب الدينى الغربى ظاهرة فى مؤلفات عدد من العلماء المعاصرين مستترة فى الغالب وراء الحواشى المروصعة فى الأبحاث العلمية " (١) وحين انتكست الحروب الصليبية حربيا ارتفعت الصيحات تدعو الى نقل المعركة من ساحة القتال الى حقل الفكر والدعوة ، وكان نجم هذه الدعوة هو الفيلسوف المشهور " روجر بيكون " (٢) الانجليزى الذى تلقى العلم فى اكسفورد وباريس ونال الدكتوراه فى اللاهوت - ثم درس الطب وسافر الى ايطاليا بحثا عن مظانسه فى المصنفات العربية - ثم عاد الى اكسفورد فعلم فيها . وقد وجه الى البابا رسالة مقترحا فيها :

وجوب ادخال اللغات الأجنبية وخاصة العربية فى مناهج الدراسات الجامعية كوسيلة للتبشير والاستشراق ، ودراسة أحوال من يراد غزوهم لتسهيل معرفة المسارب التى يمكن النفاذ منها لهدم عقيدة المسلمين .

ووجدت دعوته أذنا صاغية فقرر مجمع فيينا سنة ١٣١٢ م ادخال اللغة العربية الى جامعات أوروبا الرئيسية مثل اكسفورد وروما وباريس ، وهكذا كان الدافع وراء انشاء مراكز الدراسات العربية والاسلامية فى الغرب - تبشيرا هدميا منذ البدء - وحتى انضم اليه فى القرن السابع عشر سبب استعماري استغلالي نتيجة الثورة الصناعية . وما زالت الملامح البشعة المشوهة التى أملاها الحقد المقيت والتعصب الأعمى مع الجهل الفاضح بحقائق الاسلام وأصوله قائمة الى هذا اليوم رغم اختلاف الأساليب بما تحتمه قاعدة " اختلاف الاحكام باختلاف المصالح والأزمان " .

وفيما يلى أسماء بعض من الأطباء النصارى قديما وحديثا ممن اشتهر عنهم العمل فى مجال التأليف والتبشير والنقل عن المؤلفات العربية العلمية والنظرية بمنهج الاستشراق - وذلك ماتيسر لنا (٣) .

---

(١) برنارد لويس - العرب فى التاريخ ص ٦٣

(٢) ١٢١٤ - ١٢٩٤

(٣) من المستشرقون ، الجزء الأول من ص ١٥٧ - ٤٦٧ وهو عبارته عن سجل بأسماء المستشرقين ، انتقينا منهم الأطباء ورجعنا الى تراجمهم بدائرة المعارف البريطانية ( كل تحت اسمه ) .

- ❖ ( **بليكان** ) : كان طبيبا مشهورا بمصر ، وصار بطيرركا على الاسكندرية أيام المنصور العباسي ، وكان الرشيد قد وهب له مالا كثيرا - توفي سنة ٧٩٧ م - سنة ١٨٦ هـ .
- ❖ ( **جيربرتسو** ) : الفرنسى الذى أصبح فيما بعد البابا سيلفستر الثانى فى روما سنة ٩٩٩ ، عاش ودرس فى قرطبه الاسلامية على يد أساتذة من العرب .
- ❖ ( **لسطنطين** ) : الافريقى - ولد فى قرطاجنه ، ورحل الى خراسان وبغداد والشام ومصر والهند ، ولما رجع الى القيروان بتونس وقع أسيرا . ثم اعتنق النصرانية والتحق بمدرسة الطب فى ساليرنو وترهب فى دير مونتى كاسينو ( انظر المبحث الخامس من الفصل الأول ) - وطفق يترجم كتب الطب والفلك من العربية الى اللاتينية - وانتحل بعض ماترجم . توفي سنة ١٠٨٧ .
- ❖ ( **أرنولد** ) : الفيلانوفى - ١٢٣٥ - ١٣١١ - تخرج فى الطب من جامعة نابولى وعلمه فى باريس ومونبيليه وروما وبرشلونة ، وعين طبيبا لملك أراغون ، وانذر البابا بونيفاس بخراب الكنيسة ، فرمى بالسحر والالحاد وطاردته محاكم التفتيش ولكن الملك حماه من بطشها - صنف فى الطب والكيمياء واللاهوت - وترجم كتاب الاسرار فى الكيمياء للرازي ، وخمسة كتب للكندى فى معرفة قوى الادوية المركبة ، وترجم بعض رسائل ابن سينا الى غير ذلك . وكان من أساتذة جامعة مونبيليه المشاهير ، ومعه "ارمنجو بلازن " و"بياردى كابستان " - وغيرهم ممن كانوا يدعون بالمستعربين لأنهم كانوا يدرسون الأطباء العرب دون غيرهم . (١)
- ❖ ( **جيرارد دى كريمونا** ) : ١١١٤ - ١١٨٧ ايطالى ذهب الى طليطله (٢) واستقر فيها حوالى خمسين عاما ترجم خلالها حوالى ٧٦ كتابا من العربية الى اللاتينية - منها القانون لابن سينا .
- ❖ ( **جلبرت** ) : الانجليزى - أصبح رئيسا لجامعة مونت بليزر سنة ١٢٥٠ ، وحاول الجمع بين المدرسة العربية ومدرسة ساليرنو الطبية .

---

(١) الطب الاسلامى ص ٤٦ .  
 (٢) سقطت سنة ١٠٨٥ ثم ازدهرت حركة الترجمة من العربية الى اللاتينية أيام "الملك الفونسو العاشر " واشتهر طبيبه اليهودى "ابراهيم" بترجمة قصة المعراج ورسالة الغفران للمعري ، التى بنى عليها دانتي الكوميديا الالهية .

- ❖ ( بطرس ) : الاسباني الذي ولد في البرتغال ثم أصبح بابا روما باسم " يوحنا الواحد والعشرين " سنة ١٢٧٦ .
- ❖ ( فاتييه ) : ١٦١٣ - ١٦٦٧ طبيب دوق أورليان ، ترجم كتاب الأمراض العقلية لابن سينا وعدة كتب في التاريخ والمنطق والكلام .
- ❖ ( الدكتور مارتن ) : استاذ الطب في مونبيليه نشر مع موليه كتاب الطبيعيات عند العرب حوالى سنة ١٨٥٠ .
- ❖ ( الدكتور بيرون ) : ١٨٠٥ - ١٨٧٦ تخرج من باريس وعين مديرا لمدرسة الطب بالقاهرة ورحل للسودان . حقق وترجم كثيرا من المخطوطات العربية - وترجم الطب النبوي لجلال الدين أبي سليمان داود سنة ١٨٦٠ .
- ❖ ( الدكتور ليكلير ) ١٨٤٦ - ١٨٩٣ - طبيب أكب على دراسة التاريخ وأصول اللغات وعنى بالطب العربى خاصة ونشر عنه الكثير مثل كتاب الترجمات العربية (باريس سنة ١٨٦٧ ) وشرح كشف الرموز فى شرح العقاقير والأعشاب للرازي ( ١٨٧٤ ) وتاريخ الطب العربى وفيه الكثير من ابن ابي اصبهه فى جزئين ( ١٨٧٨ ) ، وترجم أقساما من كتاب التصريف <sup>(١)</sup> للزهراوى ( ١٨٦١ ) .
- ❖ ( دكتور جيج ) : تخرج فى باريس وعين استادا فى جامعة القديس يوسف فى بيروت - وله دراسات وترجمات عن الطب العربى مثل كتاب الحاوى للرازي .
- ❖ ( الدكتور رينو ) : ١٨٨١ - ١٩٤٥ طبيب واستاذ فى معهد الدراسات المغربيه العليا بالرباط .
- ❖ ( كونتينسو ) : ولد سنة ١٨٧٧ وهو أديب وطبيب وأثرى .
- ❖ ( راموسوس ) : توفى سنة ١٤٨٦ من أطباء البندقية - زاول الطب فى دمشق حيث تعلم العربية ودرس وترجم وعلق على كتب ابن سينا وفلسفته .

---

(١) التصريف لمن عجز عن التأليف .

✽ ( سارنللى توماسو ) : ولد سنة ١٨٩٠ وقف نشاطه على الدراسات الطبية فى طرابلس الغرب واليمن .

✽ ( كورنيليوس فان ديك ) : أول رئيس للجامعة الامريكية ببيسروت - وابنه ( هنرى فان ديك ) .

✽ ( جورج بوسست ) : ذهب الى طرابلس الغرب سنة ١٨٧٣ كطبيب مبشر .

✽ ( آسيا دودج - ماري أدى - تشارلز كالهون - تومسون - نورس ) وهم امريكيون على الأغلب عملوا فى الجامعة الامريكية ببيروت كأطباء مبشرين .

هذه الاسماء المنقولة عن المراجع العربية التى سردت بعض التراجم للمستشرقين ، واقتبسنا منهم بعض الأطباء والمتطبين كدليل على أن الطبيب لا يعيش بمعزل عن بيئته ونشأته وعقيدته ، فى أى مكان يعمل فيه ، وفى العصر الحالى الذى نعيش فيه يمتد تأثير الطبيب الى تلامذته ومرغاه والمجتمع الذى يعيش فيه وكذلك رسائله ومؤلفاته ، وكثير من الكتب التى يتدارسها الأطباء المسلمون اليوم فى الطب تجد فيها العنصرية واحتقار الملونين ، ولا تجد ذكرا للمسلمين فى تاريخ الطب أو الكيمياء الا كناقل لا مبدع ومخترع وناقد ، ويعن لى أن أذكر أنه فى مجلد ضخيم للأمراض الباطنية (١) لم يذكر المسلمون الا فى معرض جلوسهم القرفصاء لقضاء الحاجة ، وأن فى ذلك مايساعد على دفع الامساك .

وبالرغم من الجهود المبذولة لمئات السنين باصرار وترصد ، فقد فشل التبشير والاستشراق ومن ورائهما الكنيسة فى نقل المسلمين الى النصرانية عقيـدة أو عملا ، عدا قلائل من بيئات يسودها الفقر والجهل والمرض تحت الاستعمار الأوروبى المسيحى - فى الشرق الاقصى كاندونيسيا ، وأواسط أفريقيا وغربها . وأغلبهم كانوا وثنيين أساسا ، ولم يهنتوا بالدنيا التى ظنوا التنصر سبيلا لها ، فقد حرم عليهم ما يتمتع به النصارى البيض ثم انتظر منهم هؤلاء أن يكونوا دائما فى خدمة المستعمر الأبيض ضد قومهم وابناء جلدتهم .

وقد أصدر القسيس ( بيرس بيفر ) سنة ١٩٦٤ كتاب " من الارساليات المتعددة الى الارسالية الموحدة (٢) - جاء فيه ( انه فى القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين كانت الحضارة الأوروبية والسيطرة السياسية والقوة العسكرية تحتاج العالم ، وكانت الكنيسة تتسهم هذا المد من الجاه الأوروبى والأمريكى وتسير على سطحه هونا فلا تلتقى فى آسيا وافريقيا الا بنظم اجتماعية متصدعة .

---

(١) اسم الكتاب : DAVIDSON TEXT BOOK OF MEDICINE  
FROM MISSIONS TO MISSION

(٢)

وأصبح الطريق ممهدا لانتشار النصرانية مع اتساع السيطرة الأوروبية في العالم التي قامت بدورها في نشر النصرانية ( ص ١١ - ١٣ ) - أما الآن فقد تبدلت الحال فقد حطمت الحربان العالميتان الجاه الأوروبي وأصبح الآسيويون والأفارقة لا يتقبلون النصرانية على أنها جانب من حضارة متفوقة راقية كما كان بالأمس - بل أصبح يقال عن المبشرين أنهم عملاء للاستعمار وأدوات للتخريب ولتغلغل النفوذ الأجنبي ( ص ١٤ ) .

- وهذا كلام دقيق ، وتحليل صادق للقضية في نهاية المطاف ، ويمكن قياس الطب والتعليم وغيرهما على التبشير في هذا المجال ، فقد صحا العالم الاسلامي خاصة ، وانتهى الوقت - باذن الله - الذي كان يغلل فيه بواسطة طبيب ، أو مبشر تحت رداء التمريض ، ولكن لا يزال لذلك ذيول خطيرة في الشعوب الاسلامية الناشئة ، والفقيرة ، وهذا ما يستوجب مضاعفة الجهد للتفوق في مجال العلوم والطب مع مزج ذلك بعلوم الاسلام وحقائقه ، ويومئذ تنعكس دورة التأثير ، وتعلو كلمة الله لأنها الحق المبين :

( فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون )

( سورة الروم ٢٠ )

## الفصل الثالث

### استخدام الطب فى الاعلام فى الاسلام

الطب فى لغة العرب يقال على معان منها الاصلاح - يقال طببته اذا أصلحته ،  
ويقال له طب فى الأمور أى لطف وسياسة .

قال شاعرهم :

اذا تغير من تعميم أمرها .: كنت الطبيب لها برأى شاقب

ومن معانيها الحذق - قال الجوهري كل حاذق طبيب عند العرب ، وقال أبو عبيد  
أصل الطب الحذق بالأشياء والمهارة بها ويقال للرجل طب وطبيب اذا كان كذلك  
وان كان فى غير علاج المرضى .

قال ملقمه :-

فان تسألونى بالنساء فاننى .: خير بأدواء النساء طبيب  
اذا شاب رأس المرأة أو قل ماله .: فليس له فى ودهن نصيب (١)

كان الطبيب عند العرب من قبل البعثة المحمدية اذن يحمل معنى المصلح الماهر  
ذى اللطف والسياسة .

ونظرا لما كان فيه بنو آدم من جاهلية سواء فى الجزيرة العربية أو غيرها نظرا  
لما ران على اليهود من الجمود والتحجر ، ومالحق شريعتهم من التبديل والتحريف  
واتبعهم فى ذلك النصارى من بعد ، حتى جاءت الشريعة الخاتمة بالحق المبين على  
خلاف اليهود وما جاء فى كتبهم المحرفة مما ينفع بالحقد على بنى آدم جميعا ،  
وماتابعهم فيه النصارى من بعد واعتمادهم النفاق تغطية لما يكونونه من الكبر  
والاستعلاء على الناس حين تكون القوة بأيديهم .

جاء الاسلام ديننا شاملا كاملا يغطى جميع جوانب الحياة ، ويدعو الى الرحمة  
والتراحم ، ويأمر بالطب وقاية وعلاج ، ويتحدث من كثير من شئونه تعليما وارشادا  
وتنبيهها الى قدرة الخالق سبحانه وتعالى . مما لم يستطع المفسرون القدماء الوصول  
الى حقيقته كثيرا للصور معلومات البشر منذ قرون عديدة . وقد تكشفت رويدا فى  
السنين الأخيرة من القرن الحالى كثير من اعجاز البيان القرآنى ودقته فى التعبير  
من حقائق علمية دقيقة لم تكن معروفة من قبل .

---

(١) الطب النبوى ص ١٠٧ وما بعدها .

وزخر القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، والحياة الاسلامية عند أمة  
الاسلام فى مصورها الزاهرة . بكثير من الآيات والحكمة كما سنفصله  
فى هذا الفصل ان شاء الله .

وكان مفهوم الصحة فى الاسلام أكثر شمولاً من مجرد كونها الحالة التى  
يخلو فيها الانسان من المرض أو العجز ، بل هى تكامل بين الصحة  
النفسية بالايمان ، والصحة الاجتماعية بالتكافل ، والصحة الجسدية  
بالاعتدال والقصد فى الأمر كله وقاية وعلاجاً .

فالقرآن الكريم قد تحدث عن المرض والشفاء ، والارحام ، والحيض ،  
والأجنة وتطورها ، والحياة والموت ، وبراء الأكمة والأبرص ، وحفظ  
النفوس .

قال تعالى " من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل  
الناس جميعاً ، ومن أحيأها فكأنما أحيأ الناس جميعاً .. (١)

## المبحث الأول

### القرآن الكريم والطب

ان القرآن الكريم الذى أنزل على خاتم النبيين سيدنا محمد رسول الله منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ، فأخرج المؤمنين به من الظلمات الى النور ومن الجهل الى العلم ، حين أصبح دستوراً للمسلمين بما فيه " ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين " (١) خاتم كلمات السماء أول مانادى بالقراءة فكان أول ما نزل على النبى " اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم (٢) " وقد ورد لفظ العلم ومشتقاته فى القرآن حوالى ٥٨٠ مرة (٣) .

وهكذا منذ البداية ، لفت الرحمن سبحانه وتعالى نظر الانسان الى معجزة الخلق من علماء المهين ، ولعمر الحق إن ذلك لكاف ليومن من تخشع قلوبهم لذكر الله وان فى أطوار الانشاء والتكوين لعبرة لذوى الألباب - لذلك قال تعالى " انما يطفى الله من عباده العلماء " (٤) وقال سبحانه " سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق .. (٥)

وفى قول الله تبارك وتعالى " .. وفى انفسكم أفلا تبصرون " (٦) ما يمكن أن يستغرق علم عالم بالطب ، بل جماعة من العلماء فى فروعه المختلفة ثم أنهم لا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء . مهما تضافرت جهودهم واستغرق البحث والتعليق من سنى أعمارهم ، لذلك فأننى فى هذا المبحث سأكتفى بما يفتح الله به على من تعليق أو نقل لما أورده غيرى من الباحثين فى اعجاز بعض من آيات الله البينات مما له علاقة بعلوم الطب (الأكاديمية) كالتشريح وعلم وظائف الأعضاء أو التطبيقية العلاجية كأمراض النساء مثلاً وما يرتبط بها من علم الأجنة ، والوراثة وما الى ذل مما ينمو اليه علمى ان شاء الله .

وعلم الطب هو أبرز وسائل المعرفة لحماية المخلوق الذى كرمه الله واستخلفه فى الأرض ، والمسلم مأمور باتخاذ أسباب القوة ومنها الصحة الجسمية والنفسية ليرهب العدو وليستطيع القيام بعمارة الأرض ومهام الخلافة فيها بأمر الله ، ومن ذلك قوله تعالى " ان خير من استأجرت القوى الأمين .. " (٧)

- 
- |                   |                    |                                             |
|-------------------|--------------------|---------------------------------------------|
| (١) البقرة ٢      | (٢) سورة العلق ١-٥ | (٣) بين الدين والعلم<br>عبدالرزاق نوفل ص ١٦ |
| (٤) فاطر ٢٨       | (٥) فصلت ٥٣        | (٦) الذاريات ٢١                             |
| (٧) سورة القصص ٢٦ |                    |                                             |



وقوله سبحانه " ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم " (١)  
كما أنه سبحانه وتعالى قد خفف عن المريض الالتزام الشرعى بالجهاد مثلاً فى  
قوله تعالى " ولا على المريض حرج " (٢) وقوله سبحانه بالنسبة لصوم رمضان  
" لمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر .. " (٣)

فالشريعة الاسلامية قد جاءت بالحث على التداوى مع التوكل على الله  
ورجاء النفع منه سبحانه وأمرت بالمصر على البلاء وحرمت اليأس من روح الله  
والقنوط من رحمته مهما تأخر الأمر وتعثرت جهود الأطباء .

وقد ذكرنا فى الفصلين الأولين من الباب الأول والثانى طرفاً من معجزات المسيح  
عليه السلام وأوردنا ما جاء فى القرآن الكريم من آيات عن شفاء كثير من  
الأمراض التى تعد حتى وقتنا هذا من أصعب الحالات شفاء كالشلل والبرص والجذام  
والجنون والصرع - بل وحتى احياء الموتى بإذن الله - بيانا لقدرته تعالى على  
القضاء وعلى رده على السواء .

وفيما جاء فى آيات القرآن الكريم عن غسل النحل قوله تعالى " .. يخرج من  
بطونهما شراب مختلف ألوانه .. فيه شفاء للناس .. " (٤) . ومنذ ذلك  
الحين والمسلمون يستعملون العسل لعلاج أمراض الجهاز الهضمى والتنفسى  
والأمراض الجلدية وغيرها وهو سهل المنال رخيص الثمن وبلا آثار جانبية  
شأن أكثر الدوائى إضافة الى أنه غذاء طبيعى سهل الامتصاص لاحتوائه على نسبة  
عالية من الدكستروز . وظهرت أبحاث كثيرة على مدى السنين تثبت فعاليتيه  
وجدواه عن كثير من ضروب العلاج المستحدث .

وفيما يلى سنذكر بعضاً من آيات الله البينات مما ورد فى القرآن  
الكريم وما تشير به فى نفس المتأمل من المعرفة للخالق سبحانه وتعالى :-

قوله تعالى :-

" يخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ، ويحيى الأرض بعد موتها ، وكذلك  
تخرجون " (٥)

الأرض والتراب والصخور والأحجار جماد لحياء فيها . تتكون من عناصر  
معنوية ومركبات عضوية وأملاح ورطوبة . يمتص النبات هذه الأرض الميتة  
عن طريق الجذور وتأخذ الأوراق شانى أكسيد الكربون من الهواء ، ثم  
تقوم المادة الخضراء بتحويل هذه المكونات الميتة الى مواد نشوية  
واكسجين وطاقة حرارية - والسر الأعظم يكمن فى كيفية تحول هذا النشا  
الى خلايا حية تنقسم وتتكاثر لينمو النبات ويثمر ويتلاقح

(٣) البقرة ١٨٤

(٢) الفتح ١٧

(١) سورة البقرة ٢٤٧

(٥) سورة الروم ١٩

(٤) سورة النحل ٦٩

ويتناسل والسؤال هو كيف تدب الروح وتبدأ الحياة .

وكذلك فى الحيوان والانسان - بداية من الخلية الواحدة فى الأميبيا الى أرقى وأعلم بنى آدم - يتغذى على مواد عضوية أو عناصر وأملاح غير عضوية - وكلها ميتة بذاتها . ومن خلال تفاعلات كيميائية ووسائطها من الخمائر والهورمونات يتم تصنيع الخلايا الحية للنمو ولتعويض الخلية التى تموت فى كل وقت فى جسم الانسان فى أغلب الأعضاء . والكيفية التى يتم بها بعث الحياة فى هذه المكونات مازالت مجهولة . ومن خلال التنفس وعملية الإخراج المختلفة يتم إخراج نفايات عمليات الاحتراق الداخلى الضرورية للحصول على الطاقة اللازمة لاستمرار الحياة .

وهكذا نرى فى كل لحظة عملية إخراج الميت من الحى ، وإخراج الحى من الميت ، وإحياء الأرض بالماء - " تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور (١) " .

وكذلك قوله تعالى " منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى " . (٢) فهذا هو الحق من البداية وحتى قيام القيامة .

### عسل النحل

وقد كتبت فى ذلك كتب ومؤلفات عديدة ، وفى بحث أجراه أخيراً د . سالم نجم أستاذ الأمراض الباطنية بجامعة الأزهر بالقاهرة (٣) ومادته ٤٥ مريضاً مصابين بعسر الهضم ، سواء ثبت عندهم قرحة الاثنى عشر أو لم يثبت ذلك بالفحص الأكلينيكي وبالمناظر الضوئى والأشعة الملونة ، مع تكرار الفحوص اللازمة شهرياً - لمدة ستة شهور . وقد نصحهم بشرب مقدار فنجان من العسل ( حوالى ثلاثين سنتيمتراً مكعباً ) أى عسل النحل الذى يتوفر لديهم قبل تناول الطعام ثلاث مرات يومياً . وبالمقابل فقد وضع عشرين مريضاً ممن تتماثل صفاتهم مع المجموعة الأولى تحت العلاج بدواء خامل لمدة ثلاثة شهور ثم أعطوا الأدوية الحديثة وعولجوا بالوسائل المتبعة بعد ذلك خوفاً من حدوث المضاعفات . وكانت نتائج التجربة كالتالى :

---

(١) الملك ٢ ، ١ (٢) طه ٥٥

(٣) بحث منشور فى كتاب الطب الإسلامى . طبعة الكويت ص ٢٨٧ - ٢٩٤

بالنسبة لمستعملى العسل :

✱ ٣٠ مريضا تماثلوا للشفاء التام

✱ ٧ تحسّن ملحوظ

✱ ٥ التامت قرحة الاثنى عشر

كما تحسنت نسبة خضاب الدم ( الهيموجلوبين ) بدرجة كبيرة فى جميع المرضى ، واختفى الدم من البراز من المرضى عدا أربعة منهم .

وأشادت التجربة الى الدلائل الآتية :

- (١) عسل النحل له فائدة فى علاج الحالات المرضية لأعلى الجهاز الهضمى - وقد ثبتت فائدته أيضا فى المساعدة على التئام تقرح الأمعاء الغليظة اذا أعطى فى صورة حقن شرجية .
- (٢) تظهر الفائدة بوضوح فى الحالات المرضية العضوية كالتهابات وتقرحات الجهاز الهضمى التى لايلعب فيها العامل النفسى دورا رئيسيا .
- (٣) يهبط بافراز المعدة من حامض الهيدروكلوريك الى معدل طبيعى مما يساعده على التئام قرحة المعدة والاثنى عشر.

واقترح الباحث بناء على ذلك أن يكون العسل فى المقام الأول فى علاج حالات اضطراب الجهاز الهضمى .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن أبى سعيد الخدرى قال " ان رجلا جاء اليه فقال ان اخى قد استطلق بطنه ، فبال عليه السلام اسقاه مسلا فسقاه ثم جاء فقال يارسول الله سقيته مسلا ثم عاد فقال للنبي - يارسول الله مازاده الا استطلقا - قال الرسول صلى الله عليه وسلم - صدق الله وكذب بطن أخيك - اذهب فاسقه مسلا - فذهب فسقاه مسلا فسقاه - أو كما قال عليه الصلاة والسلام .

وقد أجريت مؤخرا أبحاث مقارنة عن فعالية العسل كقاتل للجراثيم ( مضاد حيوى ) وبين الجنتاميسين وهو أحد أقوى المضادات الحيوية المعروفة الآن ووجد أنه مخففا بنسبة ٣٠ - ٥٠ ٪ أكثر مفعولا من الجنتاميسين على مزارع ميكروب عصيات القولون وهى من أهم أسباب التهاب الجهاز البولى والتناسلى فى الانثى خاصة .

ومنذ الثلاثينات من هذا القرن وهو يستعمل على نطاق واسع لمعالجة الجروح والحروق المتقيحة فى دول شرق أوروبا وروسيا بخاصة ، وثبتت فعاليته كمضاد حيوى وعازل وماص للرطوبة ، وقرأت عن استعماله بنجاح فى أمراض الحساسية الجلدية وغيرها . ومما يذكر أنه لم يمكن الى الآن عزل المواد الفعالة من مكونات العسل أو تركيبه كيميائيا<sup>(١)</sup> .

(١) عسل النحل كمضاد حيوى - بحث مقدم الى المؤتمر الأول للطب الاسلامى بالكويت - بتصرف .

ويمكن استعمال العسل حتى من طريق الحقن الوريدي بنسبة ٤٠ ٪ وقد استعمل بنجاح في إيطاليا (١) في علاج بعض حالات الانهك العصبي وعسر التنفس . وكذلك في حالات الامتياز الكحولي أو المورفيني (٢) .

وهذا مثال لما ذكرت في مقدمة هذا المبحث من أن الباحثين والعلماء من الأطباء والكيميائيين منذ الإنسان القديم وحتى عصرنا هذا يعرفون أن فسي العسل فوائد كثيرة وشفاء للناس ويعملون بحثا عن أسرار ومكوناته فلا يدركون منها إلا طرفا قليلا ، ولكنهم يدركون بالتجربة أن فيه شفاء للناس ... وصدق الله العظيم .

### خلق الإنسان وقصيره :

آيات القرآن الكريم في هذا المقام كثيرة معجزة تفهم أكثر المعاندين لجاجة ومنادا - مهما كان مبلغه من العلم . وسنورد بعضها منها :

قال تعالى :

(١) "ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة ملتقة للخلق العلقة ملتقة للخلق المطفة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين" (٣) .

ولم يستطع أكثر الناس بحثا في العلم الحديث إلا أن يقول نفس الكلام ، تصديقا لآيات الله ، لكن يقولون أن نشأة الحياة كانت من الطين بالتولد الذاتي .. ؟ ولسنا نفهم هذا الجود .. ؟ وأي عقل ينكر أن ذلك لم يكن بفعل فاعل وهو الله سبحانه وتعالى ؟ ثم النطفة في القرار المكين .. أي في الخمية والمبيض منذ مرحلة الجنين وحتى البلوغ ثم في الزواج حين يلتقي الحيوان المنوي بالبويضة في انبوب الرحم وحتى يستقر الجنين الجديد في أول مراحل تكوينه في الرحم وهو قرار مكين أيضا ، فيعلق بجداره وهذه هي العلقة ، ويبدأ في النمو حتى يصل إلى دور المطفة وهي كما فسرها العلماء بمقدار ما يمتص من اللحم ، وهو ما يكون مقسدا معلقة الأصبع ويكون ذلك في الأسبوع السابع ، وتمل إلى مقدار طول الأصبع السبابة وهو أكبر حجم للمطفة يمكن أن يأكلها النهم في طعامه ، ويكون ذلك في تمام الأسبوع الثاني عشر أو نهاية الشهر الثالث ، حينئذ تظهر الأطراف ونقط تكوين العظام - ثم تكسى العظام باللحم (٤) . بهذا الترتيب والتوقيت ، ثم في نهاية الشهر الثالث تبدأ الملامح الانسانية

---

(١) مجلة دراسات في الطب العقلي - المجلد ٤٤ - الجزء السادس .

(٢) هامش ص ٢٩ من كتاب العلاج بعسل النحل ترجمة د. محمد الحلوجي

- دار المعارف - (٣) المؤنون ١٣ - ١٥

(٤) من كتاب فن الولادة للبروفيسور جيليت ، نقله د. حامد الغوابسي

في كتاب بين " الطب والاسلام " .

فى تمييز الجنين عن غيره من الأجنة من غير جنس الانسان ، ويكتمل البناء الأساسى لأكثر الأجهزة ، ويأخذ الجنين فى الحركة الارادية والانفعال ، ويستمرالنمو حتى الولادة فينزل طفلا الى الدنيا بهجة وفرحة للناظرين ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

(٢) وقال سبحانه " فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب . انه على رجعه لقادر . يوم تبلى السرائر". (١)

فالماء الدافق هو منى الرجل الدافق وبويضة المرأة التى تخرج من المبيض (٢) فى دفقة مفاجئة هى أيضا مع سائل ناتج عن نمو مايسمى بحويصلة جراف . ثم انفجارها مرة كل شهر فى منتصف دورة الطمث تقريبا ، وقوله من ماء دافق يدل على أن الخلق يكون من جزء من هذا الماء وهو النطفة أو الحيوان المنوى فى الذكر ، فى قوله سبحانه " ألم يك نطفة من منى يمنى " (٣) زائدا البويضة من الماء الذى يخرج من الحويصلة المتفجرة مرة كل شهر من الأنثى - وهذه المعلومات كانت خافية على العلماء حتى عهد قريب بعد معرفة التشريح واكتشاف المجهر ثم الاكتشافات الحديثة فى علوم وظائف الأعضاء والأجنة والولادة وغيرها .

وفى قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب - اعجاز يجعل العلماء يفهمون أن ذلك من عند الله الواحد العليم الحكيم ، فالصلب كما هو معروف هو العمود الفقرى والترائب هى الأضلاع ، وهذا هو المكان الذى تتكون فيه الغدة التناسلية للذكر أو الانثى أى الخصية أو المبيض ، ويهبطان تدريجيا مع نمو الجنين الى الحوض ، فيبقى المبيض وتكمل الخصية نزولها الى كيس الصفن خارج الحوض وذلك لحكمة عجيبة وهى أن درجة حرارة الجسم الطبيعى وهى حوالى ٣٧ درجة ( فهرنهايت ) لاتساعد على تكون الحيوانات المنوية ، ولو لم تنزل الخصية الى كيس الصفن فكثيرا مايكون ذلك سببا لضمورها وبالتالي العقم .

ومن بين الصلب والترائب حيث تكونت هذه الغدد فى الجنين تأتى تغذيتها بالدم والأعصاب وتظل أصولها هنالك على الدوام .

وقد كان العلماء قديما يقولون فى تفسير هذه الآيات أن الماء الدافق يخرج من عظام الرجل الفقارية ومن ترايب المرأة أى عظام صدرها . (٤)

(١) الطارق ٥ - ٩

(٢) GRAFFIAN FOLLICLE

(٣) القيامه ٣٧

(٤) أنظر تفسير الامام النسفى عند تفسيره لهذه الآيات الكريمة .

(٣) وقال سبحانه " الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لئلا ماتشكرون " (١) .

وقوله سبحانه " هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء " (٢) .

فالماء المهيّن هو منى الرجل المحتوى على ملايين النطف يخرج من فتحة البول مسفوحا مراقبا لا ينتبه اليه أحد ، بل أكثر من ذلك فإنه يعتبر نجسا أو جنابة يتوجب التطهر منها بالاغتسال بعد الجماع ، ومن ذاك بالذات يصير النسل ، حين تتحد نطفة منـه بالبويضة وتنمو كما قدر لها الله حتى ينفخ فيها الروح باذنـه سبحانه ، ويجعل له السمع والبصر والقلب والفؤاد بارادته ومشيته الغالبة - وهو الذى يصور الجنين فى الرحم كيف يشاء - حقا وصدقاً - فالأغلبية الساحقة تولد سليمة مكتملة ، ثم أن بعضا يجهض لأسباب معروفة أو مجهولة لنا حتى الآن ، وبعض يولد وفيه من العيوب الخلقية الوراثية ما هو يسير أو جسيم - ظاهر أو مخف ، فذلك تفسير يصوركم فى الأرحام كيف يشاء .

وقد أمرنا سبحانه وتعالى بالتفكر والنظر فى معجزة الخلق وجعل ذلك دليلا باهرا على قدرته سبحانه على الاحياء والبعث مرة أخرى ، فى أكثر من سورة - قال تعالى " يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لى لا يعلم من بعد علم شيئا وتسرى الأرض هامة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شئ قدير " (٣)

وقال تعالى " هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون . هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون " (٤) .

وقال عز من قائل " أيعجب الإنسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من منى يمى . ثم كان علقه فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى . أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى " (٥)

(٤) غافر ٦٧ ، ٦٨

(٥) القيامة ٣٥ - ٤٠

(١) السجدة ٧ - ٩

(٢) آل عمران ٦

(٣) الحج ٥ ، ٦

وفى أسرار الخليقة وانقسامها وماتحمل من صبغيات ( كروموسومات ) وماتحملة هذه من الصفات الوراثية لجنس بنى آدم منذ خلقهم الله الى أن يرث الأرض ومن عليها ، هذه الناسلات كلها لو جمعت لما زاد حجمها عن رأس دبوس<sup>(١)</sup> وفيها أسرار وعلوم وصفات وألوان وألسنة بنى آدم .. فأى أعجاز بعد هذا ؟؟؟ وعلم الوراثة من أهم مجالات البحث والاكتشاف فى الطب الحديث منذ بضعة عقود فحسب ، ورغم كل الوسائل المتقدمة فما يزال كالماء الملح كلما ازداد الانسان منها شربا ازداد عطشا - والحقيقة أن كل فرع ومجال فى العلوم العملية كالطب يفتح للمتعمق فيه أبوابا من الحكمة الالهية يابى العقل المنصف الا أن يقر بأن وراءها ربها واحدا يستحق العبادة لذاته - سبحان الله عما يشركون .

ومن أراد أن يقرأ بالعربية تفصيل مراحل الخلق فليقرأ كتاب د. حامد الطوابى " بين الطب والاسلام " ، وكتاب " خلق الانسان بين الطب والقرآن " للدكتور محمد على البار .

ويستطيع المسلم بهذه المعانى التى جاء الطب الحديث مؤكدا ومقررا لصحتها ، أن يثبت للناس صدق القرآن وصحة الرسالة التى جاء بها النبى الأسمى صلى الله عليه وسلم منذ أربعة عشر قرنا ، وذلك نوع من الاعلام الصادق المفهم ، فقد كانت هذه المعلومات مجهولة تماما وقت التنزيل لكل البشر ، وهذا دلالة على غاية الاعجاز فى هذا الاخبار الالهى .

وذلك مادفع الطبيب الفرنسى " مورييس بوكاي " مثلا الى النظر العلمى المدقق فى الكتب السماوية الثلاث لمقارنتها فى كتابه " دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة " <sup>(٢)</sup> - ثم الى تقرير أن القرآن لا يحتوى على أية مقوله قابلة للنقد من وجهة نظر العلم فى العصر الحديث " ( ص ١٣ ) وأن الاسلام قد اعتبر دائما أن الدين والعلم توأمان متلازمان . فمنذ البدء كانت العناية بالعلم جزءا لا يتجزأ من الواجبات التى أمر بها الاسلام . وأن تطبيق هذا الأمر هو الذى أدى الى ذلك الازدهار العظيم للعلوم فى عصر الحضارة الاسلامية ، تلك التى اقتات منها الغرب نفسه قبل عصر النهضة فى أوروبا ( ص ١٤ ) . وخلص الدكتور بوكاي الى القول " ان القرآن لا يخلو فقط من متناقضات الرواية وهى السممة البارزة فى مختلف الأناجيل - بل هو يظهر أيضا - طابعه الخاص وهو التوافق التام مع المعطيات العلمية الحديثة ، بل أكثر من ذلك فان فيه مقولات ذات طابع علمى من المستحيل تصور أن انسانا فى عصر محمد ( صلى الله عليه وسلم ) قد استطاع أن يؤلفها ، وعلى هذا فالمعارف العلمية الحديثة تسمح بفهم بعض الآيات القرآنية التى

---

(١) كتاب خلق الانسان ص ٧٠

(٢) وأمل الكتاب باللغة الفرنسية وترجم الى عدة لغات .

كانت بلا تفسير صحيح حتى الآن (١) . ومثال ذلك ما أورده من تطور الجنين في الرحم كما يعطيه القرآن فيقول : (٢)

" تطور الجنين في الرحم كما يعطيه القرآن يستجيب تماما لما نعرف اليوم من بعض مراحل تطور الجنين ، ولايحتوى هذا الوصف على أى مقولة يستطيع العلم الحديث أن ينقدها .

اذ يقول القرآن ان الجنين ، بعد مرحلة التشبث ، وهو التعبير الذى رأينا الى أى حد هو مؤسس على الحقيقة ، يمر بمرحلة " المفضة " ( أى اللحم الممضوغ ) ثم يظهر بعد ذلك النسيج العظمى الذى يغلف باللحم . " سورة المؤمنون ٢٣ - الآية ١٤ :

" ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ... "

المضغة : تشير الى ما يشبه اللحم الممضوغ ، أما اللحم فيعنى اللحم النضر . ويستحق هذا التمييز الالتفات . اذ أن الجنين فى مرحلة أولى من تطوره كتلة صغيرة تبدو فعلا للعين المجردة ك لحم ممضوع . ويتطور الهيكل العظمى فى هذه الكتلة . وبعد أن تشكل العظام ، تتغطى بالعفلات : وعلى العفلات توافق كلمة لحم .

والمعروف أن بعض الأجزاء ، فى أثناء مدة تطور الجنين ، تبدو غير متناسبة مع ما سيكون عليه الفرد فى المستقبل على حين تظل أجزاء أخرى متناسبة . ذلك هو معنى كلمة " مخلق " ، هى تعنى مشكل بنسب وقد جاءت فى الآية هـ من سورة الحج ٢٢ لتشير الى هذه الظاهرة .

" ... فانا خلقناكم .. ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة " .  
ويذكر القرآن أيضا ظهور الحواس والأحشاء :

■ سورة السجدة ٣٢ - الآية ٩ :

" ..... وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ... "

ويشير أيضا الى تشكل الجنس .

■ سورة النجم ٥٣ - الأيتان ٤٥ ، ٤٦ :

" وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى . من نطفة اذا تمنى " .

وتذكر الآية ١١ من سورة فاطر ٣٥ ، والآية ٣٩ من سورة القيامة ٧٥ ، تشكل الجنس أيضا .

---

(١) ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ من كتاب دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة

( الطبعة العربية ) (٢) ص ٢٣٢ الى ٢٣٤ من المرجع نفسه .



وكما قلنا فلا بد من مقارنة كل هذه المقولات القرآنية بالمعلومات التي ثبتت في العصر الحديث ، ان توافق المقولات القرآنية مع المعلومات الحديثة واضح . ولكن من المهم أيضا مقابلتها بالمعتقدات العامة في هذا الموضوع والتي كانت سائدة في عصر تنزيل القرآن حتى ندرك الى أي حد كان معاصرو هذه الفترة بعيدين عن حيازة معلومات تشبه تلك التي يعرضها القرآن في هذه المسائل . وليس هناك أدنى شك في أن هؤلاء المعاصرين لم يعرفوا في ذلك العصر تفسير هذا الوحي مثلما ندركه نحن اليوم ، ذلك أن معطيات المعرفة الحديثة تعيننا على تفسيره . الواقع أن المتخصصين لم يكتسبوا معرفة واضحة الى حد ما من هذه المسائل الا خلال القرن التاسع عشر .

فطيلة كل القرون الوسطى كانت الخرافات والأفكار النظرية الى لا تتمتع بأي أساس هي قاعدة مختلف المعتقدات في هذا الموضوع ، بل لقد سادت أيضا لقرون عديدة حتى بعد العصور الوسطى . ان المرحلة الحاسمة في تاريخ علم الأجنسة بدأت بدعوى "هارفي" HARVEY "الذي قال في عام ١٦٥١ ، بأن كل شيء حي يأتي أولا من بويضة ، وأن الجنين يتخلق تدريجيا جزءا بعد جزء . في هذا العصر كان العلم الوليد قد افيد كثيرا ، في الموضوع المعنى هنا ، باختراع المجهر الذي كان قد تم في عصر سابق بقليل ، وبرغم ذلك فقد كان النقاش دائرا حول دورى كل من البويضة والحيوان المنوى . وكان بوفون BUFFON عالم الطبيعيات الكبير ينتمى الى أشيع فكرة البويضة . وكان من بينهم أيضا بونى BONNET الذى كان يدافع عن نظرية اندماج البذور القائلة بأن مبيضى حواء ، أو الجنس البشرى ، كان يحتوى على بذور كل الكائنات الانسانية متداخلة كل في الآخر ، وقد حظى هذا الفرض ببعض التأييدات في القرن الثامن عشر .

عرف الناس القرآن بما يربو على ألف عام من قبل هذا العصر الذى كانت المعتقدات الوهمية تسوده . ان مقولات القرآن عن التناسل تعبر في ألفاظ بسيطة عن حقائق أولى أنفقت مئات من السنوات لمعرفةا . "



## فى خلق الذكر والأنثى :

كل خلية فى جسم الانسان تحتوى نواتها على ٢٣ زوجا من الصبغيات حوامل الصفات الوراثية فى النوع الانسانى منها زوج واحد يختص بتحديد الجنس يشار اليه فى الأنثى بال-xx بينما فى الذكر هو xY . فالبويضة وهى الخلية الكبرى فى جسم الانسان وهى التى تحملها نطفة المرأة الى أحد أنابيب الرحم الاثنيتين لتلتقى هنالك مرة كل شهر بواحد من عشرات الملايين من الحيوانات المنوية التى تحملها نطفة الرجل فى كل تزواج . هذه البويضة تحمل فى واحد من صبغياتها الثلاثة والعشرين جنس الأنثى x - بينما تحمل رأس الحيوان المنوى اما شارة x الأنثوية أو شارة Y الذكورية ، وبين مثلات الحيوانات التى تعل الى الجدار الخارجى للبويضة وهى تتهاذى فى قناسة الرحم ( فالوب ) يخترق أحدها جدارها باذن الله وسابق مشيئته سبحانه وتعالى فاما ذكرا أو انثى منذ لحظة التلقيح الأولى هذه - ثم على الفور تبدأ هذه النطفة المتحدة فى الانقسام العادى المتماثل وهى تتحرك باتجاه باطن الرحم لتنفرس فيه أو تتعلق به حين تصبح ماسماه القرآن العلقة - وهنا تبدأ الخلايا فى التمايز الوظيفى فمنها ما يختص بتكوين الجنين وأغشيته ومنها ما يعمل لتكوين المشيمة ، ثم تبدأ هذه الخلايا المتماثلة فى التخصص منذ مرحلة مبكرة فمنها ما سيكون منه الدماغ والنخاع والجلد ومنها ما يتكون منه القلب والجهاز التنفسى والهضمى وشاللة تعمل لتكوين اللحم والعظام . فكيف تتحد الجزيئات لايجاد جسم الخلايا المعقد القصير العمر ؟ وكيف تقرر المادة التناسلية ( الجينات ) فى نواة البويضة خصائص الفرد الخارج منها فى النهاية ؟ وكيف تتجمع الخلايا فى مجموعات الأنسجة والأعضاء وتعرف مسبقا ما العمل الذى يجب أن تؤديه حتى يتم خلق ثم استمرار النظام الجسمانى سهلا كان أو معقدا ؟

وأكثر من ذلك أنه منذ الأسبوع السابع من بدأ التلقيح تتحول باذن الله مجموعات الخلايا لتكوين كل الأنسجة الدقيقة والغدد وهذا هو دور المفغة ، وفى هذه الفترة يتميز الذكر من الأنثى فى نسيج الغدة التناسلية ثم تتميز الأعضاء الخارجية فى الشهر الرابع - وقد شرح الدكتور محمد على البار فى كتابه<sup>(١)</sup> المجموعة من الاحاديث الشريفة الواردة فى مراحل التخليق ونفخ الروح بطريقة علمية باهرة .

---

(١) خلق الانسان بين الطب والقرآن

وفى قوله تعالى فى سورة الرعد " الله يعلم ماتحمل كل أنشئ وماتغيث الأرحام وماتزداد وكل شئ عنده بمقدار (١) .

ألقينا محاضرة كاملة على جمع من أخصائى الولادة والنساء من الأطباء - تبين أن هذا هو الحق الوحيد حتى يومنا هذا بالرغم من كل النظريات الحديثة ، وأنه سبحانه " يعلم ما فى الأرحام " (٢) وليس من فى الأرحام ، فحرف ما يجمع التوائم والمسيخ والجمال العنقودى والذكر والأنثى والصحيح والسقيم ، أما من فيراد بها العاقل غالبها .. فسبحان الله .

وكون العلم الحديث يستطيع عن طريق غرس ابرة فى جدار البطن لأخذ عينة من السائل المحيط بالجنين للنظر فى خلايا تساقطت منه لمعرفة الجنس هل هو ذكر أم أنثى ؟ وتشخيص بعض الأمراض الوراثية - كل ذلك بعد الشهر الرابع أيضا - ولا يخلو من الخطر - لا يمكن إلا أن يكون من باب " ولا يهيئون بشئ من علمه إلا بما شاء " (٣) ولا يجوز القول بأنه من الاطلاع على الغيب الذى لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى شأن التنبؤ بأحوال الطقس ونزول الغيث بوسائل العلم المتقدمة يصيب أحيانا ويخيب كثيرا ، ولا يعدو كونه علما جزئيا لاتجوز مقارنته بالعلم المحيط الكلى لعالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سبحانه وتعالى .

ولاشك أن الفهم الحقيقى للعلوم يدعو للإيمان بالله ، ولا يمكن لأى من العلوم أن تجد تفسيراً لظاهرة الحياة فغلا من ايجادها مصداقاً لقوله تعالى " يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب " (٤) وذلك فصل الخطاب .

مما سبق يتبين أن الله سبحانه وتعالى جعل من أبلغ آياته وأكثرها ورودا وتكرارا فى مواضع عديدة من القرآن الكريم - ما يدور حول معجزات الخلق والانشاء والتصوير والشفاء حتى قوله تعالى

---

(١) الرعد ٨

(٢) سورة لقمان ٣٤

(٣) سورة البقرة - آية الكرسي ٢٥٥

(٤) الحج ٧٣

على لسان سيدنا ابراهيم الخليل <sup>(١)</sup> " **والذي يميمسى قم يحيىسن** " **واذا مرفست فهو يشلبن -**

وذلك كله يراه الطبيب جليسا اذ يطلع أثناء دراسته ، ثم أثناء حياته العملية على الانسان جنينا ، ثم وليدا وطفلا ، وأمرأة ويافعا ، وشيخا ويرى الموت يخلق على بنى آدم فمنهم من يقضى نحبه ومنهم من ينتظر الى أجل مسمى لا يستأخر عنه مهما كانت العناية المركزة - وفى ذلك كله عبره له أولا - مما يثبت ايمانه ويقويه ويجعله واعيا دائما بقدرة الخالق جل وعلا بما يؤهله أكثر من غيره على توعية الناس واعلامهم بدين الحق الذى لا لبس فيه ولا غموض ولا صعوبة ولا عسر ، ومعه دليل عملى حى يلمسه كل انسان فى نفسه .

ذلك وقد أشار الرحمن سبحانه وتعالى الى الشمس والقمر والكواكب والليل والنهار والخسوف والكسوف والرياح والجبال والأنهار كآيات لخلق الله - وهى مما يدخل فى مجال علوم الفلك والطبيعة والجغرافيا وغيرها ، ولكن العلماء فى هذه المجالات يندر أن يكون احتكاكهم بالبشر ومعايشتهم لطوائف الناس مثل الأطباء ، لذلك يكون تأثيرهم فى مجال الدعوة والاعلام ربما أقل .

لذلك كان الجانب الطبى الاعلامى فى آيات القرآن الكريم بارزا ملحوظا ولو استطرطنا فى بحثه لاستغرق ذلك كل الجهد ثم لا يكون وافيا ولا كافيا وسبحان القائل " قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جفنا بمثله مددا " (٢) . صدق الله العظيم .

وليس ذلك معناه أن الأطباء يحيون الناس ، ولكن هم يساعدون على استمرار الحياة بادن الله .

وفى السنة الشريفة كثير من الأحاديث عن المرض ، والمبرر عند البلاء وآداب التطبيب وأنواع من العلاج النفسى والنهائح المجدية من مخالطة المجدوم ، وعن ارتياد أماكن الوباء - وقد خرجت كتب كثيرة فى الطب النبوى بالذات - منها الطب النبوى لابن قيم الجوزية ( ٦٩١ - ٧٥١ هـ ) وهو أشهرها وهو من أجمع ماكتب فى هذا الباب خاصة ، وقد يكون ابن القيم ألف الكتاب ثم الحقه بزيادة المعاد لحاجته لذلك أو أن أحد المهتمين بكتبه قد فعل الجزء الخاص بالطب النبوى من كتاب زاد المعاد ووقع له المقدمة وأحدث له التسمية .

---

(١) سورة الشعراء ٨٠ ، ٨١

(٢) سورة الكهف ١٠٩

وقد استعان ابن القيم فى ذلك بكتابين لأبى بكر ابن السنى،  
وأبى نعيم الاصفهانى وكلا منهما قد وضع كتابا سماه الطب النبوى.  
وكذلك ألف الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد أبو عبد الله الذهبى  
المتوفى سنة ٧٤٨ هـ مصنفه العظيم المسمى ( الطب النبوى ) أيضا.  
وكثير من علماء المسلمين قد عنوا بمعرفة ماورد عن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم عن الصحة والمرض والشفاء ، واهتموا بجمعه وتدوينه ،  
من قديم الزمن ، فمالك فى الموطأ ، واصحاب الكتب الستة ومن اليهم  
قد خصصوا كتبها وأبوابها لما صح عندهم من ذلك - واستفاد المسلمون  
منه - أيام أن كانت العقائد صحيحة والأفئدة سليمة والأنفس  
كريمة والأفكار نظيفة . (١)

ثم أنه فى عهود ازدهار دولة الاسلام كان لعلماء الطب المسلمين دور  
لاينكر فى تطوير علوم الطب والانتقال به من النقل عن سبى السس  
التمحيص والتجريب والاختراع والابتداع فى جميع الفروع بلا استثناء . وظلت  
المؤلفات الطبية لعلماء المسلمين هى المعتمد الأول فى دراسة الطب  
حتى عهد قريب .

وسنعمل على تفصيل ذلك فى المباحث التالية ان شاء الله .

---

(١) تدير كتاب الطب النبوى - طبعة دار الحكمة - بيروت سنة ١٩٥٥م

## أدب السنة النبوية فى الطب والاعلام

ان السنة النبوية الشريفة من فعل أو قول أو اقرار ، مما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم هى المصدر الثانى للشريعة الاسلامية - بدليل قوله تعالى (١) وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى ، علمه شديد القوى .

وكما أن المسلم يقيم الصلوات الخمس كما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم ويحج مثله مقتديا بهديه - ويتزوج على سنته ، الى آخر ذلك مما ينبغى على المسلمين معرفته والعمل به من أحكام الدين ليستحقوا تسميتهم بالمسلمين .

فان معرفة هدى السنة الشريفة فى الطب والعلاج ، واتباعها - لهو أمر ضرورى بالنسبة للطبيب ، ومفيد وصحى بالنسبة للمريض - وخصوصا أنه لم يبلغنى من هذه السنة الصحيحة ما قد يكون مشيرا للجدل أو الخلاف من ناحية معارضته للمفاهيم الصحية الحديثة ، الا حديث الذبابة (٢) .

أما ماورد عن حقيقة السحر ، ووجود الجن ، وتأثير الحسد ، وفعالية الرقى المتنوعة - فقد ورد فى القرآن - ولايجوز انكاره على المسلم ، فضلا عن أنه من قبيل انكار الغيب الذى لايمكن اثبات عكسه علميا - فلو قيل مثلا لا سحر ولا جن هنالك - نقول لايمكن اثبات عدم وجودهما كما لايمكن اثبات وجودها ماديا ؟؟ وانما هى من الغيب الذى يؤمن به المتدينون والمؤمنون من الناس ، ويكفر به الملحدون والدهريون وقد يلحق بذلك حديث الذبابة ، فان النص قرر أنه ناقل للداء ( فان فى أحد جناحيه داء ) وهذه حقيقة علمية مقررة وبديهية . ثم قرر النص أنه يحمل أيضا مضادا لهذا الداء ، وهذا أمر لايمكن نفيه الا بعد التيقن من عدمه ، والى الآن لم يثبت أحد - علميا - بطلان ذلك ، ومن هنا فلا يصح انكار ماصح عن النبى صلى الله عليه وسلم بمجرد المعلومات الشائعة بين الناس .

ولعل الله يوفق باحثا مسلما لتحرى هذه الحقيقة بواسطة المعامل والمختبرات والتجارب العلمية الدقيقة .

(١) سورة النجم ٣ - ٥

(٢) أخرجه البخارى من حديث أبى هريره " اذا وقع الذباب فى اناء أحدكم فامقلوه ( اغمسوه ) فان فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء " ( ص ٨٨٠ الطب النبوى ) .

ولابد للباحث من مراعاة الزمان الذى عاش فيه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً - والوعى بالامكانيات المحدودة من الناحية العملية الانسانية على وجه العموم ، وامكانيات البيئة المحلية فى الجزيرة العربية على الخصوص - من نقص المساء والامكانيات الدوائية - لذلك قد نجد توصيات نيوية باللجوء الى اجراءات يسيره أو علاجات طبيعية مثل الحجامه والفصد والكي والحلاقة فصد القمل ، واستخدام لبن الناقة وبعض النباتات ، ورماد الحصى لرفوائده فى المساعدة على إيقاف النزيف الى غير ذلك من النصائح بالنسبة للتمر واللبن مما هو ميسور يومئذ فى الجزيرة العربية وخاصة البادية .

والمقصود أنه كما ورد عن ابن القيم فى كتاب الطب النبوى ، فان الأمراض نوعان : الأول : أمراض القلوب ( الأمراض النفسية ) مثل الشبهات والشكوك والكذب والشهوات والافراط المرهق ، ومن ذلك قوله تعالى " **فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون** " (١)

وقوله سبحانه " **يا نساء النبی لستن كأحد النساء ، ان اثابتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض** " (٢)

ولاشك أن للايمان أكبر الأثر فى احداث الطمأنينة النفسية وابعاد الشبهات والشكوك عن نفس الانسان مما يسبب له القلق وهو الداء الوبيل فى عصرنا هذا بما له من انعكاسات سيئة على صحة البدن العضوية ، وكذلك فان الدين الصحيح لا يدعو الى الكبت الجنسى وما يتولد عنه من عقد نفسية كما يدعى بعضهم بل انه يجد المجرى الصحيح للفرائض بالدعوة للزواج المبكر والانجاب ، والعفة والحجاب ، والصوم كوجاء لغير المستطيع .

ولا غرو اذن أن تكثر عيادات الأمراض النفسية والمهدئات والمخدرات وشتى الأدوية والعقاقير كلما قل الايمان فى أى من المجتمعات .

الثانى : أمراض البدن ( الأمراض العضوية ) : ومنها قوله تعالى " **ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج** " (٣)

---

(١) سورة البقرة : ١٠

(٢) سورة الأحزاب : ٣٢

(٣) سورة الفتح : ١٧



وقوله سبحانه " فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام  
أخر " (١)

فهذه الأمراض ناتجة عن فشل جزئى أو كلى لعضو من الجسم أو تلوث  
جرثومى أو تلف حادث أو وراثى - وكل منها له أعراضه ومضاعفاته ،  
وفى هذه عمل أكثر الأطباء والجراحين - وفى علاجها حدث التطور  
الكبير فى العصر الحديث بعد اكتشاف المجهر واتمام تشريح الجسم  
واختراع المضادات الحيوية والتخدير ، كما سبق بيانه فى السبب  
الأول من هذا البحث (٢) .

والأخذ بما ثبتت جدواه وفعاليتها من ضروب المعالجة والتشخيص  
الحديث ، ليعنى ضرورة الأخذ بوسائل العلاج النفسى المتبعة عندهم  
بحذافيرها حتى لو دخلوا جحر ضب دخلناه وراءهم . . ؟؟ وفى  
نفس الوقت فإن التزامنا بالايمان والعمل بما صح عن سيدنا رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ليعفيننا من الاجتهاد فى فقهه بما يناسب  
الزمان الذى نعيش فيه - وبأسلوب أوضح فإن اعتقادنا مثلا فى الحسد  
لايمنع زيارة الطبيب أو المستشفى وسبل التشخيص والعلاج الحديث ،  
ولايجب الاقتصار الى الرقى أو العلاج بالكى ، وكذلك فإن الاعتقاد  
بأن تناول العسل يفيد فى أمراض الجهاز الهضمى والتنفسى وغيرها  
لايمنع العلاج بغيرها من الأدوية - وهى من شؤون الدنيا واختصاص  
الطبيب . وقد ورد فى الأثر الحث على التداوى ، وأن لكل داء دواء  
وورد فيه أيضا " نعم نغفر من قدر الله الى قدر الله " . قالها  
عمر رضى الله عنه حين لم يدخل على البلد التى فيها الطاعون امتثالا  
للحديث النبوى .

وحتى فى البلدان المتقدمة بمقاييس هذه الأيام ، تختلف وجهات النظر  
الطبية بما اصطلح على تسميته بالمدارس الطبية ، ومن فشل الطبيب

---

(١) سورة البقرة : ١٨

(٢) انظر ص ٤٠ وما بعدها من هذه الرسالة

أن ييأس من العلاج فربما كان عند غيره ولم يعلم به ولو كان أعلم العلماء  
فى اختصاصه ، ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى مسند الامام أحمد من حديث زياد بن  
علاقة عن أسامة بن شريك " ان الله لم ينزل داء ، الا أنزل له شفاء : علمه  
من علمه وجهله من جهله " (١) - وفى لفظ غير داء واحد هو الهرم .

وقوله فى المسند عن أبى خزامه " قال قلت يا رسول الله أرأيت رقى نسترقئها ،  
ودواء نتداوى به ، وتتقاه نتقيها ، هل ترد من قدر الله شيئا ؟ فقال :  
هى من قدر الله " (٢) .

ففى هذين الحديثين اثبات للمسببات ودعوة للأخذ بالأسباب على اختلاف أنواعها ،  
وليس ذلك منافيا للتوكل - فانه فى حقيقته اعتماد القلب على الله فى حصول  
ما ينفع العبد فى دينه ودنياه ، ودفع ما يضره فى دينه ودنياه ، ولا بد مع  
الاعتماد من مباشرة الأسباب والا كان فى ذلك تعطيل للحكمة والشرع - وذلك  
مثل رد قدر العدوان بالجهاد - وفى قوله صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء  
تقوية لنفس المريض والطبيب وحث على طلب الدواء واحياء للأمل .

وفى هدى الرسول صلى الله عليه وسلم فى أمور المرض والعلاج لم يغفل عن دور  
الطبيب المتخصص فى الصناعة فقد أخرج الامام أحمد عن هلال عن ذكوان عن رجل  
من الأنصار قال " دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مريض يعوده ، فقال  
أرسلوا الى طبيب فقال قائل : وانت تقول ذلك يا رسول الله ؟ ! قال نعم ،  
ان الله عز وجل لم ينزل داء الا أنزل له دواء " (٣) كذلك وأرشد الى  
معالجة أحذق الطبيبين كما ذكر مالك فى الموطأ - عن زيد بن أسلم " أن رجلا  
فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم جرح فاحتقن الدم ، وأن الرجل دعسا  
رجلين من بنى أنمار ، فنظرا اليه . فزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال لهما : أيكما أطب ؟ فقالا : أ فى الطب خير يا رسول الله ؟ !  
فقال : أنزل الدواء الذى أنزل الداء " (٤) .

وكثرة السنن الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الصحة  
انما تدل على عناية الشرع بحفظ الصحة - فان حفظها موقوف على حسن تدبير  
المطعم والمشرب والملبس والمسكن والنوم واليقظة والحركة والسكون والمنكح

- 
- (١) وأخرجه أيضا أبو داود والترمذى - وقال حسن صحيح - والنسائى ، وابن  
ماجه وابن حبان فى صحيحهما ، والحاكم من عشر طرق عن زياد عنه ، على  
شرط البخارى ومسلم ( ص ٨ الطب النبوى ) .
- (٢) أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح ( الطب النبوى ص ٩ )
- (٣) ص ١٠٥ ، ١٠٦ من الطب النبوى - وقال رجاله ثقات
- (٤) ص ١٠٥ الطب النبوى - عن زاد المعاد .

على وجه الاعتدال الملائم للبدن والبلد والسن والعادة (١) . وقد روى البخارى فى صحيحه - من حديث ابن عباس - قال - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نعمتان مضمون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ " .

ومما تقدم يتضح لنا أن النبى صلى الله عليه وسلم كما ورد عنه كثير من السنن فى حال الصحة واعتدال المزاج ، فقد ورد عنه أيضا كثير فى أحوال المرض والاعتلال وليست رسالتنا هذه مجالا لذكر كل ماورد بالخصوص - وهو مبسوط فى كتب الحديث وفى الجزء الرابع من كتاب زاد المعاد وفى الطب النبوى كما ذكرنا فى السابق ويرجع اليه فى مظانه لطالبه .

وسنجزىء فى هذا المبحث بذكر شع من أدب السنة (٢)

(\*) من الصبر عند المرض - فقد جاثت الاحاديث مصرحة بأن المرض يكفر السيئات ويمحو الذنوب - ومن ذلك ما جاء فى الصحيحين عن أبى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال " من يرد الله به خيرا يصبر منه " وقال " ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ، حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياها " . وعلى المريض أن يصبر على ما ينزل به من ضرر فما أعطى المريض عطاء خيرا وأوسع له من الصبر وفى ذلك ما رواه مسلم عن صهيب بن سنان عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال " عجا لأمر المؤمن أن أمره كله خير وليس ذلك لأحد الا للمؤمن ، ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له " . ذلك وان شكوى المريض جائزة للطبيب والصديق مالم يكن ذلك على سبيل التسخط وإظهار الجزع وينبغى أن يحمد المريض ربه قبل ذكر ما به - قال ابن مسعود اذا كان الشكر قبل الشكوى فليس بشاك . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم " اللهم اليك أشكو ضعف قوتى . الخ " فالشكوى الى الله مشروعه .

(\*) من عيادة المريض : وهى من آداب الاسلام - قال ابن عباس " عيادته المريض أول يوم سنه وبعد ذلك تطوع " - وروى البخارى ومسلم " حق المسلم على المسلم ست ، قيل ما هن يارسول الله ، قال اذا لقيتك فسلم عليه واذا دعاك فأجبه واذا استنصحك فانصح له واذا عطس فحمد الله - فشمته واذا مرض فعده واذا مات فاتبعه " .

وهذه كلها من آداب الاسلام ومظاهره الاعلاميه التى تؤسس علاقات اجتماعية وطيدة . ويستحب أن يدعو العائد للمريض بالشفاء . بل قد ورد مما

---

(١) من زاد المعاد ص ١٣٤ بتلخيص .

(٢) كتاب فقه السنة المجلد الأول - الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦ - دار الكتاب

العربى - بيروت - ص ٤٨٨ باختصار .

رواه ابن ماجه عن عمر رضى الله عنه قوله - قال صلى الله عليه وسلم  
" اذا دخلت على مريض فمره أن يدعوك ، فان دعاه كدعاء الملائكة " .  
أى فى قرب الاجابة .

(\*) **العلاج بالرقى والأدوية :** يشرع العلاج بها اذا كانت مشتملة  
على ذكر الله ، وكانت باللفظ الذى يفهم لأن ما لا يفهم ، لا يؤمن أن يكون  
فيه شيء من الشرك . فعن عوف بن مالك قال كنا نرقى فى الجاهلية  
فقلنا يارسول الله كيف ترى فى ذلك ، فقال اعرضوا على رقاكم لابس  
بالرقى ما لم يكن فيه شرك - رواه مسلم وأبو داود ، وقال الربيع  
سألت الشافعى عن الرقية فقال لابس أن ترقى بكتاب الله وبما تعرف  
من ذكر الله - قلت أرقى أهل الكتاب المسلمين ؟ قال نعم اذا رقوا  
بما يعرف من كتاب الله وبذكر الله .  
واعتقد أن ذلك قد يساعد فى رفع روح المريض المعنوية - قال تعالى  
" الا بذكر الله تطمئن القلوب " (١) ، ومن الثابت أن الحالة  
النفسية للمريض تساهم فى التعجيل بالشفاء وتخفف من الألم .

(\*) **النهي عن التماائم :** (١) عن عقبه بن عامر أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم قال " من علق تميمه فلا أثم الله له . . ومن  
علق ودعه فلا أودع الله له " رواه أحمد والحاكم - وقال صحيح  
الاسناد . والتميمة هى الخرزة التى كان العرب يعلقونها على  
أولادهم يمنعون بها العين فى زعمهم فأبطله الاسلام ونهى عنه .

(٢) وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه دخل على امرأته وفى عنقها  
شئ معقود فحذبه فقطعه ثم قال لقد أصبح آل عبد الله أغنياء أن يشركوا  
بالله ما لم ينزل به سلطانا . ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يقول " ان الرقى والتماائم والقولة شرك " قالوا يا أبا عبد الله  
هذه الرقى والتماائم قد عرفناها فما القولة (٢) قال شئ تضعه النساء  
يتحببن الى أزواجهن - رواه الحاكم وابن حبان وصحاه .

(٣) وعن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصر على  
عضد رجل حلقه أراه قال " من صفر " (٣) ، فقال ويحك ما هذه  
" قال من الواهنة قال " أما انها لاتزيد الا وهنا ، انبذها عنك ،  
فانك لومت وهى عليك ما أفلحت أبدا " رواه أحمد . ( والواهنة عرق  
ياخذ فى المنكب وفى اليد كلها وقيل مرض يأخذ فى العضد - وقد علق

---

(١) سورة الرعد : ٢٨

(٢) قيل هى خيط يقرأ فيه من السحر أوقرطاس فيه شئ يتحبب به النساء  
الى قلوب الرجال .

(٣) النحاس

الرجل حلقة من النحاس ظنا منه أنها تعصمه من الألم فنهاه الرسول عنها وعدها من التماثم .

وما زالت هذه الأوهام موجودة بحذافيرها وليس في المجتمعات الأقل تقدما فحسب ولكن أيضا في أكثرها حضارة تجد اناسا يعتقدون في حلقات النحاس حول العضد والمعصم وظنى أنها من أنسب أنواع العلاجات الهندية .

\*\*\*\*\*

مما سبق يتبين لنا أن الطبيب المسلم العارف بأداب الاسلام ، يكون له طبيعة خاصة في تناول ومعالجة المرضى ، وسمت معين - تمليه عليه العقيدة السمحة ، ويتميز بذلك عن غيرهم من الأطباء غير المسلمين - وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم رغم أنه لم يكن طبيا - يستخدم المعارف الطبية والخدمات الصحية في خدمة الدعوة ، ومما يذكر من ذلك ما جاء في الصحيحين - من حديث أنس بن مالك - قال " قدم رهط من عرينه وعكل ، على النبي صلى الله عليه وسلم ، فاجتروا<sup>(١)</sup> المدينة ، فشكوا بذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : لو خرجتم الى ابل الصدقة ، فشربتم من أبوالها وألبانها . ففعلوا . " الى آخر الحديث . والجوى داء من أدواء الجوف - ( راجع القصة في كتاب زاد المعاد الجزء الرابع - ٤ ) .

وقد أفاد التوجيه النبوي فصحت أجسادهم ، وعادت اليهم العافية الا انهم غدروا بعد ذلك . ومنه أيضا ما جاء في الصحيحين - من حديث أبي سعيد الخدري ، قال " انطلق نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة سافروها ، حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم . فلدغ سيد هذا الحي ، فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء . فقال بعضهم : لو أتيتهم هؤلاء الرهط الذين نزلوا ، لعلمهم أن يكون عند بعضهم شيء . فأتوهم فقالوا : يا أيها الرهط ، ان سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه شيء ، فهل عند أحد منكم من شيء ؟ فقال بعضهم : نعم ، والله اني لأرقى ، ولكن استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق حتى تجعلوا لنا جعلا - فصالحوهم على قطيع من الغنم . فانطلق يتفل عليه ، ويقرأ الحمد لله رب العالمين . فكانما نشط من عقال . فانطلق يمشى ومابه من قلبه .

---

(١) يبدو أن هذا المرض كان الاستسقاء - بدليل ما رواه مسلم في صحيحه في هذا الحديث أنهم قالوا " انا اجتوينا المدينة ، فعظمت بطوننا ، وارتهشت اعضاؤنا وذكر تمام الحديث ص ٣٦٠ - الطب النبوي

قال فأوفوهم جعلهم الذى صالحوهم عليه ، فقال بعضهم اقتسموا . فقال الذى رقى : لاتفعلوا حتى نأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذى كان فننظر ما يأمرنا . فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك فقال : وما يدريك أنها رقيه . ثم قال أصبتم ، اقتسموا واضربوا لى سهماً معكم (١) قال ذلك تطييباً لنفوسهم .

وقد روى ابن ماجه فى سننه ، من حديث على ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " خير الدواء القرآن "

وقال تعالى " ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين " (٢)

يقول ابن القيم - فما الظن بفاتحة الكتاب المتضمنه لجميع معانى كتب الله المشتمة على ذكر أصول أسماء الرب ومجامعها وهى : الله والرب والرحمن الرحيم ، واثبات المعاد ... الخ .

ففى هذه القصة نرى استعانة المسلمين فى الدعوة الى دين الله بين أعراب الجزيرة بما تيسر فى الطب القرآنى ، ولا غرو أن يؤثر ذلك فى نفوس الأعراب حين يرون رجلاً يقرأ القرآن ( الفاتحة ) فيشفى المريض باذن الله - فيدفعهم ذلك الى تأمل الفاظ الفاتحة ومافيه من توحيد وتمجيد وعبادة واستعانة الى آخر ذلك .

وقد المحنا الى ما جاء فى مقررات الطب النبوى من حقائق علمية ثابتة الصحة أصبحت الآن معترفاً بها عالمياً - وفى ذلك خير دعوة لاثبات سبق الاسلام للعلم وبأنه دين يقوم على الحقائق لا على الخرافة والدجل والكهانة التى كانت شائعة فى العالم القديم حتى فى أوساط أهل الكتاب من اليهود والنصارى .

ومن أمثلة هذه قوله صلى الله عليه وسلم - فى الصحيحين - عن عامر بن سعد بن أبى وقاص ، عن أبيه " اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه ، واذا وقع بأرض - وانتم بها - فلا تخرجوا منها فراراً منه " (٣) وذلك بالضبط ما يحدث فى حالات الوباء - وهو الحجر الصحى أو ( الكردون ) الصحى لمنع انتشار الوباء والاسراع فى السيطرة عليه .

وفى الصحيحين أيضاً من حديث أبى هريره ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا يوردن ممرض على مصح " (٤) - وفى هذا تقرير للمبدأ الصحى فى عزل المرضى عن الأصحاء ، وهو أحد القواعد الأساسية فى الطب الوقائى وقد سبق به الاسلام العالم كله بقرون عديدة .

---

(١) وأخرجه أيضاً الترمذى وابن ماجه وأحمد ( ص ١٣٨ الطب النبوى )

(٢) الاسراء ٨٢ (٣) ص ٢٨ الطب النبوى

(٤) ص ١١٦ - ١٢١ من الطب النبوى .

### المبحث الثالث

## الطب فى عصر الازدهار الاسلامى اسلام عالمى

\*\*\*\*\*

قال كامبل (١) " ان نظام الطب الاوروبى عربى ، ليس فى الاصل فقط بل كذلك فى البناء فان العرب هم حاملو الفكر الطبي الاوروبىين " .

ونورد هنا مختصرا لنظام الطب عند المسلمين :

### آداب المهنة :-

ان فكرة أن آداب الطب وأخلاقياته هو مما نقله المسلمون عن الأقدمين - أى الكتاب المقدس المصرى وشريعة حمورابى ثم قسم أبو قراط - وأنهم لم يبلوروا لائحة محددة أبدا - وربما كان ذلك لأن المجتمعات القديمة المذكورة لم تكن بأخلاقيات خاصة أو آداب عامة ولذلك فصلوا ما يجب أن يكون على الأطباء من آداب وأخلاق - أما المسلمون والأطباء منهم فانهم عاشوا فى مجتمع نظمه أهله بشريعة من الله واضحة مبينه ، وفق منهاج حياة متكامل الحلال فيه وبين والحرام فيه بين ، وواجه أيضا اجتناب الشبهة خشية الوقوع فى الحرام ومتى كان ذلك كذلك لم يلزم للأطباء وضع قواعد لهم خاصة ثم يفصلونها فى لوائح وقوانين لا يلتزم بها واضعوها الا قليلا وخشية العقاب - غير الأطباء المسلمين حقا .. فانهم ملتزمون تجاه الله سبحانه وتعالى ملتزمين بشريعته عن طوعية فى ظاهرهم وباطنهم رغبة فيما عند الله ورهبة منه سبحانه الذى يعلم السر وما يخفى .

ومع ذلك فقد وردت كتابات لابن رضوان المصرى تبين ما يجب أن يكون عليه الطبيب شكلا وموضوعا - ونورد مقتطفات من كتاب محنة الأطباء للرازى (٢)

---

(١) باختصار وتصرف من الطب الاسلامى ص ٣٠ وما بعدها .

(٢) ص ٢٧٦ الطب الاسلامى

وفيه خلط الرازي بين امتحان الطبيب وصفات الطبيب النموذجي - يقول :

" ينبغي أن يكون الطبيب نظيفا في بدنه ، ووجهه وشعره وسائر أعضائه . وتكون ثيابه نظيفة . ثم يقول - وينبغي أن يكون الطبيب باشا حسن المنطق ، طلقا ، ولا يكون عبوسا ، ولا عجولا ، ولا متهورا ، ولا شرها السي المال . ويكون له البيان . وهيبته في خلقته وزينته ، ويكون كهسلا في السن ، رحيمًا بالمرضى متحنشا عليهم ."

وفي كتب الرازي وأخباره أكثر من شاهد واحد لا يعترف فيه بالطبيب مالم يكن ملما بتشريح جسم الإنسان - ويجعل هذا الموضوع في مقدمة ما يسأل عنه الممتحن ، فإذا فشل في معرفة التشريح يكفى ذلك أن يجعله فاشلا في الطب كله ، ولأجل امتحانه بالعلوم السريرية ، ثم الأدوية . وقد جعل الرازي لتاريخ الطب وأعمال القدماء في مجال تدريسه .

وقد استحدث امتحان للميادلة أيام المأمون ، والأطباء أيام المقتدر وكان الممتحن رئيس الأطباء - وكان أول ما يسأل منه الشيخ الذي درس عليه الصناعة .

وكان من رأى الرازي أن لا يكون الممتحن مترمنا في المواضيع النظرية وينتقد من يطلب التفريق بين بول الرجل والمرأة أو أجناس النخس غير المؤلف ، ويرى أهم من ذلك أن يسأل في الفرق بين الأدوية المتشابهة المؤلف كالمغص الكلوي والمعدى أو ذات الرئة وذات الجنب .

من ذلك يمكن أن ندرك الاخلاص المبني على العقيدة الصحيحة عند أساتذة المسلمين وكيف يمكن أن يثمر أمثال هؤلاء بالقوة الحسنة أطباء يكونون مثلا للداعية كما يجب أن يكون .

## المنهج :

كان الاختلاف موجودا بين المدارس الطبية - ولكن الطب الباطني كان أساسيا - ولكن الجراحة أيضا كانت جزءا من الدراسة ، وبعد اتمام الدراسة أو أثناءها كان يمكن للطالب التخصص ويقول ايلجود ، ان عمليات عديدة كالبتتر واستئصال البواسير - والجبس للكسور والشروح . أما التخصص في العيون فكان عند الكحالين وكانت عملية استخراج العدسة ( الكتاراكتا ) شائعة جدا . والولادة كانت عند القابلات عدا حالات التعسر التي يمكن أن يستدعي لها الطبيب . وكان الجانب النفسى يلقي عناية . وكان لابد من الحصول على ترخيص بمزاولة المهنة .



وكان المحتسب أو المفتش العام مسؤولاً عنه ، وكذلك الاشراف على الأوزان والمقاييس والمكاييل للتجار والصيادلة ، وكان يجرى التفتيش على العقاقير في الصيدليات ومحلات العطارة . ويرى الرازي أن شرطين هما لازمين للطبيب أولهما المعرفة الكاملة بالطب القديم والحديث ونموصه ، والثاني أن يتدرب في مستشفى أو دار لرعاية المرضى .

### علم الجراثيم :

كانوا يعرفون أن شمة اجسام دقيقة لا ترى تسبب التلوث والتعفن - وتجربة الرازي لاختيار موقع بناء المستشفى معروفة - وبذلك ظن ابن سينا ، وابن خاتمه - وحين اجتاحت الطاعون أوروبا في القرن الرابع عشر كتب ابن الخطيب مدافعا عن نظرية العدوى " الى هؤلاء القائلين بعدم امكانية الاعتراف بالعدوى - وتعارضها مع الدين (١) - نحن نقول أن وجود العدوى قائم على التجربة والتحقيق ودلائل محسوسة وتقارير وقائم على أن الباحث يمكنه ملاحظة العدوى عن طريق الاتصال بين الشخص المريض ومسن يخالط المريض يظل سليما " كما بين كيف أنها تنقل عن طريق الملابس والمصوغات .. الخ .

### الجراحة :

استعمل الرازي الخيوط الجراحية ، ووصف الزهراوى الهيموفيليا (٢) - واكثر من مائتى آله جراحية - ودعا لاعادة تركيب الأسنان أو استعمسال اسنان من عظام البقر ، واستعمل القطن كضماد وللتحكم في النزيف ، وكذلك بالكلى - وهو أبو الجراحة في كثير من العمليات .

### الباطنية :

وصف الرازي حساسية الأنف ، وابن زهر - الجرب ، وابن سينا - الانكلستوما وبعض ديدان البطن ، والقلقشندى - مرض النوم . وعرفوا انبوب

(١) الحديث : " لاعدوى ولاطيره ولاهامه ولاصفر ، وفر من المجذوم فرارك من الأسد " .

لاعدوى : هذا ليس نفيا لحقيقة العدوى فانها موجودة في الواقع ، وانما نفى لما يعتقد الناس من أنها مؤثرة بذاتها ، والمعنى لاعدوى الا باذن الله .

لاطيره : لتشاؤم من رؤية بعض الحيوانات والأشخاص .

لاهامه : لا اعتقاد في خروج طائر من دم القتيل يطلب الشار من القاتل .

لاصفر : لتشاؤم من شهر صفر فهو ليس شهر شوم وشر . ( ص ٨٩ الطب الاسلاي )

المعدة للتغذية أو لغسيل المعدة ، والحقنة الشرجية ، وعرف ابن النفيس الدورة الدموية الصغرى .

### العيون :

لابن الهيثم فى البصريات ( كتاب المناظير ) - واكتشفوا أن الضوء يدخل الى العين والشبكية ومنها للعصب البصرى ، ولاحظ الرازى رد فعل البؤبؤ للضوء . وعالج عمار ابن على الموصلى المياه البيضاء بعمل ( الكتاراكت ) - بسحب العدسة المظلمة بابرة مجوفة عن طريق الشفط من خلال الصلبة .

### العلاج النفسى :

خص الرازى قسما للأمراض العقلية والنفسية ، بالإضافة للعقاقير استعملت الحمامات والهوايات والموسيقى - وعرف ابن سينا العلاقة بين سرعة النبض والمشاعر الداخلية واستعمل ذلك جونج فى اختبار الكلمات بعد ذلك بقرون .

### الميدلبيسة :

فى عصر المأمون والمعتصم أصبح امتحانهم للترخيص لهم بمزاولة المهنة واصبح عليهم الالتزام بوصفه الطبيب - واستعملوا التقطير والتحليل والتبخير . ومن المصطلحات العربية التى نقلت الى اللاتينية ومنها الى اللغات الاوروبية المعاصرة :  
القلوى ، الكحول ، الكسير ، الكافور ، الشراب ، (٣) وغيرها .

---

### هامش تابع الصفحة السابقة ( ١٥٨ )

وصحيح أن العدوى حقيقة ثابتة ولكن الوقاية واجبة كما فى الحديث نفسه ولكن لو لم تكن ارادة الله هي العليا لأبادت الأوبئة ومختلف الجراثيم المعدية كل بنى آدم بل والحيوان والنبات منذ قديم الزمان، ولكن الذى خلق الداء خلق الدواء أيضا سبحانه وتعالى .

(٢) مرض تحمله الأمهات الى ابنائهن الذكور ويسبب بطشا فى قدرة الدم على التجلط .

ALKALINE, ALCOHOL, ALEXIR, CAMPHER, SYRUP (٣)

## التدريب :

### (١) التدريب على العلوم الأساسية :

درس في بغداد التشريح باستعمال أجسام القروود والنماذج المجسمة ، وفي بعض المدارس الأخرى كان تدريس التشريح بالمحاضرة والمشاهدة . وكانت معرفة الكيمياء أساسا للالتحاق بدراسة الطب ومعرفة الصيدلة والأعشاب الطبية ، وكان لبعض المستشفيات حداثق تزرع فيها هذه الأعشاب لصناعة العقاقير ولتعليم الطلاب . وبعد أتمام هذه الدراسات التحضيرية كان الطالب يلتحق بأحد المستشفيات ، ففى البداية ينضم لمجموعة يشرف عليها طبيب يلقي عليهم المحاضرات الأولية ويدربهم على استعمال المكتبة ، وفى هذه المرحلة قبل العلاجية كانت معظم المحاضرات عن الصيدلة والسموم واستعمال الترياقات المختلفة .

### (٢) التدريب العملى ( الاكلينيكي )

فى مجموعات قليلة - فى العيادات - على يد طبيب مجرب - وتدرس فيها طرق العلاج والأمراض ( الباثولوجيا ) . وكان الطلبة يفحصون المرضى للوصول للتشخيص فان عجزوا ناقشهم الرئيس وتقدم للفحص بنفسه . ويتكرر ذلك فى العيادات والأقسام المختلفة وفيه يكتب الطلاب ويحتفظون بتقارير المرضى - ويتم ادخال الحالات المحتاجة للعلاج الداخلى .

من ذلك يتبين أن نهضة الطب في القرن العاشر الميلادي قد ارتكزت على ثلاث أسس : -

أولا : تنظيم التعليم الطبي وممارسة المهنة :  
نظريا بالمحاضرات وفي المكتبات الغنية وعمليا في المستشفيات كبغداد والري وابن طولون وغيرها . وكان لابد من اجازة تمنح من قبل لجنة خبراء وعلماء - وكان يحق لهم سحبها ممن لا يوثق بمعلوماتهم .

ثانيا : التأليف :  
الحاوي ( للرازي ) والملكي ( لابن عباس ) ،  
القانون ( لابن سينا ) - ليست ترجمات لجالينوس أو أبو قراط - وإنما ظلت أحدث الموسومات لقرون .

ثالثا : علم الصيدلة واكتشاف أدوية جديدة :  
بدأ التمييز بين الصيدلي والعطار - وأصبح للصيدله قواعد وقوانين مشروحة في كتب مثل (نشاجة الرطبه) ،  
المكتوب سنة ١٢٣٦ ومنه نسخة من القرن ١٥ بساراجيفو .  
وانشئت في ديار الاسلام مئات الصيدليات ومعامل الكيمياء (١)  
واستفادت أوروبا من الطب الاسلامي وفي اسبانيا خصوصا وبدأت بترجمة المؤلفات .  
ومن أشهر المترجمين جيربير دورياك ، جيرار دي كريمونا ،  
قسطنطين الافريقي وغيرهم .

### تأثير الطب الاسلامي في المدارس الطبية الأوروبية :

وبناء على ترجمات أمهات الكتب الطبية الاسلامية قامت أولى مدارس الطب في أوروبا - ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : -

#### (١) مدرسة ساليرنو :

تأسس في ساليرنو في القرن التاسع دبر للرهبان ، وكانوا يقومون بمصاف المرضى حسب معارفهم مقلدين براهب دير جبل كازينو المجاور لساليرنو ، وكان هذا الراهب قد ألف كتابا دعاه " المعجزات الطبية للقدس بنوا " (٢) - وقد أصبح هذا الراهب ويدعى ديزيرييه فيما

---

(٢) الطب الاسلامي ص ٤٥

(١) الطب الاسلامي ص ٥٣

بعد البابا فيكتور الثامن - بروما - ومن هنا شهرة الديبر -  
ولايتعلق ذلك بالمعجزات الطبية وبقيت شهرة دير رهبان سالييرن  
محلية حتى نهاية القرن الحادى عشر.

وفى سنة ١٠٧٧ وصل اليه الراهب قسطنطين القرطاجى ( الأفريقي )  
بعد أن تجول فى مصر والشام والهند وبغداد لدراسة الطب . وقام  
بترجمة كتب على بن عباس وأهمها الملكى ( وانتحله لنفسه ) ، -  
وكتاب علم العيون لحنين ابن اسحاق ، وكتاب زاد المسافر لابن  
الجزار . وأدخل قسطنطين اسلوبا جديدا فى ممارسة الطب وتعليمه  
وتشخيص الأمراض والأدوية العربية الجديدة الفعالة - فذاعت شهرته  
فى اوربا ثم نظم مدرسة سالييرنو على نمط مدارس الطب الشهيرة فى  
الشرق ، ونسج على منواله فى الترجمة والتعليم زملاؤه - فاشتهرت  
المدرسة ونشأت غيرها كبولونيا وبادوا ومونيليه وباريس .

## (٢) مدرسة مونبيليه :

فى نهاية القرن الثانى عشر ، كان يمارس الطب فيها بعض الرهبان  
وبعض الأطباء المسلمين الذين اختاروا المدينة لمقامهم ، وبعض  
اليهود خصوصا بعد هرب كثير منهم من اسبانيا بعد استلام الموحدين  
الحكم فيها سنة ١١٤٧ . ولم يكن نظام التعليم أو الممارسة حتى  
سنة ١٢٢٠ حين قرر الكاردينال كونراد مرسل البابا هونوريوس  
الثالث - تأسيس مدرسة مونبيليه على شبه المدارس الاسلامية  
وعمل لجنة فاحصة من أطباء مشهورين يرأسهم مسؤول دينى لاجسازة  
ممارسى المهنة واحتل الطب الاسلامى الصدارة فى برنامج الدراسة  
طيلة القرون الثالث عشر والرابع عشر ، وكان الاساتذة يشرحون ابن  
سينا والرازى والزهرراوى - وجالينوس أحيانا - ومن أشهر اساتذتها  
أرنولد الفيلاونوفى ( ١٢٣٥ - ١٣١١ ) وهو ممن اشتهر تاريخيا  
بترجمة الطب الاسلامى .

✳ ويعطينا كتاب " الدروس والمفاتيح " لائحة باسماء الكتب التى  
كانت تدرس بالجامعة حتى سنة ١٥٠٠ : ( كما جاء فى كتاب الطب الإسلامى )

اسم المؤلف	عام ١٤٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٥٠٠
ابن سينا	٤	٣	٤	٤	٦	٥	٥	٤	٦	٥	٤	٣
جالينوس	٢	٠	٢	٠	٣	٢	٤	٢	٢	٢	١	٤
أبوقسراط	١	٠	٠	١	٢	١	١	١	٠	١	١	١

ونرى أن كتب ابن سينا كانت تشغل سنة ١٤٩٠ المادة الوحيدة للدراسة في مدرسة مونبيليه للطب . وأنها كانت على العموم أهم الكتب لدراسة الطب لسنين عديدة .

وبقى الطب الاسلامي يحتل مركزا هاما حتى منتصف القرن السادس عشر ، وكان الاساتذة " المستعربون " كثرة بين الاساتذة ( كما يكثر بيننا المستعربون في هذه الأيام ) . ويوجد في كتاب استروك " ذكريات تاريخ جامعة مونبيليه - ارشيف الجامعة - الكتاب الخامس ) أن أحد أساتذة الجامعة ويدعى رينييه مورو - يهاجم زميله جاك ديبوا لتعليمه الطب الاسلامي دون غيره - كما يعيب على جامعة مونبيليه ميلها للطب الاسلامي - ويقول استروك معلقا " من الصحيح أن مونبيليه علمت ولوقت طويل الطب الاسلامي - ولكن في الحقيقة لم يكن لها الخيار - مثلها كباقي الجامعات الأوروبية " . وكذلك يظهر الدور الاسلامي في تطور ونهضة الطب الأوروبي .

### (٣) مدرسة باريس -

كان تنظيمها نسخة من مونبيليه وساليرنو من قبلها . ومما يحكى أن الملك لويس الحادى عشر حين طلب نسخة من "كتاب الحاوى" من مكتبة جامعة باريس لنسخها . اجتمع مجلس الجامعة وقرر اعارته الكتاب بعد الحصول على كفالة مالية قدرها اثنا عشر طاقما فضا للمائسة ومائة قطعة من الذهب - وهناك قصة عن استاذ زوج ابنته لطالب كان يملك نسخة من كتاب " القانون "

وبعد ساليرنو في أواخر القرن الحادى عشر وحتى بداية عصر النهضة - كانت هناك ٨٠ مدرسة للطب في أوروبا منها ١٩ في فرنسا تدرس الطب الاسلامي ومولفات الأطباء العرب وخرجت أفواجا من الأطباء والفلاسفة والصيادلة ، كروجر بيكون ، وقوماس الاكويينى ، وغى دوسولياك وهنرى دى مندويل وغيرهم - ممن كانوا أساس التفاعل الذى أثمر فيما بعد النهضة الأوروبية - حين تيسر لمن بعدهم الاكتشافات الجغرافية والعلمية - وبدأت عصور الانحطاط والتشردم في الشعوب الاسلامية .

من ذلك يتبين أنه لولا الحضارة الاسلامية ومولفات وابحاث العلماء فيها لما أمكن للتطور الغربى أن يحدث - "وتلك الأيام ندائها بين الناس" .

وكانت مراكز الاتصال الرئيسية - هي اسبانيا ، وصقلية وجنوب ايطاليا ، والشرق الأوسط أيام الحروب الصليبية .

(١) آل بهران ١٤٠

■ مما سبق يتضح لنا الأثر التعليمى وهو من الجوانب الاعلامية الأساسية وبخاصة فى الجامعيين وهم صفوة الطبقة المثقفة والأطباء منهم فى المقدمة .

فنرى مؤلفات أطباء المسلمين هى أهم المراجع ، والمتأثرون بالثقافة الاسلامية (المستعربون) يثيرون حفيظة زملائهم ، ولا يمكن انكار أن الأطباء كانوا من أهم الفئات التى ساهمت فى الاعلام بالاسلام كدين وحضارة وبخاصة فى عهود ازدهار الدولة - وكثير من غير المسلمين الآن لايعرف عن الإسلام أكثر من أنه قد أنجب ابن سينا أو الزهراوى أو ابن رشد مثلاً .

## نماذج من مؤلفات الأطباء المسلمين

### العالمية

سنقدم فكرة موجزة عن بعض مؤلفات الأطباء المسلمين - تبرر الأصالة الفكرية والروح البناءة الباحثة عن الحقيقة عند المسلمين، برهاناً ضد من قالوا أن المسلمين قد اكتفوا بالحفاظ على التراث القديم عبر العصور الوسطى ، ولكم من أجيال توارثت النظريات والآراء العلمية الخاطئة دون أن يجروا أحد على نقدها أو تمحيصها خشية الخروج على العرف السائد.

### كتاب شكوك على جالينوس ( للرازي ) (١)

بعد أن يعتذر الرازي عن اضطرابه لنقد جالينوس ويعترف بفضله - يقول: "ان صناعة الطب فلسفة لا تحتمل التسليم للروءاء والقبول منهم - مساهلة بلا استقصاء ، ولا العالم الصادق يحب ذلك من تلاميذه ، وانما تقليد الروءاء وترك الاعتراض عليهم من سنن الرعاع - ويستشهد بقول أرسطو " اختلف الحق وأفلاطون - وكلاهما لنا صديق - الا أن الحق أصدق من أفلاطون " .. ثم تطرق الرازي الى نقد جالينوس في اتساع حدقة العين حين اغماض الأخرى ، وقال ان ذلك يعتمد على شدة الاستضاءة وأن كلا الحدقتين تعملان معاً . ونقد أنواع الحمى وأدوارها بعد بحث حالة نحو الفى مريض ، ونقض استعمال جالينوس لمراهم وأنواع من العلاج لم يزلها فائدة .

### مقالة اسحاق بن مهران في الميلانغوليا (٢)

تعرض فيها الى الطب النفس تشخيصاً وعلاجاً ، وانكر الخرافات والمعتقدات الزائفة مثل دور الجن والشياطين في احداث الحالات الاكتئابية ، ولم يذكر الانتحار الذى تمنع منه الشريعة الاسلامية - وبما تحض عليه - من الترابط العائلى والتكافل الاجتماعى ، بما يحول دون القنوط واليأس من رحمة الله تعالى الذى ينتشر بين الناس مع قلة الايمان .

---

(١) الطب الاسلامى ص ١٤٨ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق ص ١٧١ - ١٧٩ - وقد ولد اسحاق في العراق وتعلم في بيت الحكمة في بغداد ثم نزع الى القيروان حيث عمل ببيت الحكمة هناك - وازدهر في زمان الأغالبة .



## اللائسون لابن سينا :-

جمع فيه ابن سينا الفيلسوف علوم الطب والصيدله ، وقسمها الى أبواب وفصول مرتبه ، ومجربة ، متضمنة رأيه المتأثر بعقيدته الاسلاميه وفلسفته الاشراقية ، فحاز قبولاً عالمياً - وأصبح أهم كتاب فى الطب مئآت السنين - ودونت عليه شروح وتعليقات وهوامش وموجزات - بدأت فى القرن السادس الهجرى واستمرت زهاء ستة قرون . وترجم للعبريه وجميع اللغات اللاتينيه - وطبع عدة مرات بالعربيه ، وقدر له أن يلغى تقريباً جميع من تقدموه فى التأليف فى علوم الطب .

ويتضح من الأمثلة السابقة أن أطباء المسلمين فى عصور النهضة العلميه قد اسهموا بنصيب وافر فى دفع عجلة التقدم والاكتشاف والتأليف والتصنيف . ولاشك أن أعمالهم التى ترجمت الى سائر اللغات اللاتينيه - قد كانت الأساس الذى بنيت عليه الحضارة الحديثه - وكانت من أهم سبل الاعلام بالاسلام بالفعل ، فمن خلالها كانت عقيدة الحق تنضج ، بما تحض عليه من مكارم الأخلاق ، والنهى عن الفواحش ، والأمر بالنظافة والطهارة ، وعزل المرضى عند الوباء .. الى آخر ذلك فى الوقت الذى كانت أوروبا غارقة فيه فى الفوضى والجهل - الى أن تعلمت هذا من المسلمين - " **وذلك الأهم نداولها بين الناس** " (١) صدق الله العظيم .

وليس هذا وقفاً على الطب فقط وإنما امتد الى كثير من شعب الحياة الانسانية ، واعترف به المنصفون من مؤرخى أوروبا ومفكرىها اعترافاً بينا كما فعل ذلك الأستاذ " جوستاف لوبون " فى كتابه الشهير " حضارة العرب " بل جعلت المستشرقه الالمانيه الدكتور " سيجفريد هونكة " ذلك عنوان كتاب لها سمته " **شمس الله على أوروبا** " ، اعترافاً منها بفضل الاسلام على العالم وعلى النهضة الأوروبيه .

الباب الثالث

# الطب والدعوة في الإعلام الإسلامي المعاصر

تزخر وسائل الاعلام المعاصرة بفنون شتى من المعلومات ،  
والافكار ، والموضوعات ، والمعانى الثقافية ، والتعليمية ، والترفيهية  
التي تغطي جوانب الحياة المختلفة .

وللطب فى وسائل الاعلام المعاصرة مكانة أساسية ومرموقة  
- خاصة وقد اتسعت انحاؤه ، وتعددت شعبه وتخصصاته ، وامتدت  
دراساته كما بينا سابقا - فلا تكاد تخلو صحيفة يومية أو مجلة  
أسبوعية أو شهرية من أبواب أو مقالات أو أبحاث أو أخبار طبية .

ومن جانب آخر نجد الحضارة المعاصرة قد طبعت الانسان  
بطابعها المادى الانسانى ، ولهذا فهو يحرص قبل كل شئ على أن يعيش  
صحيحا معافى ليستمتع بمباهج الحياة ، وكذلك يقبل على وسائل الاعلام  
التي تلبي له هذا الجانب ، وتشبع حاجته فى هذه الناحية .

وقد وجد دعاة الاسلام فى الطب الحديث حقائق علمية هامة ،  
أحسنوا استخدامها فى مساندة قضايا العقيدة الاسلامية ، وأحكام الشريعة  
الغراء ، وان كانوا يحتاجون لبذل مزيد من الجهد فى هذا الباب .

ومن ناحية ثانية فان الاسلام ذاته قد جاء بحقائق طبية سبق بها وجاءت  
المكتشفات الحديثة مؤيدة لها معادقا لقوله تعالى " سنريهم آياتنا فى  
الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق " ( ١ )

وهذا الباب محاولة لبيان هذا الجانب ، وابرار جهد دعاة  
الاسلام فى مجالات الاعلام المتعددة ابتداء من الصحافة والاداعة المرئية  
والمسموعة ، وانتهاء بالكتاب المستقل .

واننى اعتقد أن النسيحة المباشرة أقل فائدة وجدوى من تلك  
التي تأتى عفوا فى سياق يتميز بالطرافة - وأظن أن الدعوة للدين يجب  
أن يكون لها جند فى كل ميدان ، وبخاصة فى حقول الخدمات كالمحبة  
والتعليم والاعلام ، ويبقى نفر من علمائنا الأفاضل للتفقه فى الشريعة  
ليكونوا مرجعا لهؤلاء الدعاة يستفتونهم فيما يعضل عليهم ، ويوجهون  
خطاهم فى ميادين الدعوة وأساليبها ، وليس شمة دين أو فكر قديم  
أو جديد - قد قام على مجرد موعظة يقوم بها من يعتقدونها ، بل أن  
ممارسة الحياة هى الجهاد الأكبر كما جاء فى الأثر حين عاد الصحابة رضى  
الله عنهم من جهاد أعداء الدين بالسيف فى ميدان القتال .

ان القول بأن الاسلام يصلح لكل زمان ومكان - هو قول قديم -  
يجب اثباته فى كل حين ، بالقدوة الحسنة والفكر المستنير - فهكذا  
يقتنع الضعيف المتردد ، أو المستغرب المنبهر بتقدم الكافرين ماديا -  
بأنه يمكن للمرء أن يعيش حياة سعيدة معقولة ، وأن يحظى بالمتعة  
الحلال ، وباحترام المجتمع أيضا .

ولا يجوز فى رأى أن يكون المسلم الحق متأبدا نافراما -  
الناس ، لا ولا منفرا .. فان خلوص النية لا يغنى من صحة الوسيلة ، فالمسلم  
مبشر بالحنيفية السمحة أولا ، وبها جاء النبى الخاتم صلى الله عليه وسلم .  
وكان أكمل الناس وأحبهم الى خلق الله - بل ان محبته صلى الله عليه وسلم  
تمتد الى أتباعه عبر القرون ، ولم يروه ، وانما يعرفون صفته وسيرته  
الكاملة .

وكان عليه الصلاة والسلام ، وصاحبه رضى الله عنهم أجمعين ، وأئمة  
الفقه معظمهم من العلماء العاملين فى مختلف المهن والصناعات ، وبذلك كانوا  
إعلاما حيا يعيش بين الناس . وفى عصور الاسلام الزاهرة - حين كانت الكنيسة  
تحكم العالم النصرانى آنذاك بالجمود والرياء المؤدى للتخلف - كان  
أمثال أبو حنيفة التاجر ، والرازى الطبيب ، والكندى العالم الفيلسوف  
هم نجوم الدنيا التى أضأت ظلام تلك العصور ، وكانوا هم والخلفاء الأقوياء ،  
وقادة الفتوح والسرايا - أبطال الاعلام بالاسلام قرونا متطاولة .. بل والى  
يومنا هذا .

ان عصرنا هذا يسمى عصر العلم والصناعة ، وكان العلم هو بديل  
الدين الذى يحاولون تصويره للناس فى شكل الخرافة والوهم الباطل . وواجبنا  
هو توضيح أن السعى للقوة هو فرض عين على المسلمين جميعا لقوله تعالى  
" واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله  
وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم .. " (١) ، وأن المتعة  
الحلال هى فضل الله يؤتيه من يشاء لقوله تعالى " قل من حرم زينة  
الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى  
الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة .. " (٢) ، وأن المعرفة الصحيحة المفيدة  
لجماعة المسلمين هى من واجب العلماء - وتصحيح المفهوم الغالب علينا  
لجهالتنا بأن من لا يحمل شهادة من الأجانب ليس بعالم ، وأن العلماء هم فقط  
الأجانب العاملون فى معامل الصواريخ والطائرات ، أو من أطباهم الذين  
تسلط عليهم أعضاء الدعاية حين ينجحون فى تجربة علمية كزراعة القلوب أو  
ما يطلق عليه طفل الأنابيب ، وماشابه ذلك من ضروب الاشارة .

أما نحن المسلمين فان داءنا العضال هو - تفرق كلمتنا - فتجسد العلماء في جانب والامكانات في جانب آخر ، وكأنهما قطبان متنافران . فيستقطب أعداؤنا علماءنا بامكانياتهم ، ويأخذون امكانياتنا وطاقاتنا بعلمائهم .

ونكتفى نحن بالكلام الكثير الذي ان لم يصحبه عمل جاد كان نفاقا ولا بد .. وكانت الهزيمة التي نكابدها .. ولا بد !!

مثال ذلك المشهور .. هو أن يكون الوف من الأطباء المسلمين من مصر وباكستان وغيرها من كل ديار الاسلام ، يعملون في انجلترا وامريكا واستراليا - وهم علماء نادرون - ويتم اغراؤهم للبقاء هناك بشتى الوسائل والتسهيلات وسبل الاغراء .. ذلك وبلادهم بل كل البلاد الاسلامية تستجدي الأطباء .. من هذه الاقطار - فلا يبعثون اليها أبناء بل يبعثون لشام مبشريهم وجواسيسهم ليستنزفوا أموالنا ثم لايعالجوننا باخلاص وتجرد ، بل يعملون في أجسام المرضى وعقولهم البحث والتجريب والتخريب . !!

وحين يأتي الطبيب المسلم ، ينظر اليه كأجنبي ، ثم لايعامل معاملة الاجانب !!! ونبعث مرضانا اليهم ، ونعرف فضائح الابتزاز والمغالطة الفاحشة (١) .. ثم نعود !!

حتى بلغ اليأس ببعض العلماء والمثقفين حد الهجرة الى ديار الكفر - ونحن بحاجة الى العقول أكثر من حاجتنا الى المال المنقول بكثير .. فالمال محكوم عليه والعقل حاكم ، والمال ان لم تحرسه القوة ضاع والعقل حارس

إننى فى أثناء عملى وفى الدعوة حاولت دائما التنبيه على خطأ ما أسماه أحد الكتاب الشباب - الوثنية الفكرية - وهى الاعتقاد بالعلم كحل وحيد قادر على تجاوز جميع العقبات والمشاكل .. بما فى ذلك المرض والموت .. وبالتالي فلا ضرورة لاعتقادنا بالله سبحانه وتعالى وكتبه وملائكته ورسله واليوم الآخر .. وبالقدر خيره وشره . !!

فلادين الاسلام يتعارض مع العلم والتعليم والتعلم ، ولايتعارض النقل الصحيح مع العقل الصحيح . ولم يتعلم الرسول الخاتم - النبى الأمى - عن الشرق أو الغرب - ولم يستق أتباعه عقيدتهم من يهود ولا نصارى ولا مجوس - وانما من الله وحده لا شريك له - ومنعهم ايمانهم القوى .. من الخنوع والخضوع لغيرهم .. وأيضا كان حافزهم لحمل لواء العلوم جميعا بلا استثناء قرونا طويلة .

---

(١) أنظر مقال " فضائح تطبيب العرب فى بريطانيا " العدد ٦٧ مجلة

" المجلة " فى ١٤٠١/٧/٢٥ هـ - ٢٩ / ٥ / ١٩٨١ م

ذلك ما يجب أن يعمل الأطباء المسلمون المهتمون بأمر الدعوة  
لدين الحق لبيانهم للناس من خلال الكتابة في الصحف والمجلات وبرامج  
الاذاعة المسموعة والمرئية والمحاضرات والندوات الى آخر سبيل  
الاعلام المتاحة جميعها . والمؤسسات الطبية التي تعمل تحت راية الاسلام .  
وهو ما سنعمل على انتقاء أمثلة له نعتقد أنها تعبر عن مختلف  
الأساليب التي تختلف من انسان الى آخر ومن وسيلة الى وسيلة . ففى  
المباحث التالية والله المستعان .

## الفصل الأول نماذج من الاعلام الاسلامى المعاصر

### المبحث الأول

#### نماذج من الصحافة

معلوم أن الصحافة ذات سلطان اعلامى واسع النطاق والآفاق ، وهى تمتد الى أعماق الحياة الانسانية المعاصرة ، وقد أصبحت جزءا من الحياة اليومية للانسان يبدأ بها يومه ربما قبل الافطار .. والخبز والماء ..

والصحافة من أول وسائل الاعلام ظهورا ومن أكثرها تأثيرا - وهى التى قال عنها أمير الشعراء فى زمانه أحمد شوقى ،

لكل زمان ملى آية . وآية هذا الزمان الصحف

وكان الانسان منذ العصور القديمة يسجل الأخبار على جدران واعمدة المعابد ، حتى قيل أن حجر رشيد هو الصحيفة الحجرية الأولى - وهو مكتوب بلغات ثلاث هى اليونانية لليونانيين ، والديموقراطية للشعب ، والهيروغليفية للكهنة . (١)

وأصدر يوليوس قيصر جريدة سماها السجل اليومى للأخبار مطبوعة على أوراق البردى سنة ٥٨ ق م ، وقيل أن أول صحيفة فى التاريخ كانت فى الصين قبل الميلاد بمئات السنين ومن المعروف أن الصينيين هم أول من عرف صناعة الورق .

وسجل العرب قصائد فحول الشعراء وعلقوها على الكعبة ليقرأها الطائفون بالبيت العتيق وسميت المعلقات التى مازالت يتردد صداها وتحفظها الناس وبطون الكتب .

وفى القرن الثالث عشر الميلادى ظهرت فى انكلترا صحف مكتوبة باليد يكتبها تجار الاخبار وكان لهم مراسلون فى أقطار بعيدة وظلت كذلك حتى ظهرت المطبعة سنة ١٤٥٠ .

وأول جريدة مطبوعة نشرت فى البندقية بايطاليا سنة ١٥٦٦ ، ثم فى انجلترا سنة ١٦٢٢ ثم فى فرنسا سنة ١٦٣١ ، وأول جريدة بالعربية أصدرها نابليون بونابرت أيام الاحتلال الفرنسى لمصر وتوقفت بعد انسحابهم سنة ١٨٠١ بعد ١١٦ عددا (٢) .

---

(١) تطور الصحافة - تأليف عثمان حافظ - شركة المدينة بجدة سنة ١٩٧٨ ص ٨ - وما بعدها بتصرف .

(٢) نفس المصدر السابق . - ١٧٢ -

ثم أصدر أول عربي صحيفة في استامبول سنة ١٨٥٥ ، وتبعها صحف في بيروت ومصر وشتى أنحاء العالم العربي .

والأدوار التي مرت بها الصحافة حتى وصلت الى شكلها الحالي وفروعها المتشعبة من ادارة وتحرير وطباعة وتحويل واخراج وغيرها - كثيرة - حتى أصبحت الصحف حاليا تستخدم كل معطيات المخترعات المتتالية من آلات الطباعة والتصوير وأجهزة اللاسلكى والمبرقات الآلية والمذياع والمرش والاقمار الصناعية ، الى غير ذلك في كل حقل - وصارت من المنشآت الاقتصادية الكبرى ذات الاستثمار الضخم .

ولكنها كانت دائما تتطلب ذوقا سليما واحساسا مرهفا يتجاوب مع ميول الجماهير ، ورغباتها، ويكتسب ثقتها ورضاها - لتستطيع التأثير في السراى العام وقيادته، فهي أيضا مؤسسة اجتماعية ذات رسالة أدبية وسياسية وعلمية - لذلك - فان الأمانة المحفية والنزاهة والاستقامة من أهم ما يجب أن يتوفر في العاملين بهذه المهنة حتى تصبح مدرسة للتوجيه والارشاد الى الحق ، والا كانت وبالا على المجتمع وأداة للشر والافساد .

وقد امتد الحديث من الطب والأطباء من شتى الجوانب - السى الصحافة - منذ زمان طويل ، واستخدمه الدعاة لابرار حقائق الاسلام كما اشرنا في التمهيد لهذا الباب ، وسنعرض في هذا المبحث نماذج من ذلك .

#### أولا : ندوة من طفل الأنابيس :

أول ما اثيرت هذه المسألة واهتز لها الناس ، وظن بعضهم أنها فجوة جديدة بين العلم والدين ، انبرت الصحافة لايفحاح هذا الجانب . وكان من ذلك ندوة نشرتها مجلة الفيصل الشهرية في عددها الثامن عشر بتاريخ ( ذو الحجة سنة ١٣٩٨هـ الموافق نوفمبر سنة ١٩٧٨ م ص ٧٢ وما بعدها ) بعنوان ندوة الشهر " طفل الأنابيس بين الدين والعلم والمجتمع " . واشترك في الندوة :-

■ الدكتور/ عبدالله بن عبدالله الزايد - مدير المعهد العالى للدراسة الاسلامية بالرياض سابقا ، ونائب رئيس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة حاليا .

■ الدكتور/ عبدالستار فتح الله سعيد - المدرس بالمعهد العالى للدراسة الاسلامية بالرياض - والمشرف على رسالتي هذه .



■ الدكتور / حسين محمد شويل - مدير عام مستشفى الولادة والأطفال بالرياض

■ الدكتور / محمد عبدالهادي - الأخصائي بمستشفى الولادة والأطفال بالرياض  
متمم

#### وهذا نصها :-

تناقلت وكالات الأنباء كثيرا من الأخبار والتعليقات حول التجربة التي قام بها الطبيب البريطانيان " باتريك ستبتو " و " روبرت ادوارد " الخاصة بولادة أول طفلة بواسطة الأنابيب اسمها - " لويزا براون " من الأب جون والأم ليسلى فى مستشفى أولدهام بالقرب من مانشستر فى إنجلترا .

ولقد حظيت هذه التجربة باهتمامات الصحافة العالمية وتناولها العلماء والأطباء بالتعليق بين مؤيد ومعارض وبين ماخوذ بنتائج التجربة ومتريث فى الاقتناع بها .

تقول الأم ليسلى فى معرض وصفها لابنتها " لويزا " :  
" لن أنسى تلك الشانية التى لمست فيها ابنتى للمرة الأولى ، أنها لحظة تساوى بالفعل كل مامرت به من أجلها " .

ويقول الدكتور ستبتو : " ظاهريا تبدو الاجراءات والخطوات العلمية التى أعطت السيدة ليسلى الطفلة التى عاشت تنتظرها سنوات طويلة ، تبدو هذه الخطوات بسيطة ومباشرة . أن التجربة محاكاة للطبيعة فى أسلوبها البسيط الذى وهبه لها الله لتجديد الحياة البشرية . ولكن مع احداث اختلاف بسيط بسبب حدوث انسداد فى الطريق الطبيعى ( ( يقصد الانسداد فى قناتى فالوب ) ) ولكن الواقع بالطبع أكثر تعقيدا " .

ولقد كانت الفكرة التى تولدت فى رأس الدكتور ستبتو منذ نحو ١٥ سنة ان هذا الانسداد يمكن تخطيه كلية اذا مامكن :

- التقاط البويضة من المرأة جراحيا .
- تخصيبها فى المعمل بالحيوان المنوى للزوج .
- ابقاؤها حية لعدة أيام الى بدايات مرحلة الجنين .
- زرع البويضة وقد تحولت الى بداية مرحلة الجنين فى رحم الأم لكى ينمو فيه كأي جنين طبيعى .

ولقد سبق هذه التجربة اجراء ٣٥٠ تجربة أخرى ، وقد سعى الدكتور ستبتو من خلال تجربته الجديدة الى تطوير "التكنيك" فوجد ضالته المنشودة فى الستينات فى الدكتور ادوارد استاذ علم وظائف الاعضاء بجامعة كمبريدج الذى أمضى سنوات فى اجراء أبحاث معملية حول عملية الاخصاب .

وقد توصل الدكتور ادوارد بعد أبحاث مضية الى أن عملية الاخصاب ليست مجرد خلط البويضة بالسائل المنوى ، فأهم شئ للبويضة أن تكون فى مرحلة النفوج التام اللازمة لحدوث الاخصاب ومن هنا ظهرت أهمية عامل التوقيت فى اخراج البويضة من المبيض .

وكان دور الدكتور ادوارد فى ايجاد مثل هذه الظروف اللازمة لنفوج البويضة فى الانبوب وتوليف مزيج من سائل المواد الغذائية التى تسمح بعملية النضج والاخصاب .

ونظرا لخطورة وأهمية التجربة رأت ( الفيميل ) أن تخصص ندوتها لهذا الشهر لمناقشة الموضوع من زواياه وأبعاده المختلفة الدينية والاجتماعية والخلقية والطبية .

#### (أ) الابعاد الدينية .. والاجتماعية :

بدأ الدكتور عبدالله بن عبدالله الزايد مدير المعهد العالى للدموة الاسلامية بالرياض الندوة شارحا الجوانب الدينية والاجتماعية لفكرة وتجربة طفل الأنبوب فقال :

" فى مطلع الكلام حول هذا الموضوع أود أن أبدي ملاحظتين اشتين أحسبهما مهمتين :

■ الملاحظة الأولى : أن الاعلام أشار ضجة حول مسألة طفل الانابيب أكبر من التجربة نفسها ، وهذا الضجيج الاعلامى لا يتسم بروح العلم فى تناوله للموضوع ، اذ ان قواعد العلم الصحيح لاتقرر الخلود ولا التمجيد الأسطورى لتجربة ما .

ثم ان هذا الاسلوب الاعلامى صور القضية على أنها فتح جديس للتناسل البشرى ، يلغى الطريق الفطرى الطبيعى للاتصال والتوالد والتناسل .

الملاحظة الثانية : أن المشكل دائما ليس في اكتشافات العلم ، وانما في طريقة استغلال الاكتشافات العلمية ، فالمركبات الكيميائية وتفاعلاتها - مثلا - علم معروف ، ولكن الضلال البشري استخدم هذا العلم في صناعة اسلحة الحرب الكيميائية البشعة .

ومن هنا وجب وضع الضمانات التشريعية ، والأخلاقية ، حتى لا يستغل العلم أفراد ضالون ، يدمرون به البشرية سواء في المجال المادى ، أو المجال الاجتماعى الأخلاقى .

### ما هو موقفنا كمسلمين من هذه التجربة ؟

ان موقفنا من هذه التجربة يأخذ في اعتباره الناحية  
الفقهية والناحية الاجتماعية .

#### أولا : الناحية الفقهية :

ينتقد بعض الناس علماء المسلمين الأوائل لأنهم فتحوا أبواب الاحتمالات لما عساه أن يجد من وقائع ومشكلات .

ومن ذلك أنهم بحثوا احتمال ادخال ماء الزوج الى رحم زوجته من غير طريق الاتصال العادى ، وتسمى هذه العملية في الفقه بـ " الاستدخال " أو " التحمل " وعلى هذا يمكن القول بأن الفقهاء المسلمين لا يمانعون من التلقيح الصناعي بشرط ان يكون من زوجين شرعيين .

وتجربة طفل الأنثوب تخضع لهذا الحكم بالشرط المذكور ، أى أن تكون النطفة والبويضة من زوجين شرعيين .

والذين يمانعون جواز هذه الطريقة لاحظوا المقاصد الشرعية ، وقاعدة سد الذرائع ، ذلك أن من المبادئ الفقهية ضرورة الموازنة بين المصلحة والمفسدة ، فإذا ترجحت المفسدة على المصلحة ، وجب منع العمل بما يفضى اليها ومن ذلك قولهم :

درء المفساد مقدم على جلب المصالح ، أى اذا تساوت المفسدة والمصلحة وجب درء المفسدة وتجنب سلوك الطريق المفضى اليها .

وهذا النظر جنب الأمة الاسلامية الوقوع في كوارث كثيرة ، وقع فيها المسلمون اليوم لضعف التزامهم بقواعد الاسلام وهديه .

وعلى هذا يمكن القول بأن الناس اذا أساءوا استعمال هذه التجربة - اذا نهجت - فان على المتعمدين للفتوى النظر في قاعدة سد الذرائع ..  
واذا لم يحصل اساءة استعمال غلب جانب جلب المصالح .

وهذا الأمر اشبه مايكون بجرعة دواء واحد يعطى لمريض ويمنع منه مريض آخر مع أنهما مصابان بمرض من نوع واحد لاختلاف استعداد الجسمين .

وليس ذلك من التلاعب بالفتوى ، ولكنه من الفقه فى دين الله المرتكز على النظرة الثاقبة فى نصوص الشريعة وفى مقاصدها ، ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يسأل أحيانا عن مسألة واحدة من شخصين فيجيب شخص بما لم يجب به الآخر ، كأن يسأله مثلا رجل عن أفضل الأعمال فيجيب قائلا : بر الوالدين ، ويسأله آخر نفس السؤال فيقول لله الانفاق فى سبيل الله ، واختلاف الفتوى فى هذا المثل ملحوظ فيه حال السائل ، فالأول يحتاج الى نصحه ببر الوالدين ، لأنه عاق لهما ، والآخر صاحب مال فيحتاج الى نصحه بالبذل فى سبيل الله ، وعموما ، فإن اختلاف الفتوى باختلاف حال المستفتى مما اعتنى به الأصوليون وقعدوا له القواعد .

ونحن نقول بعدم الجواز الا اذا توفرت الضمانات التشريعية والاخلاقية التى تحيط هذه التجربة بالسلامة والطهارة وتبقيها فى دائرة الحلال .

وان قولنا بعدم الجواز له مبررات منها :

- (١) أن حبوب منع الحمل صنعت ابتداء - كما قيل - لتنظيم النسل ، ولكن هذه الحبوب شجعت جريمة الزنى تشجيعا مرعبا ، حتى أصبح البنات فى أوروبا وأمريكا يحملن هذه الحبوب فى حقائب كتب المدارس الثانوية .
- (٢) ان الشركات التجارية وطلاب الربح سيخترعون تجارة جديدة ( تسمى التجارة فى أولاد الحرام ، أو ماشاءوا أن يسموها ) فليس من المستبعد توسيع التجربة ، وعدم حصرها بين الزوجين الشرعيين ، فربما عمدوا الى نطف وبويضات ليس بين أصحابها علاقة زوجية ليجروا التجارب عليها ، ويمتد خيالهم ويتسع ، حتى يقوموا بإنشاء بنوك للنطف والبويضات تسمى " بنوك أطفال الأنابيب " لياتى المشتري فيتخذ نطفة أو بويضة من السلالة التى تعجبه ، لتشهد البشرية عودة الجاهلية الأولى من جديد فى هذا المجال ، فقد كان معروفا فى الجاهلية الأولى ، ما يسمى بنكاح الاستبضاع ومعناه : اختيار رجل له خصائص معينة ليتصل بالمرأة غير الحبل لتنجب من سلالة من قد ينفع القبيلة !! وهذا النكاح من أنواع الزنى أبطله الاسلام كما جاء فى حديث عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها .

## ثانيا : الناحية الاجتماعية :

فان الاستخدام السع لهذه التجربة سوف يؤثر تأثيرا خطيرا على المجتمعات ، ومن هذا :

- انقطاع النسب ، اذ تظهر أجيال لاتعرف آباءها ولا أمهاتها حقيقة .
- تدمير الأسرة بتقطيع أواصرها وهذا مترتب على انقطاع النسب .
- ومما يترتب على هذين انعدام صلة الرحم .
- ادخال نسب على قوم ليس لهم به صلة شرعية .
- فقدان الاحساس بالانتماء العائلى المعروف مما يؤدى الى التمزق النفسى والخلقى والاجتماعى ، وهذا التمزق يؤدى الى التعقيد والاكتئاب والاجرام ، ومن الخير هنا الاعتبار بمشكلة اللقطاء فى أوروبا وأمريكا والعالم الثالث .

وفى الختام أقترح أن تعقد ندوة لمجموعة من علماء المسلمين لمعالجة هذا الموضوع والموضوعات الأخرى المماثلة ليستنير رأى العام الاسلامى، وليكون مايمدر عن هذه الندوة من أحكام ومقررات ملزما للحكومات الاسلامية وللعلماء المسلمين الذين يقومون بالتجارب العلمية الطبية . والله أسأل حسن القصد وسداد الرأى وخلوص القول والعمل له وصلى الله وسلم وبارك على هادى البشرية بادن ربه الى صراط مستقيم " .

## بين الدين والعلم (ب) :

وعن العلاقة بين الدين والعلم وتطبيق هذه العلاقة على تجربة الأنابيب ودورها المحدود يقول الدكتور عبدالستار فتح الله سعيد - المدرس بالمعهد العالى للدعوة الاسلامية بالرياض :

" دأب الناس كلما ظهر كشف علمى جديد أن يتلفثوا الى الدين أحيانا بروح الشماتة والتحدى ، أو بروح الاشفاق والرشاء ، وفى أخف الأحوال يكونون على هيئة التساؤل أو الانتظار عما تسفر عنه الايام ، فى الصراع الموهوم بين العلم والدين !! " .

لذلك نود قبل الحديث عما سمي " باطفال الأنابيب " أن نلغس الانظار الى جملة موجزة من الحقائق ، حول هذه المسألة التى أحدثت فجة أكبر من حجمها :

## أولا : الدين والعلم عنوان

اذ لا يمكن أن تتعارض المبادئ الدينية الأصيلة ، مع الحقائق العلمية الصحيحة ، والفجوة المصطنعة بينهما قد فات أوانها ، وزالت الظروف التاريخية التي أحدثتها حين اصطدمت الكنيسة بطلائع عصر النهضة الأوروبية ، لذلك تحول العلم نفسه الآن الى داعية للإيمان ، وعاد يدعم حقائق الدين التي أنكرها الملحدون في الماضي ، والذين لهم بقايا في الدواشـر العلمية تأخذ الألحاد وراثة وتقليدا كما كان المشركون من قبل يجمدون على ارث آبائهم الأولين بلا بينة ولا دليل !!

## ثانيا : الاسلام ميزان الأديان

لأنه دين الحق ، والمتفرد - وحده - بالحفظ ، وتواتر المبادئ والقواعد ، ومن ثم فهو الحكم على غيره من الأديان ، وهو كلمة الوحي الالهي الصحيحة الباقية على الأرض ، ولهذا لم يتعارض مع حقيقة علمية ، ولم يعارض قط المصالح المشروعة للجنس البشري ، لأنه جاء لتحقيقها وحياطتها . وتاريخه المجيد أبلغ شاهد على هذا خاصة في مجال العلوم والدراسات .

## ثالثا : دور محدود للأنابيب

فالحقيقة العلمية الى الآن أن الأنابيب استخدمت استخداما محدودا ، ولمدة ٤ أيام " أى  $\frac{1}{7}$  من مدة الحمل الطبيعي " ، ومع بذل الجهود المضنية قبل ذلك لمدة ١٥ عاما متواصلة ثم بذل الجهود لحفظ البويضة والنفطة ، وتوفير المناخ المناسب لهما حتى يلتحما ، وليسيرا وفق النظم الالهية الثابتة ، الى أن تم نقلهما الى الرحم مرة أخرى ليوصل الجنين الحياة والنمو في قراره المكين الأميل .

ومن ثم يتضح خطأ هذا الوصف الذي ينسب فيه الطفل الى الأنابيب ، وهي وعاء عارض .

#### رابعاً : سريهم آياتنا فى الآفاق

ومع اعترافنا بعظمة هذا العمل العلمى ، وتقديرنا للجهود الجبارة التى بذلها العلماء والأطباء فى هذا الصدد ، نعود الى القول بأن هذا فتح جديد للدين ، وتأكيد لحقائقه الكبرى ، فى الايمان بالله الواحد القهار ، ذلك لأن هذا العمل العلمى الكبير يلفت الأسماع والأبصار ، والقلوب والعقول الى جلائل النعم الالهية ، وخوارق الخلق الربانى ابتداءً من ايجاد الذكر والأنثى ، والنطفة والبويضة ، وخلقهما على ماسماه القرآن العظيم ( انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج ) ، ثم متابعة رعاية هذا المزيج فى أطوار الخلق العجيبة التى فصلها القرآن الكريم ، والتى امتن الله تعالى بها على عباده ، وساقها دليلاً على قدرته المنفردة وعلى جميل عنايته الفائقة ، ومن ذلك قوله تعالى " ألم نخلقكم من ماء مهين ، فجعلناه فى قرار مكين ، الى قدر معلوم . فلدرنا فنعم القادرون " ، وهذا القرار المكين هو الذى تناسلت البشرية من خلاله عبر القرون المتطاولة ، فكيف لا يشير هذا كله عجب الناس بقدر ما أشارتهم حالة عابرة فى أنبوب هش ، بذل فى سبيله أضنى الجهود ، وأبھظ النفقات؟! ان كل انسان منصف فى الأرض ليزداد بهذا ايماناً بقدرة الله العظيم ، ويزداد شكرنا لنعمة الله ، وتمديقاً بوعده حين قال جل شأنه :

" سريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق " .

#### خامساً : وماتشارون الا أن يشاء الله

على أنه ينبغى أن يستقر فى أعماقنا دائماً أننا محكومون فى النهاية بسلطان الله تعالى ومشيئته ، وأن مزاولتنا للأسباب لا تعنى التفرد بمصائر الحياة . فان الله عز شأنه هو الفعال لما يريد ، ولن يصبح " العقم أسطورة " كما تنادى المفرورون غدادة ميلاد الطفلة الانجليزية ، ولنستمع فى إدب الى صوت الوحى الالهى يقرر الحقيقة النهائية .

" لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء إنشا ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرا نسا واناسا ويجعل من يشاء عاقما انه عليم قدير " .

ولننظر كيف كرر المولى جل شأنه ذكر المشيئة الالهية أربع مرات فى آيتين اثنتين فقط حتى يجلى عن الانسان المغرور أوهامه حين يعلم ظاهرا من الحياة الدنيا ، ويظن أنه ملك الأسباب ، وأن الظن لا يغنى من الحق شيئا .

على أننا نعود فنذكر بأن هذه الوسائل الصناعية ليست خلقا ، ولا تخليقا ، وانما هى استخدام لمواد خلقها رب العالمين ، ومحاكاة بارعة لنموذج الخلق الاصيل ، وتطبيق للسنن الالهية فى الأرحام والأجنة ، ولذلك كان والد الطفلة هما أول من اعلنا ايمانهما بالله تعالى حين قارنا الجهود الفادحة التى بذلت فى محاولة جزئية ومحدودة ، بالنعمة الالهية المتكررة فى أقطار الأرض أثناء الليل والنهار ، لمئات الملايين من الآباء والأمهات .

### خلاصة الجواب

والآن يأتى السؤال عن حكم الدين فى الأطفال الذين يمرون عبر الأنابيب ، أو غيرها من الأدوات والآلات والأوعية .

### ونوجز الجواب عن هذا فى نقاط :

• أولا : يبيح الاسلام للرجل أن يفع نطفته فى المرأة على أى وجه ينتهى بها الى الرحم ، بل يبيح له - بشروط - القاءها خارج الرحم فيما يسمى شرعا " بالعزل " الذى كان يفعله الصحابة رضوان الله عليهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقرآن ينزل ، كما جاء فى حديث جابر فى الصحيحين .

• ثانيا : ينبغى الاعتقاد التام بأن الخالق هو الله تعالى فى كل حال سواء كان ذلك فى أنبوب ، أو ما هو أغرب منه ، وقد جاء رجل يسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال له صلى الله عليه وسلم " لو أن الماء الذى يكون منه الولد أهرقته على صخرة لأخرج الله منها ولدا " رواه أحمد والبزار وابن حبان وصححه من حديث أنس .



■ ثالثا : معالجة الماء الذى يكون منه الولد بطريقة التلقيح بين النطفة والبويضة فى أنبوب أو غيره لايزيد عن كونه ضربا من التداوى ، والأخذ بالأسباب المشروعة فى الاسلام ، ولا دليل على منعه أو تحريمه ، وهو مثل مقابله " المنع من الحمل " لايفير من القدر شيئا ، ولذلك لما قالت اليهود : العزل المؤودة المغرى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كذبت يهود ان الله عز وجل لو أراد أن يخلق شيئا لم يستطع أحد أن يصرفه " رواه أحمد وأبو داود من حديث أبى سعيد .

■ رابعا : لم يمنع الاسلام أمته من الاستفادة بالتجارب البشرية فى مجالات الحياة ، بل يحثها على اقتباس النافع المفيد منها ، وفى الأثر " الحكمة ضالة المؤمن أنَّ وجدها فهو أولى الناس بها " .

وفى مجال الحمل أو منعه قرر النبى صلى الله عليه وسلم هذا المعنى عن العزل حين سئل عنه : " .. لو كان ضارا ضر فارس والروم " ، رواه أحمد ومسلم من حديث أسامة .

ويقول : " لقد هممت أن أنهى عن الغيلة فنظرت فى الروم وفارس فاذا هم يغيلون أولادهم فلايضر أولادهم شيئا .. " رواه أحمد ومسلم من حديث جذامة بنت وهب والغيلة هنا معناها : جماع الزوجة وهى مرضع أو أن ترضع وهى حامل .

واستخدام الأنابيب أو غيرها مشروط فيه بداهة أن يتم بطريق شرعى متفرد وهو أن تكون النطفة من الزوج والبويضة من الزوجة فقط بحيث لا يختلط بهما أى مادة بشرية تؤخذ من غير الزوجين .

والإخلال بواحد من هذين الأمرين ( النطفة والبويضة الزوجية ) يكون فى حكم الزنى ، ويأثم فاعله والراضى به اثما مبينا ، فضلا عن أنه يترتب عليه آثار الزنى من عدم ثبوت النسب ، وحرمة الميراث وغير ذلك من الأحكام الكثيرة !!

والزنى لم يحرم فقط حفظا من الأمراض ، أو حفاظا على الأعراض وانما أيضا حفظا للأنساب ، وترتيب الآثار عليها ، ولهذا جاء فى الحديث

الشريف :

" أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليسك من الله في شيء ،  
ولن يدخلها الله الجنة " . رواه أبو داود والنسائي وابن  
ماجة وصححه ابن حبان والحاكم .

وتخصيص المرأة هنا من أعلام النبوة لأن الشبهة الآن قائمة  
فيما لو أخذت بويضة غير الزوجة فلقحت بمنى الزوج ، ثم زرعت في  
رحم الزوجة ، وهذا ينطبق عليه الحديث نصا ، لأن كلتا المرأتين  
تكون قد أدخلت على قوم من ليس منهم !!

### وسيلة قديمة غريبة :

ولا يفوتنا في هذا المقام أن ننبه الى إحدى الوسائل الصناعية  
لحمل ، والتي كان يستخدمها الدجالون والسحرة من قديم ولاتزال تستعمل  
في الاوساط الجاهلة حتى في بلاد المسلمين !! وخلصتها أنهم يوهمون  
المرأة بقدرتهم على علاجها حتى تحمل ، ويحضرون لها في أثناء ذلك  
ما يسمى " بالصوفة " وهي قطعة من صوف الغنم ، تحتوى على منى رجل  
غير زوجها - وربما لاتعلم بذلك غالبا - ويطلبون منها أن تضعها  
في رحمها مدة معينة ، وربما كرروا ذلك في فترات متقاربة حتى تحمل  
فعلا سفاحا من " الحيوانات " المنيوية التي عاشت في حرارة الصوف ،  
وهي تظن أنه حمل طبيعي بواسطة العلاج !!

ولاشك أن العلم المادى اليوم قد فتح آفاقا جديدة في هذا  
المجال للإنسان ، فازال في اطار الشرعية الدينية كان خير وبركة على  
الناس ، والا عاد بهم الى شر من حياة الدجل والشعوذة ، وهذا هو السدى  
دفع كثيرا من المتدينين في العالم الى التوجس والريبة من نجاح تجارب  
التلقيح خارج الرحم ، وأغلب الظن ان هذه الظاهرة العلمية ستحوز  
اعجاب الجميع لو سلكت بالناس سبيلا مأمونا ، والتزمت خطا أخلاقيا قويا ،  
والله الهادى الى سواء السبيل .

### العلم وشبهه العلم (ج)

ويشرح الدكتور حسين محمد شويل زميل أمراض النساء والولادة  
من جامعة لندن ومدير عام مستشفى الولادة والاطفال بالرياض أسس فكسرة  
الحمل باستخدام الأنبوب فيقول :

من الناحية العلمية ، عندما يحدث حمل يكون الحيوان المنوى سليم والبويضة سليمة والأعضاء التناسلية سليمة ومفتوحة ، فإذا وجدت هذه العناصر الثلاثة فهناك قابلية للحمل ويحدث الحمل بمشيئة الله ، وأى عطل فى هذه العناصر الثلاثة معناه عدم حدوث الحمل .

والذى حدث فى تجربة طفل الأنبوب أنه غالبا مايكون الحيوان المنوى سليما الى حد ما ولكن عدده فى ماء الرجل قليل ، أو أن قدرته على الحياة أقل من القدرة العادية " متوسط عمر الحيوان المنوى ٧٢ ساعة فى جو ملائم له " فلو كان هذا الجو غير ملائم سواء من أثر الأفرات الأنثوية أو غير ذلك فمعناه أن تكون مدة حياته بسيطة وأقل من المتوسط ، وأيضا اذا كان هناك سد فى الطريق مثل عنق الرحم نتيجة ضيقه أو ان افرازاته من النوع السميك بحيث يصعب على الحيوان المنوى اختراقه ، أو نتيجة لانسداد فى أنبوب قناة فالوب وهى الموصلة بين الرحم والمبيض ، ومعنى ذلك أنه لن يصل الحيوان المنوى ليقابل البويضة فى الأنبوب على الرغم من أن هناك بويضة تفرز .

فى مثل هذه الحالات تأخذ البويضة وتتلقفها أجهزة ، ويحضر الحيوان المنوى فى وسط ملائم ويوضعها فى الأنبوب ويتم تعهدها حتى يتم التزاوج بقدرة الله بين الحيوان المنوى والبويضة ، ويتم الانقسام المنصف والتكاثر الى أن تصل الى درجة معقولة أى عندما تصل الى طور "العلاقة" وعندئذ تحمل الى الرحم وتزرع فيه . وفى هذه الأثناء يتم تحضير الأم من الناحية الهرمونية حتى يكون الغشاء المبطن لجدار الرحم به قابلية لتقبل العلاقة وتكوين الخلاص . وعندما تزرع العلاقة تكون محاطة بالأكياس الجنينية والتى يكون فى آخرها زغائب تستطيع أن تلتصق بالغشاء المبطن للرحم وتتكون المشيمة وتكمل طور النمو .

والعقم من الناحية العلمية حيث لاتفرز بويضة ، أو لا تفرز الحيوانات المنوية ، ويسمى العقم هنا STERILITY ولكن اذا كان يتم الافراز بشكل قليل جدا فمعنى ذلك انتفاء صفة العقم ، وهنا نبحث عن وسائل أخرى لايصال الحيوان المنوى الى البويضة وهى حالات شبه العقم ( INFERTILITY )

ولو كان هناك سد فى الحبل المنوى نتيجة لاصابة بمرض أو الوصلات ، فيمكن اجراء جراحة أو أن الحيوان المنوى يقف عند البروستاتا . فاذا ضمننا أن الرجل يفرز حيوانات منوية سليمة الى حد ما أو بها مرض معين ، حيث يمكن أن يمرض الحيوان المنوى ، أو يمرض الطريق الذى يمر فيه ، سواء عند الزوج أو الزوجة . اذا ما وجدت هذه الحالات . فيمكن الاستفادة من فكرة حمل الأنبوب أو الحمل الصناعى .

هذا ومن السابق لأوانه أن تكتشف نتائج وآثار هذه التجربة على نمو الأطفال فى مختلف مراحل حياتهم .

#### (د) دور قناة فالوب

اما الدكتور محمد عبدالهادى عثمان الأستاذ المساعد بكلية الطب بجامعة القاهرة والأخصائى بمستشفى الولادة والأطفال بالرياض فيشارك برأيه العلمى قائلا :

مشكلة شبه العقم من المشاكل التى تواجه كثيرا من المرضى ، ولقد شهدت السنوات الأخيرة تقدما ملموسا فى تشخيص وعلاج مثل هذه الحالات ، ولا زال العلم يضيف فى كل يوم جديدا .

وفى هذه الحالات تكون البداية الصحيحة هى التشخيص الدقيق وذلك يستلزم دراسة وافية للتاريخ المرضى وفحص دقيق لكل من الزوج والزوجة ثم اجراء مجموعة من الفحوص والتحليل لمعرفة سبب العقم ( عدم الانجاب )

وفى حالات شبه العقم الناتج عن قصور فى وظيفة المبيض فلقد أمكن فى السنوات الأخيرة تحقيق تقدم ملموس فى علاج هذه الحالات عن طريق استخدام عقار الاخصاب وهى عبارة عن هرمونات منبهة للمبيض ولا يجب استعمالها الا تحت الاشراف الطبى الدقيق تفاديا لحدوث مضاعفات .

أما فى حالات شبه العقم الناشئ عن انسداد قناة فالوب فان ذلك من المشكلات التى أمكن احراز تقدم ملموس فى تشخيصها عن طريق تصوير الرحم بالاشعة والمنظار البطنى ، الا أن التقدم فى مجال علاج مثل هذه الحالات يسير بخطى بطيئة .

ومن الجدير بالذكر أن قناة فالوب تلعب دورا حيويا فى التقاط البويضة بعد خروجها من المبيض ثم عملية نقل البويضة والحيوان المنوى ثم عملية التلقيح ثم عمليات الانقسام والنمو للبويضة الملقحة . كل هذه المراحل تتم داخل قناة فالوب مما يستلزم أن تودى دورها ليس فقط لكونها مفتوحة أو مسدودة بل لسلامة الغشاء المبطن لها ولسلامة الافرازات الناشئة منها والتى تغذى هذه الأطوار .

وفى حالات انسداد قناة فالوب فلقد كان العلاج التقليدى هو محاولة فتحها عن طريق النفخ أو الاشعة القصيرة أو حقن بعض الأدوية عن طريق الرحم .



سوف يكون لها آثارها البعيدة في الحد من اختلاف الآراء الذي يقود الى البلبلة .. وضياح الحقيقة مما قد يؤدي الى الانحراف عن طريق شريعتنا الاسلامية الكاملة لاسمح الله .

وتبقى الدعوة أمانة في عنق علماء المسلمين الذين يقومون بالتوجيه والارشاد .. وأمنية كل مسلم أن يجدوا الأجوبة الصحيحة والفتاوى الصادقة الجماعية لكل ما يمت الى دينهم ودنياهم بصلة خاصة في قضايا العلم الحديث ومكتشفاته .

## ثانيا : الزاوية الأسبوعية : الانسان والطب :

كان من فضل الله على كاتب هذا البحث أن وفقه لاداء بعض حق الدعوة الاسلامية ، على قدر علمه المحدود ، وجهده القليل . وقد نشرت العديد من المقالات مزجت فيها بين الدعوة الاسلامية والتوعية الصحية ، وانتهيت الى زاوية اسبوعية أشرف على تحريرها في جريدة " الرياض " بعنوان ( الانسان والطب ) (١) وسنختار هنا بعض نماذج منها .

حكمة التحريم : - ويصلح نموذجا في استخدام الطب لاثبات أحكام الشريعة ، وقد نشر بنفس الزاوية المذكورة بجريدة الرياض في حلقتين بتاريخ ١٤٠١/٦/١١ ، ١٨ /٦ / ١٤٠١ هـ وهذا نص الحلقة الأولى :

سألني صديقي الحبيب .. وهو عريس شاب في مقتبل العمر .. من السبب في النهي عن الجماع في فترة الحيض .. !! قلت قال تعالى " ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين " صدق الله العظيم . ( سورة البقرة : ٢٢٢ ) .

يسميه البعض .. المرض الشهري .. وهو كذلك فعلا بالنسبة للأنثى .. !! احتقان .. وتورم .. وانقباض .. ثم سيلان دم من الرحم الى المهبل .. محمل بالجراثيم .. فالدم هو خير مزرعة للجراثيم ويستخدم لزراعتها فعلا في المختبرات والمعامل .

(١) كبرى الجرائد اليومية التي تصدر بالمملكة العربية السعودية وتحمل اسم عاصمتها التي تصدر فيها - وهذه الزاوية تنشر كل يوم ثلاثاء الآن .

أيام عديدة .. ذلك فى المرأة الصحيحة السليمة تماما .. فبعض النساء يقاسين آلاما حقيقية حتى ليلازمن الفراش .. وقد لاتفلح المسكنات ، وقد يحتاج الأمر الى اجراء الجراحة .. وهو شئ مزعج على الأقل .. !! .

ولو شبهناه للرجال بالأنفلونزا .. بدون ارتفاع فى درجة الحرارة .. بل رشح فقط وزكام .. !! فانظر كيف يكون الأنف متورما .. والحلق محتقنا والصداع .. وآلام المفاصل .. والعطس والازعاج .. !! ثم أيضا لاعلاج ..! الا الراحة وبعض المسكنات .. ثم لامناص من أيام صعبة على كل حال .. !! . ذلك هو الحال .. وفى هذه الأعضاء الحساسة .. الحيوية !! ولا وقاية .... ولا علاج .. ولا راحة ولا اجازة مرضية الا فى أسوأ الحالات ..! أففى الى ذلك الخجل .. والبلل .. والتوتر .. والاكتئاب .

والمهبل الطبيعى ذو وسط حمضى خفيف لايساعد على تكاثر الجراثيم !! ينقلب ذلك الى التفاعل القلوى بوجود الدم .. ويساعد ذلك على تكاثر الجراثيم !! ولدم الطمث صفات خاصة .. بل رائحة خاصة !! والمرأة فى أثناء ذلك قليلة القابلية للمداعبة الجنسية .. بل بالأحرى هى منقبضة تشعر بالانطواء والقرف .. وتعمل دائما على ازالة اشار الدماء عن نفسها بقدر المستطاع .. لأن تركها تتراكم يساعد اكثر على الالتهاب لتكاثر الجراثيم وازدياد الرطوبة فى مكان حساس محصور محتقن ..!! .

فى هذه الحالة .. يقترب منها الرجل .. متهيجا .. أفلا يصبر أياما؟ لن تكون راضية .. بل راضخة .. متألمة .. متألمة .. متأذية .. وقد تسرى اليه الأمراض من مزرعة الجراثيم .. !! .

ولن يحدث الحمل أبدا .. ان كان ذلك مرغوبا ومطلوبا .. !! فالطمث هو انقراض جدار الرحم المنهدم .. ذلك اذن اهدار لرجولته .. ولأنوشتها ..!! دناءة منه .. واحتقار لها .. !! ليس الا استغراغا .. لشهوة بهيمية ... لن يعقبها راحة واسترخاء .. !! بل ارهاق .. وانزعاج .. وصغار .. واشمئزاز .

وعلى العكس ان صبر قليلا .. فاشتاق كثيرا .. وهى .. !! حينئذ ... يكون الحلال .. والراحة .. والسكينة .. وتمام النعمة .. !!

قلت يا صديقى .. وكذلك الأمر فى الطعام .. أليس لحم الخنزير حراما على المسلمين .. حتى أن مسلمى الصين يعدون اكله مارقا عن الدين لامرتكبا للحرام فحسب !! والله أنه لأبلد المخلوقات .. ولحمه من أعقد البروتينات .. وله دودة شريطية لاتسكن الا فيه .. وعلاجها صعب .. ومضاعفاتها خطيرة .. !! .

وفى لحم الخنزير نسبة كبيرة من حامض البوليك الضار .. لذلك تكثر  
فى أكله الأمراض الروماتيزمية العويصة .. كالنقرس وغيره . ويقال  
فى لحم الخنزير قول مقنع .. يقولون أن فيه خاصية تمنع الحمية والغيرة  
على العرض والشرف .. !! ودليل ذلك مانراه فى الشعوب التى تحسب  
لحمه من تهاون عجيب وتفريط .. حتى يتناكحون كالبهائم .. ولا يهتم  
الرجل بزوجه .. أو أبنته .. أن كان لها صديق .. أو رفيق .. !!  
بل أصبح الرجال يتزاجون رسميا .. وفيهم اللواط والشذوذ يمارسونه  
ملنا .. فى منتديات .. شئ عادى لا يثير اشمزازا ولا نفورا .. !! -  
والمعروف من الخنزير أن له طبيعة خاصة فى هذه الناحية بالذات .. عارية  
من الحياء والحمية والغيرة .. بالمرءة .. !! بل يقال أنه يكون فى  
سرور ظاهر حين ينكح أنثاه خنزير آخر أمامه .. وهكذا خنازير البشر ..!  
دع عنك غرامه بالمزابل والقاذورات .. !!

وتحريم أكل الدم .. صحيح أنه بروتين غنى .. وحديد .. !! ولكن  
أيضا كل السموم .. وخلصات فضلات احتراق الطعام التى تتولى الكبد الحية  
معادلتها .. لتفرزها الكلية بعد ذلك فى صورة البول .. والأمعاء على  
هيئة الفاظ .. والجلد على شكل العرق .. !! .

فأى عاقل يأكل الشهد .. وأشهى اللحوم .. معجونة بالبول  
والبراز والعرق .. ؟؟ فضلا عن الجراثيم والفيروسات والطفيليات  
السابحة فى الدم .. وقد لا يؤثر فيها التعقيم والطبخ .. !! وإنما هو  
استغلال بعض معدومي الضمير .. ممن لا اخلاق لهم ولا دين .. فى الغرب ..  
يصبغونه ويبيعونه للفقراء فى أيامنا هذه .. فيأكلونه جوعا وجهلا ..  
ولو كان طعاما للحيوان وعلفا .. لكان جائزا نوعا .. ولو كان سمادا  
للأرض .. ؟ ولكن .. أنى تؤفكون .. !!! .

قال نعم يا صديقى .. وذلك ما فهمناه من حكمة التحريم لهذه  
الأشياء .. واننى أعتقد أن فى الحلال البين والحرام البين بالنص ..  
حكما كثيرة لا يعلمها الا هو سبحانه وتعالى .. ومن ذا الذى يدعى أنه  
قد تعلم حتى لم يبق شئ لا يعرفه .. بل " لا يحيطون بشئ من علمه الا بما  
شاء " فلماذا نترك يقيين ما عندنا من الحق .. الى ما عندهم من الشك  
والشبهة .. أليس ذلك ما يسمونه مركب النقص .. وهو نوع من العقد النفسية  
المنتشرة فى أيامنا تلك لنقص بالايمان .

" ربنا لاترغ قلوبنا بعد ان هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة .. " (١)

(١) سورة آل عمران : ٨

(\*) وقد نشرت مقالة تمثل الحلقة الثانية تحت هذا العنوان أيضا

بتاريخ ١٤٠١/٦/١٨ هـ .



وهذا ملخص موجز لبعض مانشر بزائوية الانسان والطب :

## (١) الطامة والطبيعة (١):

لم تشغل قضية يتداخل فيها علم الاجتماع والطب والدين والسياسة والكياسة - الرأى العام الانسانى - وتختلف فيها الآراء وتتفارب - مثل قضية تنظيم النسل .

كان من وراثها رواج الأفكار المادية وشيوع الالحاد الناتج عن الافتتان بشمرات التقدم العلمى الباهرة .

ظهرت الثمار فى القرن الحالى ، فتزايد عدد الفقراء والأقـل ثقافة ، وتناقص عدد الأغنياء المثقفين - وتزايد الشيـوخ وتناقص الشباب - والثالثة كانت احجام الشباب عن الزواج واقبالهم على الزنا فاجتاحتهم الأمراض - وأصبحت الأمم المتقدمة معرضة للانقراض .

وفى بحث علمى حديث - ثبت أن الرضاعة الطبيعية وسيلة فعالة لمنع الحمل وخاصة بالنسبة للفقراء حين ينقص الغذاء المتاح للأم المرفح فيزيد هورمون البرولاكتين من الغدة النخامية فيزيـد افراز اللبن ، وفى نفس الوقت يقل احتمال التبويض وبالتالي الخصوبة مؤقتا .

كان تحليل الانجليز معتمدا على نظرية النشوء والارتقاء - فرضيا .

ختمت المقال بقولى "ليس الحل فى تحديد النسل وانما فى عدالة التوزيع فى التكافل الاجتماعى الاسلامى الذى لايحل لامرئ أن ينام شعبان وجاره جائع وهو يعرف . وعندنا - قال تعالى - " والوالدات يرفعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لا تكلف نفسا الا وسعها ، لا تضار والدة بولدها ، ولا مولود له بولده " (٢) صدق الله العظيم (٣) .

---

(١) نعى بالطبيعة الفطرة التى خلق الله الأشياء عليها .

(٢) سورة البقرة : ٢٣٣

(٣) نشرت بجريدة الرياض بتاريخ ٧ / ٥ / ١٤٠٢ هـ

## (٢) النفس المطفئة :

قال ان العلاج النفسى نوع من الدجل والشعوذة .. !!  
قلت كيف ينتشر عندهم اذن وهم لا يؤمنون الا بما تثبت التجارب العلمية  
جدواه .. ؟؟ قال اننى اعتقد أن الرقص الافرنجى والزار المصرى  
والرقصات الزنجية هى أيضا نوع من العلاج النفسى .. !!

قلت وأضيف الى ذلك أننى أعتقد فى جدوى الرقى والأذكار والدعاء  
والتعاويذ - مادامت لاشرک فيها - ولا وثنیة اعتقادية أو فعلیة .. !!

وفى نفس الوقت لايتنافى العلاج الطبى مع الحاجة  
للترويح النفسى !! وقد اثبتت التجارب أخيرا .. أن الجسم يفرز مادة  
ذات تأثير مسکن قوى المفعول حتى سموها ( المورفين الداخلى ) ، ويفرز  
مضادات للحساسية - لذلك يختلف الناس فى درجة احساسهم بالألم  
وتعرضهم لنوبات الحساسية ولو كانوا ذوى قربى .

وان اعتقاد الانسان بشئ ما - يساعده حتما ، ولعل هذا  
من اسرار انتفاع البدائيين بطقوس السحرة والمشعبدین .

وضربت مثلا بالعاقر التى تقيم حفلا للزار تسترضى به العفارىت بعد  
أن تتعب من التردد على الأطباء - ان هذه لو آمنت بالله يقينا لعلمت  
أنه سبحانه وتعالى غالب على أمره .. ولكن أكثر الناس لايعلمون .

وحين كان الايمان واضحا فى الأذهان كان الناس يستعينون  
بالصبر والذكر والدعاء والملا .. والمدة - ولكن - فى عهود الفقر  
والانحطاط كانوا يهملون الدواء ، وحین انتشر العلم كالضياء أعشى  
الأبصار فارتكن اليه الناس وتركوا الاستعانة بالله كلية .. !!

وقلت ان العلماء الآن قد ادركوا أن الطفرة التقنية التى نعاصرها  
قد بدأت تلوح نذر الخطرمنها ، وأدركوا قوله سبحانه " وما أوتيتهم  
من العلم الا قليلا " سورة الاسراء ٨٥

فهل نستعين بالله أولا .. ثم بالعلم .. فىأتى الفرج (١)؟؟

والحقيقة أن زاويتي هذه يمكن اعتبارها زاوية " للدموة الاسلامية من خلال الطب والشرعية الصحية في أغلب مقالاتها ، وكذلك في أى تحقيق صحفى سواء في الرياض أو في غيرها - منذ سنوات تكون الصبغة الاسلامية غالبية باذن الله - وكل اناء ينضح بما فيه ، وهذا مايجعلنا ننادى دائما بوجوب تربية أبنائنا وأجيالنا على أسس اسلامية نقية حتى يكونوا في تخصصاتهم المتعددة صورة حية للاسلام ، ويقدموا للناس شيئا جديدا ينقذهم مما هم فيه من حيرة واختلال ، وليخرجوا الناس من الظلمات الى النور بإذن ربهم .

### الغزو اللسانى والطبى لأفريقيا المسلمة :

أفريقيا في نظر الغرب هي أفريقيا المسلمة وهي القارة الوحيدة التى يتكون أغلب سكانها من المسلمين ، ولأن اللسان مرآة الحضارة ومفتاحها . واللغة وسيلة نشر الثقافة . وقد أعدت منظمة اليونسكو التى يسيطر عليها الأوروبيون مشروعا يسمى " مسح السنة شرق أفريقيا وتعليمها " واتجهت الى وضع أبجدية لاتينية اللهجات الافريقية وكان أن قرر وزراء التربية العرب فى مؤتمر لهم رفع مذكرة لليونسكو تطلب فيها أن تكون العربية فى مقدمة الألسنة التى تستعمل فى وضع ابجديات اللهجات الافريقية .

وجاء فى تقارير دراسات هذا المشروع حقيقة غريبة ليس لها نظير تنفرد بها أفريقيا فى العالم الثالث كله . . . . . وهى كثرة عدد الأطباء الأجانب وأكثرهم تابعون لارساليات التبشير . . فمن ٣٠ دولة أفريقية - منها ١٣ دولة (سكانها ٤٤ مليونا ) يبلغ عدد الأطباء الأجانب والمبشرين فيها ٧٥ ٪ من كل أطبائها ، وفى ٨ دول ( سكانها ٩٣ مليونا ) نصف عدد أطبائها من الأجانب والمبشرين . (١)

من ذلك نرى كيف أن الصحافة الاسلامية الملتزمة بنشرها الحقائق من خلال النظرة الاسلامية - يمكن أن تبين للقراء هول ما يحاك فى الظلام ، وبالتعتيم الاعلامى - اما بالقصد وسوء النية ، واما بالجهل والسطحية - لامة الاسلام من شر والعياذ بالله .

---

(١) من مقال للدكتور / محمد محمود غالى نشر بمجلة الدعوة المصرية العدد بتاريخ / /

## المبحث الثانى

### منى التلفاز

المرئى .. هذا الجهاز العجيب .. الذى نقل أحداث العالم ، وأفكار الشرق والغرب الى كل بيت .. ودخل على الناس غرف نومهم - ويساعده فى ذلك الآن جهاز تسجيل المرئى ( الفيديو ) - وتتزايد خطورته على الأيام - بالنقل عبر الأقمار الصناعية - وفى يوم قريب سيكون بإمكان كل شخص أن يسمع ويشاهد ماتبته هذه الأداة من أى مكان فى العالم .. بلا حدود ولا قيود - الا ذات الانسان بما فيها من عقل وضمير ، ومراقبة لله تعالى ، لذلك كان من الضرورى أن يسارع المسلمون الى الأخذ بنصيحتهم منه كأداة فعالة - يحسنون استخدامها لتثبيت القلوب على الايمان بجلال الخالق سبحانه وتعالى وبيان آلائه وآياته فى الخلق .

ومن الأمثلة المشهورة لاستخدامه فى خدمة الدعوة عن طريق الطب برنامج الدكتور ( الطبيب ) مصطفى محمود - الذى يذاع فى عديد من بلاد الاسلام باسم ( العلم والايمان ) - وهو باعتباره طبيباً وكاتباً ومفكراً - بدأ عمله فى الصحافة (١) ونجح فى استخدام الحقائق العلمية والطبية فى الدعوة الى الله تعالى .

كما يظهر فى برنامجه الذى يظهر اسبوعياً يوم الجمعة حول صلاة المغرب بالتلفاز السعودى ، كما أنه قد وفق لبناء مسجد كبير ملحق به عيادات طبية ومدرسة متنامية - على مستوى جيد - فى أحد أحياء القاهرة (٢) الراقية . وقد عرفت الدكتور مصطفى محمود فى العام الماضى حين قابلته وتجولت معه عقب صلاة الجمعة فى مسجد محمود هذا - والحقيقة أنه قد أعجبتنى نظافة المكان ، وحسن ترتيبه ، وكثرة رواده ، وجلهم من المثقفين والمثقفات وطلاب الجامعات واساتذتها ، وقد علمت منه أنه يقوم بخطبة الجمعة بنفسه أحيانا - أو أن واحداً من العلماء يقوم بها - وما سمعته

---

(١) هو طبيب مصرى معاصر غلب عليه الاشتغال بالأدب والفكر وألف عديداً من الكتب ، فضلا عن اشتغاله بالصحافة والبرامج الإذاعية المرئية والمسموعة . وقد بدأ حياته موعلاً فى الالحاد والبعد عن الدين ، ثم هداه الله تعالى فعاد الى الايمان وأنفق وقتاً وجهداً كبيراً وما يزال فى الدعوة الى الاسلام وبيان عظمة الخالق سبحانه وتعالى . وان كانت له أغلاط علمية شديدة نسال الله أن يهديه فيها الى الصواب .

(٢) ميدان العروبة - بالدقى - بالقاهرة .

يومها كان حسنا ، ولو تكرر مثل ذلك فى عواصم ديار الاسلام لكان خيرا ان شاء الله تعالى ... اذ أن قيام المسجد وجواره العيادة الطبية ودار الحضانة ومدرسة الأطفال فى مكان واحد - محاطا بحديقة - يعيد للرواد المعاصرين ارتباطهم بدار العبادة التى يجدون فى ظلها الخدمات الحيوية التى تتطلبها حياتهم المعاصرة فى القرن العشرين .. وتجعل بيت الله - عامرا دائما - تهفو القلوب اليه - لأنه يحقق للانسان مصالح الدين والدنيا معا .

وبعد هذه المقدمة عن صاحب البرنامج ورحلته من الشك الى الايمان التى جعلته عارفا بمسالك النفس البشرية ومزالق الشيطان - نورد مثالا عن حلقة أخيرة اذيعت فى يوم الجمعة ١٤٠١/٨/١٧ هـ فى التلفاز السعودى .

وقد تناول الدكتور مصطفى الذى يظهر دائما فى لباس أنيق غير متكلف - موضوعا شديدا حساسية بمهارة وذكاء - كان الموضوع عن " التناسل فى الطبيعة " - وكيف أن تلك الوظيفة الطبيعية الفطرية الضرورية لآعمار الكون - فيها من الحكمة البادية لمن يتأمل حقائقها - مايقطع بوجود مدبر خالق حكيم من ورائها - وليس الصدفة والتطور كما يدعى الكافرون ... ان يقولون الا كذبا وبهتاناً .

والشريط الملون أمام النظارة - يعرض أعضاء التناسل فى النبات - وفى الزهور بالذات - وأنواعها وألوانها - والدكتور مصطفى يشرح ويعلق قائلا ان الشذى والريح والوضوح والألوان الزاهية كلها أدوات لجذب الحشرات التى هى سبيل نقلحبوب اللقاح من الأزهار المذكرة الى المؤنثة - وأن النباتات التى تعتمد على الريح فى التلقيح - كقوله تعالى " وأرسلنا الرياح لواءح .. " (١) تكون خفيفة سهلة التطاير وقد تكون مجنحة ذات أهداب - أما الأخرى فانها تكون لزجة كى تلتصق بالحشرات - بل أن بعض هذه الحشرات تجتذبها أنواع معينة من الزهور والنباتات وتكون الموائمة والملائمة بين الزهرة والحشرة بشكل لايمكن الا أن يدل على أن وراء الفطرة هداية وتدبيراً - ذلك ، ويقارن الوضع فى الحيوان والانسان فيقول أنها - نه أى أعضاء التناسل - تتميز بالقباحة وتجدها مخفاة عن الأعين - ذلك لأن التكاثر فى الحيوان تصحبه شهوة وكذلك فى الانسان وتصحبه جنابة - لذلك جعلها الله سبحانه وتعالى هكذا قبيحة شكلا ورائحة ومخفاة - بعكس

---

(١) سورة الحجر آية : ٢٢

ماهى فى النبات ظاهرة جميلة جذابة شكلا وشذى وطعما ، لكى تكون مائدة شهية تدعو واسطة التكاثر وهى الحشرات للقيام بوظيفة التلقيح التى لاحظ للنبات فيها من شهوة أو رغبة جامحة - كما هى فى الانسان محدودة بالمحاذير وعورة تستحق المحافظة .

وأشار الدكتور مصطفى أيضا الى ( الحكمة الالهية ) التى جعلت من أعضاء التذكير فى النبات أطول وأظهر من أعضاء التأنث وفى الزهور التى تحمل كلا من العضوين يكون ظهور هذه الأعضاء الذكرية قبل الأنثوية - بما يشجع على حمل حبوب اللقاح منها الى نباتات أخرى - وبذلك كسان احتمال التزاوج الذاتى قليلا - وهو مايساعد على بقاء النوع وقوة النسل. ولذلك كان تحريم زواج الأخوات - ومن هنا جاء الأثر الإسلامى " أهترهبوا لا تفشوا " (١) .. وهو ما أثبتته العلم الحديث من أن تزاوج الغرباء ينتج نسلا أقوى من تزاوج الأقارب ومن ذلك ما جاء فى الأثر " بنات العم أصبر والغريبات أنجب " - ولذلك تعمل اللقاحات بزرع الجراثيم من سلالة واحدة حتى تضعف وتتهافت فيتم تطعيم الانسان أو الحيوان بجرعات صغيرة منها يسهل على الجسم مقاومتها وافراز مضادات لها وهكذا يكتسب الجسم المناعة ضد الجراثيم الغازية من الخارج التى لو لم يكتسب الجسم المناعة لها لسببت له الضرر الجسيم .

ويخلص الدكتور الى أن هذا التدبير المحكم - لايمكن أن يكون اعتباطيا بل هو من " صنع الله " الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .. سبحانه وتعالى عما يشركون .

ويقول - أنه لذلك كانت العبادة والشكر شيئا بديها عند ذوى الفطرة السليمة .

كما أن الشكر واجب على من يؤدى خدمة ما لانسان ذى احساس - وغير ذلك بلادة وجحود - لذلك هى فريضة يؤدىها أهل الغلظة انصياعا لأمر مالك الملك ، أما أهل الرقة والاحساس فانهم يؤدون العبادات شكرا لله ومع ذلك يحسون دائما بأنه - ( وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ) (٢) ... حقا - لذلك تجدهم دائما فى كل حركة وعمل هم فى عبادة دائمة وشكر دائم على نعم الرحمن الرحيم التى لاتحصى .

---

(١) تفشوا من الاضواء أى الضعف والهزال .

(٢) سورة النحل ١٨

ويذكر الدكتور أيضا بأن فاكهة الصيف كالبطيخ والشمام تحتوى على الماء وتروى العطش . وفاكهة الشتاء تساعد على الوقاية من نزلات البرد كالحمضيات - وهذه توعية صحية . ولفت نظر السى آلاء الله سبحانه وتعالى - تأتى فى السياق صادرة من القلب العارف فتدخل الى قلوب المشاهدين وتؤثر فيها وتبقى .

ويذكر قوله تعالى " ومن كل شيء خلقنا زوجين " (١) بأن الازدواج كما كشفت عنه العلوم الحديثة موجود فى كل شئ فعلا .. فى الكهرباء والمغناطيسية والذرة والكيمياء العضوية كما هو فى الاحياء .. فسبحان العليم الخبير .

ويقول الدكتور مصطفى محمود - أن الأدب الى عهد قريب كان بحثا - يتناول المجتمع وقضاياها وعواطف الانسان ومشاكله - حتى أن روايات ه . ج . ويلز كانت معدودة من أدب الخرافة العلمية Science fiction - ولكن الاتجاه قد تغير الآن كما هو ملاحظ بوضوح حتى فى مسلسلات الكارتون للأطفال - الى غزو الفضاء وأعماق البحار والكواكب - ومايمكن أن يحدث من نشوء مخلوقات مسيخة بعد الحرب العالمية ، أو ورودها الى كوكبنا من العالم الخارجى وهكذا .

كل ذلك وأكثر منه تعرض له الدكتور مصطفى محمود فى حلقة واحدة فى نصف ساعة - يتشوق الانسان العادى لرؤيتها ولا يمل من عرض الزهور والطبيعة الحية الملونة التى يساعد التصوير البطئ والعادى ، والتعليق العلمى المؤ من على شرح ماخفى عنه من دقائق الحكمة الربانية ويثبت قلوب المؤ منين ، وقد ساعده على ذلك كونه طبيبا يستخدم المعلومات الطبية ، والحقائق العلمية فى مواضعها المناسبة والمؤثرة .

من ذلك العرض الموجز - يتبين لنا كيف يمكن استخدام المرئى من قبل الطبيب المؤ من - لتوضيح آيات الله فى الكون كله .

ويتبين ذلك بوضوح حين يستضيف أحد معدى البرامج من المرئى طبيبا ما - سواء كان مسلما أو نصرانيا - عربيا أو أعجميا ، يتضح

جليا كيف أن كل اناء ينضح بما فيه مهماتكلف المرء ومهما كان محتاطا .

وقد كان الزميل الأستاذ " زهير السباعي " يشرف على برنامج اسبوعي في المرثى السعودي ويتناول فيه مختلف الأمراض ، ويقوم من خلاله بتوعية المشاهدين مستعينا بشرائط علمية أو صور توضيحية - ولكن نظرا لما يمتاز به من خلق اسلامي فقد كان يساهم في تثبيت الايمان وتعميقه عند جمهور المستمعين عن طريق الحقائق الطبية ، وعرضها في اطار الايمان بالله تعالى ومن خلال أحكام الشريعة الحكيمة .

ولاجدال أن الوعي بالمحنة التي تمر فيها الدعوة الاسلامية فسى هذه الآونة لدى القائمين على الاشراف على الارسال المرثى ، تجعلهم أكثر احتياطا في انتقاء البرامج جميعا لتعمل على رفع الروح المعنوية للأمة في مواجهة التحديات ، وتعميق مفاهيمها الصحيحة .

استطلاع طبي :  
ومن الخطوات في الاتجاه الصحيح دراسة استطلاع للرأى قامت بها " مؤسسة الانتاج البرامجى المشترك لدول الخليج العربى " حول أهداف برنامج الارشاد الصحى فى دول الخليج العربى - فيما يلى موجز النشرة وبيان الأهداف المقترحة لتقويمها بواسطة الأطباء المختصين .

وقد صلب هذا توجيه كتاب به نحو ٤٥ موضوعا طبيا مقترحاً لتقويمها واعطاء الرأى فيها .

وهذه الموضوعات متعددة ما بين موضوعات طبية عامة ، وموضوعات طبية تتصل بالاسلام ، ودعوته ، من الناحية التاريخية أو التشريعية ومن أمثلة ذلك :-

#### ٠١ ( عامة ) :

- النظافة .
- الصحة النفسية - ( للكبار - للصغار ) .
- مراجعة الطبيب متى وكيف ولماذا ؟
- التعامل مع الدواء .. ترشيد استعمال العقاقير الطبية .

#### ٠٢ ( اسلامية ) :

- عرض سير علماء الطب المسلمين والعرب لاعطاء المشاهدين ثقة بجهود الأطباء العرب أمس واليوم .
- عرض وسائل الوقاية قديما وحديثا ، ابتداء من أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ( حذر من الاقتراب من المجدومين ) وحتى يومنا هذا .
- التركيز على التعاليم الصحية التي أكدها الدين الاسلامى .
- التأكيد على حكمة الوضوء والحكمة الربانية من وراء ( النظافة الدائمة ) .



وقد اقترحت عليهم مزج الحديث الطبى بالناحية الدينية لأنها  
باعث مؤثر فى نفوس الناس فيستجيبون لذلك ، وعلى سبيل المثال  
لو ناشدتهم نظافة ثيابهم ، أو مدينتهم ، بدافع الوطنية ، أو القومية - لن  
يستجيب الا القليل لكن بعد مزج ذلك بأنه تكليف دينى ، وأن النظافة  
من الايمان لاستجاب الكثيرون . ومثل ذلك الحديث عن الخمر ونحوه .

—————

ولقد بعثنا الى المؤسسة بالرد على هذا الاستطلاع ، وكان  
الرأى العام يدعو لجعل الوعى الاسلامى كامنا فى كل ماتتقدم به المؤسسة  
من برامج - ونسأل الله أن يكلل جهود العاملين المخلصين فى مجال  
الاعلام بالذات بالتوفيق والنجاح بغضل الله .

## المبحث الثالث

### فى الادامسة

الاذاعة اللاسلكية وسيلة اعلامية خطيرة أيضا ، وبخاصة بعد اختراع المذياع الصغير " الترانزيستور " .. والذي يعمل بالبطارية - فهى ترافق المسافر والحاضر والبادى - ويصل ارسالها الى مدى بعيد عبر الاقطار والبحار ولا تحتاج الى جهاز غال معقد كالمرئى .. وبلمسة اصبع ينتقل سمع المرء بين الاقطار والالسنه واللهجات والآراء المتضادة المتعارضة .

كما أن البث الاذاعى القوي أقل تكلفة من البث المرئى - لذلك كان من السهل على جماعة من الناس - فما بالك بالحكومات والدول - أن تنشئ محطات اذاعية عديدة ، وبلغات ولهجات عديدة ، موجهة الى مختلف أنواع واجناس البشر .

وقد كانت لى - ولله الحمد والمنه - تجربة فى المجال الاذاعى باللغة العربية ضيفا فى عدة برامج كندوة الأسبوع وطبيب الادامسة ولقاءات اسلامية - وباللغة الانجليزية فى مقابلة الأسبوع " THIS WEEKS INTERVIEW " وفى برنامج صانعى الأنباء " NEWS MAKERS " وفى برنامج كنت أقوم باعداده كاملا وتسجيله والدعوة اليه اسبوعيا - بل اننى بفضل الله تعالى قد أنشأت باسم الانسان والطب " MAN AND MEDICINE " واستمر ثلاث دورات اذاعية - ثم لم أستطع الاستمرار فيه لما يتطلبه ذلك من جهد كبير فى الاعداد وحجز أماكن التسجيل وتدبير مواعيد الضيوف الى غير ذلك من تفاصيل يعرفها معدو البرامج اذاعية ومقدموها فى نفس الوقت - ولست متفرغا لذلك أيضا .

وقد تناولت بفضل الله سبحانه وتعالى - بالاضافة الى التعريف بالخدمات الصحية المتاحة للأجانب فى بلادنا - والاحتياجات الواجبة عليهم بالنسبة لاختلاف الجو والبيئة - التعريف بعلماء الاسلام من الأطباء العظماء فى عدة حلقات استضافت فى بعض منهنها أستاذ الجراحة الانجليزى المستشرق " بروفييسور مالونسى "

الذى عمل بكلية الطب ههنا أول أنشائها - واستضفت أيضا " بوب كيرى " أستاذ اللغات الشرقية - والمحاضر بكلية العلوم السياسية فى ذلك الوقت عدة مرات - وتناقشت معه فى موضوع نشأة الانسان وكان يدافع بحرارة عن نظرية " داروين " ويعتقد جازما أن الزنوج هم بين القرد والانسان - حتى أنه أهدانى كتابا يحلل فيه مؤلفه نظرية التطور من خلال مناقشة علمية لتشابه عمل الاخراج البولى من أحط الكائنات الى أرقاها (1) واسمه " من السمكة الى الفيلسوف " "FROM FISH TO PHILOSOPHER" ودعوته مرة الى بيتى على سهرة امتدت حتى بعد منتصف الليل محاولا اقناعه بأن مايعتقده باطل مدحوض - والدليل أنه توجد قردة صفراء وشقراء فهل هذه قد تطور منها الانسان الأصفر أو الابيض؟ وأيضا لماذا توقف التطور منذ بداية التاريخ المكتوب .. ولم يتطور زنجى واحد الى انسان أبيض أيضا .. ولم يتحول جنس من الحيوان الى جنس آخر بالرغم من المحاولات العلمية والتوليفية الكثيفة وكانت ردوده كلها متهافئة - وأديعت هذه الحلقات جميعا - وقد تولى بعد ذلك وحيدا فى بيته بالدرعية ومادل عليه الا رائحة العفن تفوح من بيته ولا حول ولا قوة الا بالله .

---

(1) ويعتمد ذلك على أن التخلص من النفايات البروتينية قاعدته العامة تحويلها الى أملاح أقل فى كثافتها النوعية من جزيئات البروتين الكبيرة صعبة الذوبان فى الماء وبذلك وحين يزداد تركيزها داخل الخلية الحية يدخل الماء عبر جدار الخلية نتيجة للضغط الأوزموزى ويعمل وسائط انزيمية وهورمونية لا ارادية يتم التحكم تلقائيا فى افراز الماء والمواد الذائبة فيه لحفظ البيئة الداخلية للكائن الحى فى أنسب الظروف من ناحية التفاعل والمكونات الكيميائية .

ونعرض فيما يلي نماذج باختصار سبقت اذاعتها من الاذاعة السعودية :

نموذج لحلقة من برنامج **الانسان والطب** MAN AND MEDICINE  
بعنوان " عادات الهيببيين " " HIPPY'S HABBITS "

\* كان ضيوف البرنامج " أ.د. نبيل الجوردي " رئيس قسم الاعلام  
بكلية الآداب - بجامعة الامارات العربية المتحدة وهو أمريكي  
الجنسية لبناني الأصل .

\* أ.د. بوب كيـرى - المذكور سابقا -

وبدأت الندوة بذكر طغيان المادية الحديثة في الغرب وجبـسـروت  
المؤسسات الاقتصادية والشركات والمصانع وتسارع ايـقاع حركة  
الحياة حتى أن الناس أصبحت تتركب الطائفة الأسرع من الصوت والسيارة  
السريعة الفاخرة - وتتململ وتفرض أظافرها قلقا خشية فوات موعد  
يترتب عليه مصلحة متوقعة أو لذة مأمولة - قلت كطبيب بل قد  
يزداد إفراز حامض المعدة حتى ينخر جدارها فيصاب المريض بالقرحة  
أو انه نتيجة للتوتر يزداد نشاط العصب الحائر فيسبب ضيق شرايين  
القلب ومن ثم قد يورث الذبحة . وانتقل الحديث الى القول بأن  
الشباب اليوم يشعر بالاجدوى تجاه التعليم والعمل ومن ثم يهرب  
الى الفوضى واللامبالاة ويندمج في جماعات تفتت من السرقة أو التسول  
أو يعتمد على ما يحصل عليه من الآباء والأقارب بالضغط والارهاب لينفقه  
على الخمر والمخدرات والعلاقات الجنسية البهيمية . قلت أما الخمر  
فهى كالمسموم وذلك هم يعرفونه لأنه لا يحتاج الى كثير شرح أو توضيح  
وأما عن التسبب الجنسي فيكفى أن نذكر بخطر الأمراض التناسلية  
كالزهري والسلان والقرحة الرخوة ومضاعفاتها - ثم أن الانطبـاع  
الخاطئ عن فعالية المضادات الحيوية ضد جراثيمها يجوز تشبيهه  
بحصانة المخابىء الذرية من الفولاذ تحت الأرض على عمق كبير ولكن  
من سيكون هناك وقت الضربة الذرية المفاجئة . ؟ فالعلاج فعال  
نعم ولكن اكتشاف المرض فى أدواره الأولى قليل والمضاعفات جسيمة  
وعضوية ومدمرة .

والدليل هو تزايد عيادات الأمراض التناسلية طرديا مع ازديـساد

موجات التسبب الجنسي - في البلدان المتقدمة ، وتزايد ضحايا المضاعفات القاتلة أو المزمنة بالرغم من تقدم طرق مكافحة وحتى أصبح الأمر كالوباء

وتطرت بعد ذلك للفارق الملحوظ بالرغم من تدنى مستوى المعيشة في أغلب البلدان الإسلامية وارتفاعه بشكل ملحوظ في بعض منها نتيجة الثروة البترولية الطارئة - فانه في كلا الجانبين نجد الأمراض الجنسية أقل انتشارا بما لا يقارن بمثيله في المجتمعات العلمانية اللادينية الغربية منها أو الشرقية على السواء - نظرا لوجود العقيدة بالحساب والجزاء والتي تجعل من رقابة الضمير على سلوك الفرد حافظا وراذعا له عن ارتكاب الاثم ، وتجعل معنى للشرف والكرامة غير ما يوجد في المجتمعات التي تنتشر فيها الهيبية والوجودية وأمثالها من الفلسفات العدمية التي لاتؤمن ببعث ولا ميعاد ولا أخلاق أو مثل عليا الا المتعة العاجلة والربح السريع .

أذكر أن بوب كيري قال لايحوز أن يكون عقاب الحب هو القتل كما يوجد في الشريعة الإسلامية ، قلت ولايحوز أن تكون الترجمة الوحيدة للفظ الحب هو الشهوة الجنسية غير الشرعية أيضا - وكانت في هذه الأثناء الفجة الاعلامية حول شريط موت أميرة ، وهو شئ تافه يبدو فيه الغرض اللثيم لتلويث سمعة المجتمع المسلم بالقاء ظلال من الشبهات والريب حول الحجاب وعدم الاختلاط والحدود الإسلامية على الزنا .

وقلت بل ان الشريعة الإسلامية مع أنها شريعة العدل الا أنها شريعة المحبة أيضا بمعناها الشامل للرحم جميعها وحتى الأعداء كما فسى المسيحية فكلها من عند الله في أصولها قبل أن ينتاب بعضها التحريف ، وقبل أن يزيغ الناس وتنحرف مفاهيمهم للمحبة حتى تصبح هي العلاقة الجنسية العابرة أو نزوة الحيوان ... !!

وبعد ، فالمستمع الى اذاعات الدول الإسلامية ومنها المملكة العربية السعودية - يجد في البرامج الطبية - كطبیب الاذاعة مثلا - وهو برنامج يومي لا تتجاوز مدته ربع ساعة - يستضيف الأطباء للحديث عن بعض الأمور الصحية بأسلوب مبسط لتوعية الناس ، وحين كان الاستاذ ميسر سهيل (١) مشرفا عليه منذ سنوات ، كانت الروح الإسلامية غالبية

---

(١) سوري عمل فترة بالاذاعة السعودية ، وكان زميلا بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض - وانتقل الآن الى لندن للمشاركة فسى تحرير مجلة " المسلمون " الأسبوعية .

على البرنامج فمثلا فى بداية موسم الصيف حيث ينزح كثير من الشباب الى الخارج كنا نتعاون على التوعية بأخطار التسيب والتحلل من الأخلاق الاسلامية فى المجتمعات الأجنبية أو التى تعنى السياحة عندها والترفيه : الخمر والميسر والزنى ، كنا من خلال المناقشات نتطرق الى الأضرار الجسدية والنفسية الفادحة التى تصيب الشباب نتيجة انسياقهم وراء مايزينه لهم الشيطان من النزوات والشهوات ونبين أن السياحة منها فوائد كالعلاج والاستحمام على الشواطئ فى الصيف واستطلاع تاريخ وعادات الشعوب والتعرف على آثار الأمم - وللسفر سبع فوائد فيها المال والعلم والتجارة وتكوين صداقات جديدة على أسس سليمة ، ولايعنى الترويج عن النفس بالضرورة ارتكاب المعاصى والمحرمات .

وعلى العموم فان أى من البرامج أو الندوات الاذاعية التى يشارك فيها أطباء أو يقومون باعدادها - يظهر بوضوح تأثير عقائدهم على لسانهم لذلك فان توعية العلميين عموما والأطباء خصوصا للاهتمام بالاشارة الى مايعرفون من خلال تجاربهم الشخصية ومعلوماتهم بما يدعم حتما - عقائد المستمعين ويعمق لدى جمهورهم الثقة بالدين وتعاليمه السماوية - وقد يكون أكثر تأثيرا أحيانا من تخصيص برامج دينية بحتة ، ولايمنع ذلك من ذاك - والله ولى التوفيق .

فى الكتاب

حين يؤلف الطبيب كتابا سواء كان موضوعيا أو سيرة ذاتية - فإنه لابد أن يكتب فيه ما يعتقد .. !! وان الكتب العلمية التى تدرس لطلبة الطب من تأليف الأطباء النصارى أو اليهود تجدهم فيها يتلمسون مايوحى لقرائها بتخلف السود مثلا ، وسبحان الله الذى جعل الاسلام لا يأتى به الباطل من بين يديه ولا من خلفه - لم أجد مطعنا علميا واحدا على أصول الاسلام أو فروعه أبدا - دين النظافة والطهارة والاعتدال والوسط - ولكنهم حين يقولون مثلا ان ختان الذكور مفيد يقولون كما يفعل اليهود - وحتى الغائط يعترفون أن القرفصاء خير من الجلوس على الكرسي فى المراض الأفرنجي ، وأن الغسل من الجنابة وقاية من بعض الأحوال المرضية .. وهكذا ...

ولنقارن كتاب " حياة طبيب " للدكتور نجيب محفوظ النصارى المصرى بكتاب " الطب محراب الايمان " للدكتور خالص حلى السورى المسلم - فتعرف كيف أن كل اناء ينضح بمافيه مهما حاول المؤلف أن يكون محايدا وعلميا .

وسنعرض هنا موجزا لما جاء فى كتابين أحدهما لطبيب وهو د. محمد على البار والآخر لأديب هو أحمد محمود سليمان .

أولا - كتاب خلق الانسان بين الطب والقرآن للدكتور محمد على البار (١)

بدأ الكاتب بذكر عدد من الآيات من سور القرآن الكريم تدور حول خلق الانسان من النطفة ثم انشاؤه فى أدوار التكوين . ثم يتحدث عن المفغة ويقول انها الشكل الذى يظهر فى قطعة لحم ممضوغة وهى مايكون عليه شكل الجنين من الأسبوع الثالث الى الأسبوع السادس ، ووضح ذلك بصور فوتوغرافية ملتقطة بأساليب فنية متقدمة أوردها كوسائل ايضاح - وتعرض بعد ذلك الى مسألة نفخ الروح وكتابة الملك وتطور الخلق والظلمات الثلاث والاجهاز .

وتطرق فى الفصل الأول لوصف علمى للجهاز التناسلى للذكر مبينا حكمة الختان ثم جهاز المرأة وذكر عضوه الرئيسى وهو الرحم وكيف أن صلة الرحم من أهم مااحض عليه الاسلام ، وبين ما جاء فى القرآن الكريم

(١) الدار السعودية للنشر والتوزيع - الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

من معنى للرحم بمعنى القرار المكين الذى تستقر فيه النطفة وتنمو ، ومعنى صلة القربى الناتجة منه أيضا .

ثم تطرق المؤلف الى البلوغ من الناحية الطبية والشرعية .

وفى الفصل الرابع شرح الدكتور البار معنى النطفة والماء الدافق وأثبت وجوده فى المرأة أيضا نتيجة انفجار حويصلة جراف بالمبيض مرة كل شهر .

وفى الفصل الخامس شرح المؤلف دور الصغيات " الكروموزومات " فى حمل الصفات الوراثية ، وفطرة الله التى خلق بها الذكور والأنثى متكاملين لا متماثلين أبدا كما يدعى أصحاب نظرية المساواة بين الجنسين ، واستطرد المؤلف شارحا ماجاء فى الحديث الشريف عن شرح قوله تعالى " وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين " (١)

وقال ان وصول العلم الى معرفة الصغيات الحاملة للصفات الوراثية قد يكون شبيها بعالم الذر أو الرمز أو الشفرة - عالم كلمات الله سبحانه وتعالى التى ذراها فى ذرية آدم عليه السلام منذ بدأ الخلق وأخذ عليهم العهد بالآل يشركوا به شيئا - وبين أن كل ميسر لما خلق له تبعاً لعلم الله المكنون فى هذه النسلات . ثم جاء الحديث بعد ذلك عن النطفة الأمشاج أى المختلطة بين ماء الرجل والمرأة وهذا صحيح كما فى تفسير القدماء المبنى على الحديث الشريف ثم دور العلقة وأصح تفسير لها هى الدور الذى تنشب فيه العلقة وتعلق فى جدار الرحم وتنفرز فيه محاطة بالدم المتجلط من كل جهاتها وذلك ما جعل قدماء المفسرين يفسرونها بجلطة الدم أو الدم الغليظ المتجمد .

ثم يأتى المؤلف الطبيب على ذكر مراحل التخليق كما ذكرها قدماء المفسرين بناء على ما صح لديهم من الأحاديث النبوية الشريفة ، ثم يذكر مراحل التخليق كما بينتها وسائل البحث الحديث ويبين مدى التطابق العجيب ، حتى يصل الى دور المضة - ثم يذكر قوله تعالى

---

(١) الأمراف ١٧٢



"فخلقنا المطفة مقاماً فكسونا العظام لهما ثم أنشأناه خلقة  
آخر فتبارك الله أحسن الخالقين" (١) صدق الله العظيم.

وبالنسبة لحديث عبدالله بن مسعود الذى رواه الشيخان " ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفه - ثم يكون علقه مثل ذلك - ثم يكون مضغة مثل ذلك - ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح . . ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى - أم سعيد "

فقد شرح الدكتور البهار (معتدداً على صور بارعة ومعلومات طبية صحيحة من علم الأجنة الحديث) مسألة نفخ الروح بأنها تبدأ الحركة الإرادية في الجنين بعد اكتمال الشهر الثالث داخل الرحم ، والانفعال الناتج عن السمع وبدأ الاتصالات العصبية بالمخ ، وفي هذه الفترة ترسم بصمات الأصابع المتفردة في كل إنسان وكذلك يرسم على الجبين خطوط مشابهة لتلك الموجودة على الأنامل ثم تبدأ في الاختفاء تدريجياً تحت طبقة دهنية - وهذا بالذات وكان كاتب هذه السطور يعرفه لأول مرة - وما أتى به الدكتور محمد علي من الأحاديث الصحيحة والصـور الملونة المعبرة، والشرح المؤ من الذي ربط بين الحقائق العلمية والنقل الصحيح لا يدع مجالاً للمماحكة أو التأول في كلا الجانبين -  
ويزيد المؤ منين إيماناً على إيمانهم ويفهم الجاحدين .

وبعد ذلك يأتي شرح الظلمات الثلاث بأنها الغشاء الأمينوسي والكوريون والديسيداوا ( AMNION , CHORION & DECIDUA )  
تفسير واضح معقول جدا .

ثم يأتى المؤلف على شرح الاجهاض وأنواعه ويتفق معنا على أن اسقاط الجنين قبل الشهر الرابع بحجة أن الروح لم تنفخ فيه بعد حرام وذلك رأى أغلب الفقهاء أيضا ، وهى نظرة جميع الاديان السماوية .

ثم في الفصل العشرين شرح وتوعية صحية عن الحمل ويتطرق الى اقل الحمل وهو ستة شهور باتفاق العلم والدين واكثره عنده لايزيد عن موعده بشهر واحد وهو الاغلب عند جمهور الأطباء ، وبين الدكتور البسار أن كتب الفقهاء مشحونة بأخبار لمواليد لثلاث واربع سنوات وقال أن هذه حكايات خرافية لا سند لها مطلقا (٢) وانها لابد أن تكون من نوع الحمل

(١) المؤمنون ١٤

(٢) خلق الانسان ص ٢٣٠

الكاذب الذى اتبعه حمل حقيقة .

وفى الفصل الأخير من الكتاب شرح المؤلف عملية الولادة وبين أحكام الطهر والنفاس والرضاعة وفوائدها بالنسبة للأم والطفل .

والكتاب فى مجموعه صورة مشرقة لمزج حقائق الطب الحديث بالمعانى والمقررات الاسلامية الوثيقة ، ولذلك فهو من أفضل وسائل الدعوة الاسلامية التى تخاطب العصر بلغته العلمية السائدة .

والكتاب ممتاز من ناحية الطباعة والاخراج والتصوير وكذلك فـان المادة العلمية فيه صحيحة متوافقة مع آخر ماوصل اليه الطب وقد أثبت مرة أخرى أن النقل الصحيح لايتعارض مطلقا مع صحيح المعقول ، وأن التعارض لا يحدث الا نتيجة الوهم أو الخطأ .

وكتاب مثل ذلك الكتاب ينضج بعقيدة المؤلف كما أن المؤلفين النصرى أو اليهود أو المستغربين من أبناء جلدتنا لابد أن نجد فيها مايتعارض مع مفاهيمنا وعقائدنا حتى لو كانت بغير قصد وكمثال مايشيع فى الكتب العلمية عن انتشار الأمراض الجنسية بين السود قياسا على ما عندهم نظرا لخواء العقيدة مع الفقر والجهل فيكون اليأس والمرض ولا بد - وليس ذلك صحيحا فى المجتمعات الزنجية المسلمة فى انحاء افريقيا المختلفة .

ثانيا : كتاب " القرآن والطب " - أحمد محمود سليمان - دار العودة بيروت . (١)

جعل الكاتب أغلب موضوعاته على شكل حوار بينه وبين صديق يستغرب أن يورد القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا من الزمان مايجئ العلم التجريبي الحديث ليثبت صحته - فمثلا فى قوله تعالى " فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضلله يجهل صدره فيلصق حرجا كأنمصا يعمد فى السماء " (٢)

فقد فسر الشراح القدماء مسألة المصود فى السماء مجازيا لامتقادهم باستحالة ذلك - أما الآن فقد أصبح ذلك حقيقة ، ووجه الإعجاز الثانى هى ظاهرة ضيق الصدر والحرى الذى يصيب من يعمد فى المناطيد أو الطائرات وسفن الفضاء لولا أجهزة موازنة الضغط والتدفئة والامداد بالاكسجين .

(١) دار العودة ببيروت - الطبعة ١٩٨٠

(٢) سورة الأنعام من الآية ١٢٥

وفى قوله تعالى " وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم " (١)

يقول ان جهلنا بلغة الحيوان والنبات والجماد أو أننا لانسمع ذلك ولانراه - لايتخذ دليلا على عدم وجوده - فقد ثبت ان لكثير من الحيوانات والطيور والحشرات لغات تتفاهم بها فيما بينها - وان حواسنا لها نطاق محدود لايمكنها أن تتعدها - فأذاننا تسمع الأصوات التى تترددذبذباتها بين ١٥ ، ٠٠٠ ر ٢٠ فى الثانية ولايمكنها أن تسمع مادون ذلك أو مافوقه - كما أن العين ترى فقط الذبذبات التى تتردد بين عشرين واربعين فى الثانية - وبعض الحيوانات والحشرات ترى وتسمع وتشم أقوى أو أدنى من ذلك - وقد ثبت أن ذرات الجماد فى حركة دائبة دائمة وقد يكون لها صوت لانسمعاه وانكار ذلك لأننا لم نستطع بعد تسجيله أو الاحساس به ليس من العلم أو المنطق فى شيء .

وفى قوله سبحانه " ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله " (٢)

وفى قوله تبارك وتعالى عن قوم لوط فى سورة الشعراء ١٦٥ ، ١٦٦

" أتأتون الذكران من العالمين ، وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بئس أنتم قوم مادون " - يتحدث المؤلف بما تيسر له من المعلومات الطبية عن ضرر مخالفة أمرالله وتأثير ذلك بالضرر على أجهزة المرأة والرجل التناسلية بما يعتبر فى عداد المعلومات الطبية العامة التى يسهل الاقتناع بها .

وفى قوله تعالى " حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع - إلا ما ذكيتم وما ذبح على نصب . . . . " (٣) شرح الكاتب ذلك بقوله فأما الحيوان الميت فقد يكون سبب نفوقه مرضا معديا - وذلك سبب تحريم المنخنقه والموقوذه والمتردية والنطيحة وما أكل السبع عدا ما كان به بقيه حياة فيذبح ويسال دمه ويحل بعد ذلك .

---

(١) سورة الاسراء ٤٤

(٢) سورة البقرة من آية ٢٢٢

(٣) سورة المائدة من الآية ٣

وأما ماذبح على النصب فعلاوة على الشرك العقائدى فى ذلك فان التلوث بالمخلفات ودماء الذبائح السابقة يكون محتملا جدا . ولحم الخنزير فهو مشوى دودة شريطية خاصة به (١) لايؤثر التسخين فى حويصلاتها وتفتتح فى الأمعاء بعد الأكل وتمتص عافية آكله ، ويحتوى لحم الخنزير أيضا على دودة التريكونوس التى تتحول فيه أيضا وقد تنتقل الى الانسان وتنتشر فى كثير من أجزاء الجسم فتسبب آلاما وأغراضا تعتمد على مكان وجودها .

وفى قوله تعالى " ولا تطربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا " (٢)

ذكر المؤلف قائمة بالأمراض السرية ومضاعفاتها وبين ما الحكمة فى تحريمه . وكذلك بين الحكمة فى قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون " (٣) فيقول أن أكثر من ٤٠ ٪ من الجرائم المختلفة وجد أن مرتكبيها من معاقري الخمر ، كما أورد ما قامت به لجنة أبحاث المسكرات الأمريكية فى بوسطن سنة ١٩٣٧ م من احصاء أثبت أن عدد الوفيات من مضاعفات ادمان الخمر يزيد عن عدد الوفيات من جميع الأمراض الوبائية مجتمعة وعددها ٣١ مرضا بينها السل والتيفود والطاعون والتيفوس والحمى القرمزية وغيرها .

ثم أورد بحثا احصائيا يبين نسبة الوفاة بين أبناء الناس العاديين والمصابين بالسل والمدمنين على الخمر ، وهو نالق بالدلالة فان أبناء هذه الجماعة الأخيرة من الكحوليين يموتون لمختلف الأسباب بنسبة تقارب مجموع الوفيات فى المجموعتين الأوليين .

وقد علق الدكتور عبد الرزاق السنهورى على هذا الكتاب بقوله أنه ينم عن علم غزير بالقرآن الكريم وتطبيقه على مسلمات العلم الحديث .

وهو كذلك فقد عرض المؤلف كثيرا من المسائل العلمية وابرز صلتها الوثيقة بالقرآن بمنطق عذب ومن غير تعسف ولا غلو .

ومن هذا العرض لما جاء بكتابين لمؤلفين اسلاميين يمكن أن نتبين كيف يمكن لحقائق الطب أن تخدم قضية الدعوة الاسلامية اذا عرضت بأسلوب رصين لاتشج فيه ولا غلو ولا تقصير - وبالذات عند المثقفين الذين قد يؤثروا فيهم الكتاب أكثر من العامة ، وهم لهم قدوة ومثل يحتذى .

(١) تينيا سوليتم

(٢) سورة الاسراء ٣٢

(٣) سورة المائدة ٩٠

فى حىن قد يؤشر المقال الصحفى أو الحوار فى ندوة منشورة فى  
مجلة متنوعة فى الأقل ثقافة من القراء ، وقد يتأثر العامة  
والنسوة ببرامج الاذاعة أو المرئى أكثر من المشقفين ، وهكذا  
فان استخدام وسائل الاعلام جميعا بالأسلوب المناسب والمهارة  
التقنية الحديثة مع الاخلاص الهادف للإصلاح - ومشاركة العلماء ومنهم  
الأطباء فى النشاط الاعلامى للدعوة الإسلامية هو مطلب ملح فى عصرنا  
هذا عصر العلوم والاعلام .

الفصل الثاني

## المؤسسات الطبية المعاصرة في مجال

**الاملاام والدعوة الاسلاميية**

بيننا - سابقا - موقف المسلمين العام من الجانب الطبي ، وكيف تنبهوا - تحت مطارق المحن - الى خطورة هذا الجانب ، والى ضرورة تعلمه حتى يلحقوا بركب العالم المتطور من حولهم ، وقصد نجحوا الى حد بعيد فى هذا ، وان كان نجاحا مشوبا بألوان من الأفكار المنحرفة ، أو عدم الحفول بما لديهم من تعاليم الاسلام السامية (١).

ثم تحدثنا عن جهود النصارى فى استخدام الطب (٢) للتبشير بدينهم وقيمهم الخاصة ونشاطهم فى ذلك نشاطا كبيرا ، ثم كيف وجهوا هذه المهنة النبيلة وجهة فاسدة فى كثير من الأحيان ، ولم يراعوا فيها أخلاق الدين ، ولاكرامة الانسان ، حيث استغلوا حاجة الفقراء لاقناعهم - تحت ضغط الحاجة - بدينهم ومعتقداتهم النصرانية ، وهذا أمر على غاية الشذوذ حين يوجه للمسلمين خاصة لأن النصرانية لا ترقى بحال ما الى مالى المسلمين من عقيدة واضحة ، ودين مستنير ، وكيف يرقى التحريف والتزييف الى مستوى الحق الصحيح المريح ؟.. !

- وسنتحدث في هذا المبحث عن الجهود الطبية الواقعية في الجانب الإسلامي، والمؤسسات التي أقيمت لمسابقة النصارى في هذا الميدان، أو لدفع خطر التبشير عن المسلمين في أقل الأحوال .

والملاحظ ابتداءً أن المسلمين تأخروا في طرق هذا الجانب طويلاً رغم خطره وأهميته .

كذلك يلاحظ أن معظم الجهود في هذا الجانب هي جهود فردية ، أو جماعية محدودة ، لم ترق بعد الى أن تصبح عملاً متكاملًا ، أو مؤسسات راسخة الأساس والتمويل والتنظيم ، واسعة التأثير لتستطيع مقارعة الخطط

(١) انظر ص ٤٧ - ٥١ من هذه الرسالة

(٢) راجع ص ١٠٥ من هذه الرسالة مبحث : الطب والاعلام النصراني (التبشير)

التبشير الطبية على الأقل ، فضلا عن القيام بحق الدعوة الاسلامية من خلال هذا المجال الحيوى الخطير .

ونعنى هنا بالمؤسسات الطبية الاسلامية :

- (١) المستوصفات
- (٢) المستشفيات
- (٣) الهيئات التى لها طابع طبي كجمعيات الاسعاف ، والهلال الأحمر ، ومدارس التمريض ... الخ .

وهذه المؤسسات جميعا لها جانبان اعلاميان خطيران :

الأول : طبيعى :

وهو حماية المسلمين من التردد على المؤسسات المريضة ، وخاصة النصرانية التى يديرها ويسيطر عليها الرهبان والراهبات لأغراض دينية معروفة تحت ستار العمل الطبى .

الثانى : اجهاسى :

وهو محاولة تبليغ المعانى الاسلامية ، وغرس فضائل الاسلام من خلال التعامل الواقعى فى العلاج والتطبيب ، ومن خلال وضع العمل الطبى تحت مظلة الاسلام ، وتكييفه بمبادئه وتعاليمه تنفيذا وتطبيقا . كتجنب العلاج بمادة محرمة شرعا ، أو كتمحيص السلوك الطبى العام الذى لا يبالى بالنواحى الدينية فى كشف العورات الضرورية ، أو التساهل فى إجهاض النساء لأوى سبب ... الى غير ذلك .

■ وكان أسبق الناس الى التنبيه لهذا الجانب ، ومحاولة استخدام هذا الأسلوب فى الواقع المعاصر هى " الجمعيات الاسلامية " العاملة فى حقل الدعوة والتربية الاسلامية .

ومن هذه الجمعيات :

#### (١) الجمعية الشريفة (١)

وهى جمعية تقوم على التربية الاسلامية ، والدعوة الى تطبيق السن العملية . وقد نجحت نجاحا كبيرا فى انشاء مؤسسات المساجد وعشرات المستوصفات الملحقة بالمساجد ، أو المستقلة عنها حسب توفر البناء المناسب .

---

(١) أنشأها الشيخ محمود خطاب السبكي رحمه الله بمصر فى أوائل هذا القرن ولها فروع واسعة فى القطر المصرى ، ولها مجلات ومطبوعات ناطقة باسمها مثل مجلة ( الامتصام ) القاهرية .

وهي تستخدم الأطباء والفئات المساعدة من المسلمين ، وتقوم غالباً في الأحياء الشعبية المزدهمة ، وقد كان لها دور فعال في وقاية المسلمين من اللجوء الى المؤسسات النصرانية خاصة العوام والنساء الذين قد يسهل التأثير عليهم وتشويش افكارهم ، فضلاً عن دورها الاقتصادي في تخفيف النفقات الطبية على المسلمين وحمايتهم من التسرب الى غيرهم .

## (٢) جماعة : "الاخوان المسلمون" (١)

وهي جماعة ذات اهتمام شمولي بالاسلام ، وذات طابع تربوي عملي ، وقد اهتمت بتربية المسلمين وخاصة الشباب تربية اسلامية قوية ، وأنشأت مؤسسات عديدة للخدمات العامة حماية للمسلمين من جانب ، ولرد غارات التبشير واعداء الاسلام عامة من جانب آخر .

ومن ذلك انشاء العديد من المدارس الاسلامية ، والشركات الاقتصادية ، والمؤسسات الاعلامية في الصحافة ، والاعلان ، والطباعة .. وكانت لهم مجهودات موفقة في الناحية الطبية أيضاً ، وقد كان نشاطهم الطبي يمتد الى الوقاية والعلاج جميعاً ومن ذلك :-  
(أ) التربية الصحية والطبية :

فقد عملوا على اشارة الشعور بهذه الناحية في الأمة كلها ، وطبقوا ذلك في تربية أفرادهم ، بل كان هذا أول فقرة في " واجبات الأخ العامل " عندهم اذ جاء فيها :

أولاً : لبدنك :

١ . أن تبادر بالكشف الطبي العام ، وأن تأخذ في علاج ما يظهر من أمراض ، وأن تهتم بأسباب القوة البدنية ، والوقاية الصحية ، وتبتعد عن أسباب الضعف .

٢ . أن تتجنب الاسراف في قهوة البن والشاي ونحوها من المشروبات المنبهة والكيوف ، وأن تحسب الامتناع عن التدخين .

---

(١) أنشأها في مصر أيضاً الشيخ حسن البنا ( رحمه الله ) في سنة ١٣٤٧ هـ ( ١٩٢٨ م ) وامتدت شعبها في أنحاء القطر المصري ، وهي الآن ذات طابع عالمي يمتد في كثير من دول العالم الاسلامي وغيره .



- ٠٣ أن تعنى بالنظافة فى كل شىء ، فى المسكن ، والملبس ،  
والمطعم ، والبدن ، ومحل العمل عناية فائقة فـقـد  
بنى الدين على النظافة .
- ٠٤ أن تراول نوعا من أنواع الرياضة البدنية ، ولو المشى ،  
وأن تنضم لفرق الجواله اذا سمحت سنك (١)

#### ( ب ) النشاط الصحى العام للفرق الجواله :

من نشاط الجواله ( وقد وصل عددهم الى ٧٠.٠٠٠ على جميع شعب  
الاخوان فى جميع قرى مصر ومدنها وأحيائها ) المساهمة فى توعية  
الفلاحين بخطر عدم التبليغ عن المصابين ، ومحاصرة القرى الموبوءة  
لعدم الدخول أو الخروج منها ، القيام بأعمال النظافة فى الأحياء  
الوطنية حيث كان الجواله ومعظمهم من المثقفين خير قدوة للناس  
حين كانوا يقومون بكنس الشوارع وتنظيفها بأيديهم ، والقيام  
بعمليات التطهير بالمبيدات الحشرية ، عدا الدعاية بالمساجد  
والميادين ولصق الاعلانات (٢) .

#### ( ج ) القسم الطبى ومؤسسته :

تأسس القسم الطبى للاخوان فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٤ من جماعة من  
الأطباء برئاسة الدكتور محمد أحمد سليمان - وافتتح مستوصفا فى  
عيادة فى نفس اليوم - ثم خصص للمستوصف جانب من دار المركز العام  
- ثم اختير له بناء ضخم بالحلمية بعد عامين وانشع به معمـل  
للأدوية بإشراف صيدلى قانونى - وبعد عام واحد بلغ الذين عولجوا  
فيه أكثر من خمسين ألفا سنة ١٩٤٧ م .

وتتابع بعد ذلك انشاء مستوصف بطنطا ثم فى شبرا - ثم شرع بانشاء  
مستشفى بالعباسية فى ابريل سنة ١٩٤٨ ثم اثناء محنة الاخوان أغلق  
وبيعت محتوياته بأبخس الأثمان .

وبعد عودة جماعة الاخوان ، اعادوا استئناف نشاطهم رسميا فنشطوا فى  
انشاء المستوصفات حتى بلغ عددها بالقاهرة والجيزة فقط سبعة عشر  
مستوصفا لكافة المواطنين من مسلمين وغيرهم ، وكثير به صيدلية وبعض  
منها به علاج داخلى (٣) .

- 
- (١) واجبات الأخ العامل ( ملحق برسالة التعاليم للشيخ حسن البنا ) ص ٢٩  
(٢) الاخوان المسلمون والمجتمع المصرى ص ١٧٩ باختصار  
(٣) الاخوان المسلمون والمجتمع المصرى ص ١٨١

ومن هذه النبذة يتضح أن الإخوان المسلمين قد انتبهوا ( فى وقت متأخر نسبيا ) من بدأ نشاطهم الى أهمية انشاء دور العلاج بأنواعها لخدمة الدعوة وقد كان القسم الطبى جزءا من قسم البرر والخدمة الاجتماعية - ولم تتح لهم الفرصة للتوسع فى هذه الناحية المحتاجة الى الدعم المادى وتشجيع الدولة التى كانت على السدوام تناصبهم العداء .

ومؤخرا بعد أن دبت الحياة مرة أخرى فى الجماعة فقد بدأ بعض الأطباء من المسلمين فى التعاون لعمل مؤسسات اسلامية علاجية على مستوى عال لسد النقص فى هذه الخدمة فى جميع ديار الاسلام ، حتى الأكثر سيقا الى الأخذ بالتطور كمصر مثلا . ولاستقطاب مرضى الشعوب المسلمة والعربية بالذات بدلا من لجوئهم الى ديار الصليبية ، أو مؤسساتها القائمة فى العالم الاسلامى لحاجتهم الى العلاج الحديث ، وفسى نفس الوقت فعمل هذه المؤسسات الاسلامية هى دعوة صامتة بمعناها وبالعمل الجاد المخلص فى ميدان العلاج ، وهى دعوة ناطقة بالفكر المستنير ، والجو الاسلامى للعاملين فيها من أصحابها ومديرىها وأطبائها وممرضىها .

ومن هؤلاء الدكتور أحمد الملط استاذ الجراحة المصرى الشهير الذى ألف مع مجموعة من اخوانه الأطباء المسلمين ما يعرف ( بالجمعية الطبية الاسلامية ) على ما يبينه فيما يلى :

### (٣) الجمعية الطبية الاسلامية :

لما كانت جمعية حديثة النشأة فاننا ندع لأصحابها مهمة التعريف بها ، وبأهدافها فى التربية والدعوة من خلال العمل الطبى الجاد ، وقسـد جاء فى حديث طويل نشرته مجلة الدعوة المصرية (١) ، آثرنا أن نشبته مصورا عن المجلة المذكورة لأهميته فيما نحن بصدده ، ( انظر الصفحتين التاليتين ) : —

---

(١) العدد رقم ٢٠ بتاريخ صفر ١٣٩٨ هـ الموافق يناير ١٩٧٩ م

# أول جمعية طبية إسلامية تكون في مصر

## لابد من إيجاد الطبيب المسلم المتميز بشخصيته

كليات الطب عن طريق تقوية الروابط بين الأطباء وبين طليعة الطب والمحاضرات ودروس النقاشية والحسور المستمر ويهدف من كل ذلك إلى تعزيز داعية الإسلام في ميدان الطب . ولقد كانت من تقوية الصلات بين الأطباء أنفسهم هفانيا وروحيا حتى يتأق جنتهم كثيرا وصحيرا تحت راية الإسلام . ويشرف الدكتور أحمد المظ قائلا : ان الإسلام يطالب دائما من المسلم ان يكون دائما في النضة ويتقوى على امرائه وانك فاننا نعمل على رفع مستوى الأطباء المسلمين من الناحية العلمية حتى يعرف الطبيب المسلم في كل مكان بالتقوى وبانه من احسن الأطباء . ووسيلتنا في ذلك الاشتراك المستمر في المؤتمرات الدولية حتى تكون على علم بأحدث ما وصل اليه الطب في العالم وكذلك لنشاء مكتبة ضخمة تضم أحدث المراجع العلمية وايضا العمل على استيراد أحدث الاجهزة العلمية .

### اسلمة الطب

والوسيلة الثانية التي يستطيع بها الأطباء خدمتهم بالإضافة إلى الارتقاء بمستوى الأطباء روحيا وعلميا هو خلق الشخصية المتميزة للطب الإسلامي بحيث يكون له مكانة مستقل . ويقول الدكتور

الجمعية الطبية الإسلامية تهيب بالمسلمين في مشارق الارض ومقارها ان يتبرعوا ببعض اموالهم للمساعدة في إقامة المستشفى القبرى الصمام

وهذا العمل هو من صفات الزكاة وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون

تطبيق صحيحا وسيكون عارا فيه . ويماننا من الأطباء المسلمين بهذا الواقع فقد قاموا بتجميع جهودهم الفردية في جمعية واحدة من الجمعية الطبية الإسلامية . ولا شك ان ميدان العمل الطبي من افضل الميادين التي يستطيع بها المسلم ان يخدم نية . والفرق بين خدمة الإسلام بهذا الميدان وخدمته خيرة من الأديان هارق كبير . فالإسلام يعتبر العمل في الميدان الطبي عروضا في حد ذاته أما خيرة من الأديان فانه يستعمل ميدان الطب كوسيلة وسكان لنشر أفكارهم وترويج مبادئهم .

### الهدف في سمو خلق الطبيب المسلم ويعد الطب الإسلامي

قلت للدكتور أحمد المظ : هل يمكن لزمطينا فكرة من أهداف الجمعية الطبية الإسلامية ؟ فاجاب : هذه الجمعية التي بدأت عملها بالفعل في الاولى من نوعها في ميدان الطب وتضم حاليا ثمانين طبيبا مسلما وتهدف الجمعية الى غرض واحد لا ثاني له هو خدمة الإسلام ( قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وأنا اول المسلمين ) .

ولتحقيق هذا الهدف فاننا نأمل في تحقيق أربع وسائل كبرى تؤدي اليه وتعود بالفائدة على الأطباء والطب ذاته والدولة كلها وسيلس الشعب فوائده الكثيرة كما تعود بالخير على جميع الدول الإسلامية . كما كان الحال في كل الجهود الإسلامية السابقة . . . اولي هذه الاهداف هو نشر الإسلام بين الأطباء فنحن نريد تكوين الطبيب المسلم طليعة ولتقتاعا وليس تقليدا أو وراثة . . . نريد الطبيب المسلم قولا وعلا ولتحقيق هذا الهدف فاننا سنركز جهودنا على الكليات التي يتخرج فيها الأطباء وهي

عندما بدأت التواصيات الفنية تنشا في جامعات أوروبا كان علم الطب عند المسلمين هو أساس تلك التواصيات . . . واستمرت كتابات التريسي ابن سينا . . . وكتاب ابن رشد . . . وكتاب أبي بكر الرازي وكان للناهج الطبيه هناك ولكن أتى عن المسلمين حين من الدهر علوا فيه عن إسلامهم فتخلوا عن مكانة الاستاذية لغيرهم في كل الميادين .

وليس عريبا ان يبدأ الأطباء من أبناء الدعوة الإسلامية في استعادة المكانة التي كانت لاسلامهم فيميدوا للطب الإسلامي . . . وينتوا الطبيب للمسلم حديثه الجدير بها . . . ومن أجل ذلك أسسوا الجمعية الطبية الإسلامية . . . وهذا الحديث مع الدكتور أحمد المظ الذي انتخب رئيسا لمجلس ادارة الجمعية :

سألت الدكتور أحمد : ما الذي دفعكم الى انشاء هذه الجمعية ؟ فقال :

— هناك امر أساسي يجب توضيحه في هذا السند قبل الاجابة على هذا السؤال وهو : ان أحد الأسباب الأساسية لتأخرنا هو أننا في عهد الثورة اعتمدنا على الحكومة في كل شيء وقد وصل الامر أننا بعد زوال الحكم السابق اعتمدنا على الحكومة حتى في تطبيق الشريعة الإسلامية لطلالينا الحكومة بذلك وتصور البعض ان تطبيق الشريعة الإسلامية لا يمر الا بطريق الحكومة وهذا خطأ كبير . . . فالفرق المسلم اذا لم يطبق الإسلام في موقفه أولا فانه لن يتمكن من تطبيقه في الدول كلها ولذا قام حكم إسلامي والشعب يبعد عن الإسلام فانه سيكون حكما فوقيا هذا يسهل على أعدائه التخلص منه بل ان هذا الحكم لن يستطيع تطبيق الإسلام



● ١٢١ ● العمليات الجراحية يشاهد الأطباء بجانب خلق الله

اجتماع عدم الاستقلال والعلة في العلاج  
فهو قليل الحثوث .

ومن أهداف الجمعية الطبية الإسلامية  
في هذا المجال انتشاء عثر مستوطنات  
بالمعاصرة في الاحياء الشعبية ذات إضافة  
السكانية العالية لعلاج ابناءهم انصب  
مجانا او باجور رمزية بالأضاعه الى  
انشاء مستشفى على أحدث طراز يضم  
خمسين سريرا لهذا الغرض تم التوسع  
بعد ذلك وانشاء مستوصفات ومستشفيات  
بمختلف أنحاء الجمهورية تكون مخصصة  
أساسا لخدمة الفقراء .

ويقول الدكتور أحمد المظ رئيس  
مجلس إدارة الجمعية الطبية الإسلامية:  
أن الجمعية تولى شن حملات مكافحة  
الامراض المتوطنة في مصر وهي مضمونها  
البلهارسيا المصاب بها ٧٠٪ من الفلاحين  
ويضيف قائلا أن جميع حملات  
مكافحة المرض اللعين قد فشلت  
لأنها لم تأت من الطريق الصحيح . .

طريق الاسلام . . فلو قلت للفلاح ان  
الاسلام يأمرك بعدم التبول في الماء  
تطبيقا للحديث الشريف : « أتقوا الملاعن  
الثلاثة : البولة في الماء والظل والطرقات »  
لاستجاب على الفور . فهذا التمسك بقوله  
الا الاسلام . . ولكننا للأسف تركنا  
الاسلام وأتينا بمختلف النظريات ففشلنا  
فشلادريما وكان ذلك أمرا طبيعيا . فباسم  
الاسلام دين النظافة نطلب من الفلاحين  
عدم التبول في الماء او نزول الماء الا بعد  
لبس حذاء واق وبذلك تصوت دودة  
البلهارسيا من تلقا نفسها في خلال  
شهرين فقط من شن الحملة .

ومن أهداف الجمعية الطبية الإسلامية  
التي تسمى الى تحقيقها صلة أساسية  
التعاون مع دول العالم الإسلامي  
.. فالتعاون بين المسلمين أحد الفروض  
الهامة الواجبة عليهم . . يقول الله تعالى:  
« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا  
على الاثم والعدوان » ويقول الرسول  
صلى الله عليه وسلم « المسلمون كالجسد  
الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له  
سائر الجسد بالسهر والحمى » وفضلا عن  
أن هذا التعاون في مجال الطب هو فرض  
اسلامي فانه سيعود بالتأكيد بالفوائد  
على المسلمين . . فالتعاون المستمر  
والمشورة المتبادلة ستؤدي الى الارتقاء  
بالمستوى العلمي للأطباء المسلمين فضلا  
عن التخفيف من آثار الكوارث في حالة  
وقوعها حيث ستخرج جميع الدول  
الاسلامية الى مدد المون الى المناطق المنكوبة  
فلت للدكتور أحمد المظ : أن أهداف  
الجمعية الطبية الإسلامية - التي تضم  
نجم الأطباء المسلمين - أهداف طموحة  
جدا فمن أين لكم بتفاتها ؟ فقال :

نحن جمعية خيرية لا تعتمد على الكسب  
بل نقوم أساسا على تبرعات المسلمين  
فتقدر ما يجود المؤمنون بالأمال بقسمة  
ما يتسع نشاط الجمعية التي تعمل على  
شر الاسلام في مجال الطب .

نطاق معين والا حكمنا عليه بالفشل  
والتقصير مما به الذي يعمل فيه مرتبط  
بمجاهدات الجيد كلها .

مثال ثالث على النظريات الإسلامية  
في مجال الطب وهو ضرورة السبب السببي  
من مدى ديم توبعها ومحاربه السبب  
الصناعي المنصر في أوربا وأمريكا . يقول  
الدكتور أحمد المظ ان السبب يرفع حيث  
من تدنياته الالتصاق والارتباط بها والحب  
والحنان والامان والرباط الأسمى وهذه  
كلها مزايا لا تتوفر بمفضل الذي يخون  
بعيدا عن ربه . . سواء الطفل الذي يماول  
اللين الصناعي او الذي خرجته من عمل  
فاضطرت الى وضعه في حضنة او تركته  
مع شغالة . . ولا يمكن للمحضنة او  
للغريباء عن الطفل ان يعطوه ما تعطيه  
أمه نه من العنان والسبب والرعاية .

والنظريات الإسلامية لاتنتهي . منها  
مثلا محاربه الاسلام بالاجهاض الذي قبلا  
ما يكون للضرورة وكثيرا ما يكون لسر  
خطية .

والوسيلة الثالثة التي يستطيع بها  
الأطباء المسلمون خدمة الاسلام في مجال  
الطب هي علاج ابناء الشعب وخاصة  
الفقراء مجاناً أو باجور رمزية . ولأنك  
أن هذه الوسيلة من أهم الوسائل التي  
يستفيد منها ابناء الشعب فوائد كبرى  
من هذه الفوائد مثلا أن الفقير سيجد  
الطبيب الذي لا يستغله لان ضميره يأبى  
ذلك وبالأضاعة الى ذلك سيجد الطبيب  
الأمين الذي يسير معه في العلاج  
ويشخص مرضه بدقة . واجتماع عدم  
الاستقلال والامانة في العلاج قليلا  
ما يحدث في عصرنا الحديث الذي يكثر  
فيه الاستغلال مع الاممال في العلاج !!  
او استغلال مع أمالنا في العلاج !! أما

أحمد المظ : ان من أهداف الجمعية الطبية  
الإسلامية تصحيح بهذا الغرض اسمة  
الطب حتى تعود للمسلمين امجادهم  
في هذا المجال . فالأطباء المسلمون في بلادهم  
قوة الفعالة الإسلامية كانت لهم شهرة  
واسمة بل ان أوربا كانت تسميهم بهم  
أعوانك لعلاج منوها . . والى وقت قريب  
كانت المصحات الإسلامية في مجال الطب  
تدرس في كليات الطب الأجنبية المختلفة  
وقد ارتفعت في الآونة الأخيرة أصوات  
المفكرين بالغرب او الشرق وهم يصيحون  
باحتلال أسمة الطب . . وفي رأيي أنه  
لا قيمة لهذه الاصوات فقد سبقتنا عدة  
مول في ترجمة اصطلاحات الطب الى  
لغاتها المنهية ونجحت في ذلك نجاحا  
عظيما ومن هذه الدول اليابان والصين  
بل ان الأخيرة اشتهرت ببعض أنواع  
العلاج الخاصة بها كالعلاج بالأبر  
الصينية .

واسمة الطب لا تكفي في رأي رئيس  
الجمعية الطبية الإسلامية لخلق الشخصية  
الإسلامية المطلوبة في مجال الطب فلا بد  
من اصلاح النظريات الإسلامية في هذا  
الصدد وهو ما يستعمل الجمعية على  
إيجوله . من هذه النظريات مثلا محاربه  
نقل القلب . فالقلب ليس مجرد مضخة  
لحمية ولكنه يحمل أمرازا تتصل  
بشخصية الانسان وكل ما يتصل به من  
صفات . . وصلى رسول الله عندما قال:  
« الا ان في الجسد لمضخة . . لذا صلحت  
صلح الجسد كله ولذا فسدت فسد الجسد  
كله الا وهي القلب » . ومن النظريات  
الاسلامية كذلك ضرورة أن يكون هناك  
حد أدنى لغذاء كل مسلم وتتعلق هذه  
النظرية بكيفية توزيع الغذاء بين المسلمين  
مما يدل على أن الاسلام دين التسامح  
والمودة كلها . ولا يمكن أن ينحصر في



## ملاحق الرسالة

نشبت هنا بعض الامور الهامة والقضايا الضرورية التي يحتاج الطبيب المسلم الى فهمها وهي كالآتي :

### أولا : من الدستور الاسلامي آداب مهنة الطب :

يقيم الاسلام نظام الحياة كلها على دعائم وطيدة من مراقبة الله تعالى ، وحسن الخلق ، والبعد عن كبائر الاثام والفواحش وان الانسان الذي يفتقر الى القيم الأخلاقية في حياته الخاصة . لا يمكن أن يؤتمن في أنشطة مهنية ولو كانت لديه أعلى المؤهلات العلمية والتقنية .

قال تعالى " ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه " (١)  
وقال سبحانه " واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم . ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لى ولوالديك الى الممير . وان جاهدك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلاتطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفًا واتبع سبيل من أناب الى ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون . يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السماوات أو فى الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير . يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وأجر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور . ولا تمعروا خدك للناس ولا تمشى فى الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير " (٢)

### ثانيا : لسم الطبيب المسلم :

وقد تبنت الجمعية الطبية الاسلامية بأمرىكا الشمالية هذه المعانى الأخلاقية العالية . فصاغتها لتكون قسما للطبيب المسلم ترتبط فيه المهنة بالعقيدة ، والصناعة بالأخلاق ، وتورد فيه قضايا الحياة الطبية المتشابهة الى أحكام الشريعة الالهية

---

(١) الاحزاب ٤

(٢) لقمان ١٣ - ١٩

الهادية ، ويكون قسما يتميز به الطبيب المسلم (١) ويؤكد المعانى النبيلة التى جاء ت فى قسم أبو قراط الذى قدمنا ذكره ( ص ٢١ ، ٢٢ من هذه الرسالة ) ونص هذا القسم الاسلامي :

" الحمد لله رب العالمين العلى العظيم الواحد العليهم خالق الكون ومعلم الناس اجمعين له الدوام ابد الابديــــن لانعبد الا اياه .. ان الشكر لظلم عظيم . اللهم ارزقنى القوة لاكون صادقا ، آمينا ، متواضعا ، مخلصا ، رحيمًا ، وهب لى الشجاعة لأقر بذنبى واصلح خطيى وأعفو عن هفوات غيرى ، وأعطنى الحكمة لأريح غيرى وأقدم النصح الداعى للسلام والوثام .. وامنحنى الادراك بأن مهنتى مقدسه تمس أعز ماوهبته للانسان وهو العقل والحياة .

وأجعلنى يارب جديرا بهذا الموقف المتميز بالشرف والكرامة والتقوى حتى أهب حياتى لخدمة البشر ، فقراء وأغنياء ، حكماء وجهلاء ، مسلمين وغير مسلمين .. بيضا وملونين ، متحليسا بالصبر والتسامح ، بالفضيلة والوقار والعلم ومراقبة النفس وأملأ قلبى بالحب والرحمة لعبادك فهم من أعز مخلوقاتك ..... وهأنذا أقسم باسمك الكريم ياخالق السماوات والأرض ..... أن التزم بما أنزلته على رسولك الكريم محمد صلى الله عليه وسلم " أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا - ومن أحيها فكأنما أحيأ الناس جميعا " .

### شالشا : المسؤولية الطبية فى ضوء الشريعة الاسلامية :

اتفق الفقهاء على أن تعلم مهنة الطب واجبه وفرض كفاية على جماعة المسلمين فلا تسقط عن فرد الا اذا قام بها غيره ، واشتروطوا لانتفاء المسؤولية عن الطبيب - الكفاية الفنية ، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم " من تطب ولم يكن بالطب معروفا ، فأصاب نفسا فلما فونها ، فهو ضامن " (٢).

أما الحاذق فلايسأل عن الضرر ولومات المريض ، مادام قد أذن له بعلاجه ، فان الطبيب اذا فعل مايجوز له فلايسأل عن الضرر الحادث ولو كان سببا له ، ولايتقيد عمله بشرط السلامة ، ولا يطلب منه القيام الا بالمعتاد من العناية ولايسأل الا عن تقصيره فى ذلك .

(١) من الطب الاسلامى يتصرف ص ٣٦٤

(٢) رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه - من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - وأخرجه الحاكم - الطب النبوى ص ١٠٧ .

وهكذا يتبين أن الشريعة الإسلامية قد أوجبت :-

(أ) **حماية الطبيب :** بما يؤدي للاقبال على تعلم هذه المهنة المعبية ويشجع على ممارستها وتطوير مناهجها العلمية .

(ب) **حفظ حقوق المريض :** في أن ينال العناية اللازمة، وأن لا يتعرض للدجالين لذلك فإن الطبيب في وقتنا الحالي مادام لم يتجاوز حدود تخصصه المصرح له بمزاويلته من قبل وليس الأمر الشرعى باقرار أهل الاختصاص ، فلا يجوز محاكمته وتغريمه لديه مثلاً ، وان تقاعس الجراحين بالذات عن الاقدام على انقاذ الحالات الأكثر خطورة هو بسبب تخوفهم من النتائج السلبية بما يعرضهم للمسائلة الجنائية والعقوبات المادية أو المعنوية ، ولايجوز أن يفرض مالا من تحدوه الرغبة فى انقاذ الناس - قياماً بواجب شرعى ، وهو ملا يتقيد بشرط السلامة . ويمكن تحديد شروط انتفاء مسؤولية الطبيب فى نقاط أربعة هى:

١. اذن الشارع : وهو الترخيص بمزاولة المهنة من قبل الجهات المختصة ، ولولى إلا مر حق الطاعة فى غير معصية الله - لذلك أقدم الخليفة العباسى المقتدر بالله سنة ٣١٩ هـ ، على منع سائر المتطبيين من المعالجة - إلا من امتحنه الطبيب سنان بن ثابت ابن قرة .

٢. رضاء المريض .

٣. **عدم وقوع الخطأ الفاحش** الذى لاتقره أصول الطبابة ، ولا يقره أهل العلم والفن من ذوى الاختصاص ، ولا عدوان فيه ، أما فى حالة التقصير وفيه عدوان - فهو ضامن وينتفى عنه القصاص .

٤. قصد الشفاء :

وقد أقر علماء الشريعة الإسلامية للطبيب بالحرية التامة فى العمل والتجريب لاستنباط الاساليب المناسبة للعلاج ، وكان الرازى يدون تجاربه ، وغيره أيضاً - فى كتب يقرأها جمهور الأطباء - وكان لبعض الأطباء أنواع خاصة من العلاج من مبتكرات قرائحهم . استجابة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم " **من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر** " - حتى ولو خالف الطبيب رأى زملائه ، مادام رأيه قائماً على أساس سليم ، ولم يكن فاحشاً خارجاً عن المنطق الطبى المعقول .

## رابعاً : مسألة استئطاع الأعضاء البشرية بغرض الزرع (١)

مسألة الانتفاع بأجزاء الأدمى - فيما لم يرد به نص شرعى - مسألة اجتهادية يختلف فيها الرأى بحسب الاعتبارات . ولم ترد فى كتب الفقه الا مسألة الانتفاع بلبن الطثر - كبيع أو استئجار - اجازوه استثناء واستحسانا لضرورة المحافظة على حياة الطفل ، وترجيح المصلحة على كرامة الانسان .

وقد ابيح أكل المحرمات فى حالات الاضطراب - فانه يباح العلاج بها مخافة التلف أو الهلاك - والأصل فى أجزاء الانسان حرمتها على بنى جنسه . ولكن يجوز عند الشافعية أن يقطع الانسان جزءاً من جسمه ليأكله ان لم يجد غيره ، وقياساً يجوز استئطاع جزء من شخص لمصلحته هو - كالجلد المستخدم فى ترقيع الحروق مثلاً .

وأكثر المذاهب توسعا فى اباحة الانتفاع بأجزاء الأدمى المعصوم - لاتبيح هذا الانتفاع اذا حدث الاستئطاع من جسم انسان حى ، والعلة تكمن فى شرف الانسان وكرامته أو فى أن الاستئطاع يفضى الى الهلاك أو التلف وأن الضرر لايزال بمثله .

فالسؤال اذن هل ينقلب الحظر الى اباحة فى حالة الضرورة اذا كان الهدف من الاستئطاع لايتعارض مع الكرامة الانسانية وكانت المصلحة المترتبة عليه أعظم من الضرر ؟ وذلك فى حالة الانسان الحى المتبرع بارادته ( بالكلية مثلاً - قياساً على اباحة نقل الدم ) .

والاجابة : هى أن المبدأ العام هو تحصيل أعظم المصلحتين أو درء أعظم المفسدتين .

يقول القرطبى (٢) لاختلاف بين أهل العلم فى وجوب رد مهجئة المسلم عند خوف الهلاك أو التلف بالشع اليسير الذى لامضة فيه على صاحبه - وهذا فرض كفاية على الجماعة ، فاذا لم يكن الا شخص واحد بيده اخراج المضطر من حالته كان انقاذه فرض عين على هذا الشخص - ويقع عليه اثم عدم انقاذ المضطروعليهم الضمان .

---

(١) الطب الاسلامى ص ٣٧٢ يتصرف .

(٢) الطب الاسلامى ص ٣٧٨



وبذلك فان اعطاء شخص عضوا من أعضائه دون أن يترتب على ذلك هلاكه هو - فى حين أن انقاذ حياة المعطى اليه يتوقف على ذلك - بشرط رضاه - لأنه لا يمكن اجبار انسان قضاء على التبرع بأحد أعضائه لانقاذ انسان آخر ولو كان مثل هذا الانقاذ يقع واجبا ديانا فى ذمة الأمة جميعا - فهذا الواجب العام لا يقع على انسان معين - قضاء - الا برضاه . وتكون هذه العملية جائزة شرعا . بعد السيطرة على ظاهرة رفض جسم الانسان للاعفاء الغريبة عنه - ولم يثبت ذلك فى كثير من الحالات حتى الآن .

أما بالنسبة للجسم الميت أو الجثة - فانه يكون مباحا استنادا للقواعد التى تبيح تشريح الجثث فان من بينها الاستفادة من اجزاءها فى انقاذ حياة انسان أو صحته .

وهكذا فانه فى حالة الضرورة - حين يتعين استقطاع جزء من الجثة علاجا وحيدا للمريض - تعلو مصلحة الحى المريض ، على مبدأ حرمة الموتى .

لذلك أجاز متأخرو الشافعية استخدام عظام الموتى فى جبر عظم الحى المنكسر اذا لم يكن جبره بغيره .

وإذا كان حكم الاضرار فى الاباحة حكما عاما يسرى على جميع المحرمات - فانه لا يوجد نص خاص يمنع التداوى بأجزاء الانسان حيا أو ميتا عند الضرورة .

لذلك كانت مصلحة ترجيح العافية - تعلو على مصلحة اجتناب المحرمات . واستنادا الى الاعتبارات المشار اليها - صدرت عدة فتاوى من جهات رسمية من افراد متخصصين تجيز فى مجموعها نقل الاعضاء من أجسام الأحياء أو من الجثث الى المرضى اذا تعين ذلك علاجا ضروريا للمرض . بشروط هى :-

١ . رضاه المعطى الصادر عن ارادة حرة - ممن هو أهل له بأن يكون بالغا وعاقلا - وأن يكون على بينة من أمره .

٢ . يتعين أن تكون المصلحة المترتبة على ذلك للمريض أكبر من المفسدة المترتبة للمعطى .

٣ . امتناع تعليق الاستقطاع بالمقابل المالى - ولايمنع ذلك شرعا من وضع نظام عام يمكن بمقتضاه مساعدة المعطى ماليا عما يفوته من منافع بسبب الاستقطاع .

- ٤٠ يجب ألا يترتب على الاستقطاع ضرر فاحش بالمعطى - ويجب اتخاذا الاحتياطات الطبية اللازمة حتى يكون هامش الخطر الذى يتعرض له المعطى ضعيفا جدا .
- ولامانع شرعا من فرض التزام فى بيت المال لتغطية المخاطر المتوقعة التى قد يتعرض لها المعطى .
- ٥٠ يجب أن تكون المصلحة المترتبة على الزرع عند المتلقى جيدة وراجعة - أى ضرورية ومنتجة للغاية المرجوة على سبيل الظن الغالب - ويترتب على ذلك أن تكون مخاطر الزرع لديه أقل من التطور التلقائى للمرض المراد علاجه .
- ٦٠ بعد التوصل الى التغلب على ظاهرة رفض الجسم للأعضاء المزروعة ترجح الميزة على المخاطرة وهنا يتغير الحكم بتغير الزمان - وحيثما توجد المصلحة فثم شرع الله .
- ويقول الأستاذ أبو الأعلى المودودى - ان الضرر فى عملية الزرع مخيف جدا - لانه بعد الوفاة تحفظ بعض الأعضاء أو كلها لحين الحاجة لاستعمالها مما يؤدى الى الاتجار بالبشر ففسد الأعضاء البشرية وبالتالي الى الجرائم . ( ص ٤٢٩ ط ٠ س ) .
- ويرى د. محمد قطب الدين الهندى - أنه ليس هناك فرد خالد أو لايمكن الاستغناء عنه فى هذا العالم - وأن الحالات التى يتوقف مصيرها على عضو ينقل لها من جسد آخر يجب أن تترك لتلقى مصيرها كما هو الحال حين يفشل العلاج .
- ولا أوافق على ذلك رأى الأخير مطلقا - فعمليات زرع قرنية العين مثلا أرجعت البصر الى من فقدوه نتيجة اعدام القرنية .
- ولايجوز قياس الزرع على التلقيح الصناعى " المنى الاجنبى " فهو كالزنا أو التبنى . أما نقل الدم فضرورى لانقاذ الحياة .

#### خامسا : القتل الطبى :

##### (أ) تحريم القتل لراحة المريض :

جاء فى الفتوى رقم ٢٤٨٤ بتاريخ ١٦/٧/١٣٩٩ هـ من رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد (١) - ردا على السؤال المقدم من الدكتور محمدالناصر الى سماحة الرئيس العام والمحال اليها من الامانة العامة برقم ٢/٦٧٨ بتاريخ ٩٩/٣/٢٧ هـ ونص السؤال : -

(١) أخذت هذا من صورة الفتوى التى وردت اليينا بمستشفى الولادة والأطفال بالرياض

كما تعلمون أن الطب والعلوم الطبية استجلبناها وتعلمناها من الغرب بكل ما فيها من غث وسمين ، وبما أن نشأة الطب في الغرب لم تكن نابغة من تصور إيماني صحيح - أو ديني على الأقل - ولو مسيحيا سليما من التحريف . لذلك كانت هناك أشياء في عالم الطب لابد وأن تتنافى مع ديننا الحنيف . لذلك أحببت أن أعرض هذه القضية لتكررها يوميا في عالم الطب فأقول وبالله التوفيق:

- هناك بعض المرضى ممن هم يعانون من مرض سيؤدى حتما فسى مفهوم الطب - الى أن يكون صاحبه متخلفا عقليا بل قد يؤدى به مرضه الى أن يعيش حياة كلها أمراض ومشاكل . وأقرب مثال هو أمراض المخ والجهاز العصبى . وقد يكون هذا المريض فى داخل الرحم حيث تدل التحاليل الطبية مثلا أن هذا الطفل سيولد معتوها بصورة يكون معها اتعاب لوالديه بالإضافة الى ما يكون له هو فسى حياته .

وفى الغرب هناك فكرة معترف بها أنه من الأحسن أن لايعالج هذا الطفل - الأول - بصورة جادة تماما - يعنى يعطى الفرصة ليموت - بعكس لوكان طفلا يؤدى علاجه الى برئه تماما . وكذلك يجهض الطفل الثانى لينزل ميتا - بل قد يطلب الوالدان أحيانا هذا أو ذلك مدعين أنهم يريدون بذلك راحة الطفل .

- مثال ذلك أنه قد جاء إلينا منذ أيام طفل عمره سبع سنوات يعانى من تخلف عقلى شديد جدا لدرجة أنه لايمشى ولايجلس ورأسه ملغ بالجروح من جراء الطيحات وأصيب بمرض الزائدة الدودية ووقف الطبيب الأخصائى ليسأل هل يعمل له الجراحة اللازمة أو نتركه هو ومستقبل مرضه قلت الأمر ليس لى بل راجع الى أهل العلم والدين "وأجركم على الفتيا أجركم على النار" . وقد حمل اجتماع كبير جدا للأطباء والاساتذة الزائرين من أمريكا فقلت لهم هذه قضية ليس لأحد حق الفتوى فيها وسأتيكم بحلها ان شاء الله تعالى . اذا فالأمر حساس وعاجل - سدد الله خطاكم وأثابكم وابقاكم ذخرا للإسلام والمسلمين .

وبعد الدراسة أجابت اللجنة عنه بمايلى :

" من الضروريات الخمس (١) التى دلت نصوص الكتاب والسنة دلالة قاطعة على وجوب المحافظة عليها - وأجمعت الأدلة على لزوم مراعاتها-

(١) هى الدين والنفس والعقل والعرض والمال .

حفظ نفس الانسان - وهو فى المرتبة الثانية بعد حفظ الدين سواء كانت النفس حملا قد نفخ فيه الروح أم كانت مولودة وسواء كانت سليمة من الآفات والأمراض وما يشوهها أم كانت مصابة بشئ من ذلك وسواء رجا شفاؤها مما بها أم لم يرج ذلك حسب الأسباب العادية وما أجرى من تجارب . فلا يجوز الاعتداء عليها بأجهاض أن كانت حملا قد نفخ فيه الروح أو باعطائها أدوية تقضى على حياتها وتجهز عليها طلبا لراحته أو راحة من يعولها أو تخليها للمجتمع من أرباب الآفات والعاهات والمشوهين والعاطلين أو غير ذلك مما يدفع بالناس الى التخلص - لعموم قوله تعالى " ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق" (١) ولما ثبت من بيان النبى صلى الله عليه وسلم وتوكيده من قوله " لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزانى والتارك لدينه المفارق للجماعة " رواه البخارى ومسلم . ولإجماع الأمة على أن الاعتداء على ما ذكرى معصية وأنه يجب فيه القصاص أو الدية والكفارة حسب نوع الجناية . بل ينبغى لأولياء أمورهم من الآباء والأمهات ومن يقوم مقامهم أن يرعاهم ويسعوا فى علاجهم رجاء الشفاء أو تخفيف المرض والآلام ويصبروا على ما أصابهم رجاء المثوبة والأجر من الله - وكم من مريض شخص دأوه وعرف دأوه وأمل فيه الشفاء فواتته منيته رغم عناية معالجة . فانه لا يئأس من روح الله الا القوم الكافرون ولا يقنط من رحمته الا الضالون .

✽ قال العلامة ابن القيم فى كتابة زاد المعاد فى هدى خير العباد : فصل ، روى مسلم فى صحيحه من حديث ابن الزبير عن جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برا بآذن الله عز وجل - وفى الصحيحين عن عطاء عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله من داء الا أنزل له شفاء - وفى مسند الامام أحمد من حديث زياد بن علاقة أن أسامة بن شريك قال كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم وجاءت الاعراب فقالوا يارسول الله انتداوى فقال نعم يا عباد الله تداووا فان الله عز وجل لم يضع داء الا وضع له شفاء غير داء واحد قالوا ماهو قال الهرم - وفى لفظ أن الله لم يترك داء الا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله وفى المسند من حديث بن مسعود يرفعه " أن الله عز وجل لم ينزل داء الا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله وفى المسند والسنن عن أبى خزيمة قال قلت يارسول الله أرأيت رقى نسترقئها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله .

فقد تضمنت هذه الأحاديث اثبات الأسباب والمسببات وإبطال قول من أنكرها ويجوز أن يكون قوله لكل داء دواء على عموميه حتى يتناول الأدوية القاتلة والأدواء التي لا يمكن طبيا أن يبرئها ويكون الله عز وجل قد جعل لها أدوية تبرئها ولكن طوى علمها عن البشر ولم يجعل لهم إليه سبيلا لأنه لأعلم للخلق إلا ما علمهم الله ولهذا علق النبي صلى الله عليه وسلم الشفاء على مصادفة الدواء للداء فإنه لا شيء مــــن المخلوقات إلا له ضد وكل داء له ضد من الدواء يعالج بفضده فعلى النبي صلى الله عليه وسلم البرء بموافقة الدواء للداء وهذا قــــدر زائد على مجرد وجوده فإن الدواء متى جاوز درجة الداء في الكيفية أو زاد في الكمية على ما ينبغي نقله إلى داء آخر ومتى قصر عنها لم يف بمقاومته وكان العلاج قاصرا ومتى لم يقع المداوى على الدواء لم يحصل الشفاء ومتى لم يكن الزمان صالحا لذلك الدواء لم ينفـج ومتى كان البدن غير قابل له أو القوة عاجزة عن حمله أو ثم مانع يمنع من تأثيره لم يحصل البرء لعدم المصادفة ومتى تمت المصادفة حصل البرء ولا بد ، وهذا أحسن المحملين في الحديث والثاني أن يكون من العام المراد به الخاص ولاسيما والداخل في اللفظ أضعاف الخارج منه وهذا يستعمل في كل لسان ويكون المراد أن الله لم يفع داء يقبل الدواء إلا وضع له دواء فلا يدخل في هذا الأدوية التي لا تقبل الدواء وهذا كقوله تعالى في الريح التي سلطها على قوم عاد تدمر كل شيء بأمر ربها أي كل شيء يقبل التدمير ومن شأن الريح أن تدمره ونظائره كثيرة . وعلى الأطباء أن يكونوا عوناً للأبـاء والأمهات على علاج مريضهم أملا في شفاؤه أو تخفيف آلامه وبلائه ، وأن يحتسبوا في ذلك ولا يملوا من كثرة تردد المريض ولا تضيق صدورهم من طول أمد العلاج ولا يأسوا من حــــسن العواقب فإن الأمور بيد الله يصرفها كيف يشاء ، ولا يمنعون من ذلك استحكام الداء واستغلاق العلاج وتوقع الموت والهلاك فكم من مريض استعصى دأؤه واستفحل أمره فوهب الله له الشفاء ، وكم من مريض شخص دأؤه وعرف دأؤه وأمل فيه الشفاء فوافته منيته رغم عناية معالجيه – ولاتحملهم المهارة في الطب وكثرة تجاربهم فيه على أن يجعلوا من ظنونهم حسب ما لديهم من أسباب قطعا وأن يجعلوا من توقعاتهم واقعا فكم من ظنون كذبت ومن توقعات أخطأت وليعلموا أنا وان أمرنا بالأخذ بالأسباب فالشفاء من الله وحده مسبب الأسباب وعالم الأجل . وعلى ولي الأمر العام أن يهيئ وسائل العلاج من أطباء وأجهزة ومستشفيات ونحو ذلك فالجميع راع ومسئول عن رعيته كل في حقله وميدانه بقدر ما آتاه الله من طاقة علمية أو مادية أو عملية كما أرشدنا إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم جميعا أن يحسنوا فإن الله كتب الإحسان على كل شيء وهو سبحانه يحب المحسنين .

فليس لهم أن يتعلقوا في ترك العلاج والاهمال فيه والاعراض عن الأخذ بأسباب الشفاء - بما ثبت عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي معه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد اذ رفع الى سواد عظيم فقلت انهم امتى فقيل لى هذا موسى وقوه فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لى هذه امتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس فى أولئك فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا فى الاسلام فلم يشركوا بالله شيئا وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال هم اللذين لا يسترقون ولا يكتون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشه بن محصن وقال ادع لى الله أن يجعلنى منهم فقال أنت منهم فقام رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشه رواه البخارى ومسلم واللفظ له والنسائى والترمذى فلما بين الفريقين من الفرق البين فان السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب قد تركوا أسبابا قد كرهها النبي صلى الله عليه وسلم واسبابا معنوية قد يكون فى جنسها شوائب شرك الى أسباب روحية هى التوكل على الله ودعاؤه سبحانه تضرعا وخفيه ، وللأسباب المعنوية من التأثير باذن الله فى أنواع من الأمراض والبرء منها مالىس للأسباب المادية ، فهم لم يتركوا الأخذ بالاسباب مطلقا وانما اختاروا منها نوعا طابت به نفوسهم واشروه على غيره مع اخلاص وصدق فى التوكل على الله ، وصبر على البلاء ، ولم يستسلموا للأمراض بائسين من الشفاء ، ولم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنهم تركوا جميع الأسباب المادية المباحة ، وقد ثبت فى الحديث " انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى " بخلاف من سأل عنه من الحمل والأطفال ذوى الآفات والأمراض المستعصية فان احوالهم ومقاصد من يليهم من الآباء والأمهات ونحوهم تختلف عن حال أولئك ومقاصدهم من جهة الاعراض عن الأسباب مطلقا مادية ومعنوية لليأس من الشفاء ومن جهة المقصد الى الراحة من المريض وراحته - لضيق الصدر من القيام عليه والسآمه من طول علاجه مع اليأس من الوصول الى نتيجة - لا للتوكل على الله والصبر على البلاء والأمل فى الشفاء من الله سبحانه وتعالى ، ولأن فى وجود المتخلفين عقليا والمعوقين وذوى الأمراض المزمنة عبءا للعباد وذكرى وموعظة ، ودلالة على عظيم حكمة الله سبحانه وتعالى ،

وقد رثه على ما يشاء ، وعظم نعمته على من سلم من هذه الأمراض ،  
في شكره سبحانه ويلتزم طاعته . وبالله التوفيق وصلى الله  
على نبينا محمد وآله وصحبه .

### اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء

عضو

عضو

نائب رئيس اللجنة

الرئيس

عبدالله بن قعود      عبدالله بن غديان      عبدالرزاق عفيفي      عبدالعزيز بن عبدالله بن  
بن باز

### تعليق :

(١) هل تجرى له جراحة الزائدة الدودية ؟

والرأى أن تجرى له لانقاذ حياته الآن - لذلك عجت من تأخر الرد  
شهورا .. ؟؟

فان التهاب الزائدة الدودية الحاد قد يفضى الى الالتهاب البريتوني  
( صفاق البطن ) بما يؤدى الى التسمم الدموى والحمى والوفاة  
فى فترة قصيرة - وفى الغرب يجرون الجراحات العاجلة والتأهيليه  
حتى للحيوانات الأليفة التى يربونها فى بيوتهم بكثرة عجيبه  
ويدللونها ويأتونها بما لذ وطاب من أنواع الأطعمة والأشربة - فما بالكم  
بابن آدم ... ؟

ذلك من ناحية - ومن ناحية أخرى فان كثيرا من المرضى يصلون الى  
المعالجة الطبية بعد الحوادث والحروق فى السلم أو فى الحرب  
فى حالة أقرب الى الموت هى حالة الصدمة الناتجة مما ذكرنا  
أو من النزيف مثلا أو الاختناق الى غير ذلك ويبذل الأطباء معهم جهودا  
خارقة مضية بالعلاج والجراحة فمنهم من يشفى ويعود الى الحياة  
ومنهم من يتوفى - ومنهم من يبقى بين الحياة والموت أياما وأسابيع  
وأكثر من ذلك - وقد يعود للحياة مشلولاً أو معتوها أو تبقى معه  
آثار المرض حتى يتوفاه الله بعد حين .. فلم هذا وليس ذلك ؟؟؟ .

(٢) مسألة الحمل - الذى قد نفخت فيه الروح ؟؟؟

- قال تعالى : " فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له  
ساجدين " فى خلق آدم - وقال تعالى والتى أحصت فرجها فننفخنا

فيهما من روحنا " (١) في خلق ميس عليه السلام في بطن مريم ورغم الآثار الواردة في أن الروح تنفخ في الجنين بعد الشهر الرابع في بطن أمه - حين يتحرك فان الحيوان المنوي هو مخلوق حي يتحرك شأن الجرثومة والحيوانات وحيدة الخلية - ويتنفس ويتغذى - ويتحد بالبويضة الأنثوية التي هي مخلوق حي أيضا - وما يكادان يلتحمان حتى يتقرر جنس الأدمى ونوعه وكل صفاته الموروثة من آبائه وأجداده - ثم تبدأ الخلية المتحدة هذه في الانقسام فورا للبدء في تخليق أجزاء الإنسان وأعضائه - وفي سن أربعة شهور داخل الرحم يكون طول الجنين عشرين سنتيمترا وقد ظهرت أعضاؤه التناسلية ذكرا أم أنثى ورأسه وعيانه وذراعيه وساقيه وقلب ينبض - ومؤخرا حين أتم العلماء عملية التلقيح خارج الرحم في بيضة اصطناعية ثم أعادوا الجنين إلى بطن الرحم لينفوس في جداره ويكتمل نموه بالذئ لله حتى الولادة وهو ما اشتهر باسم ( الطفل الأنبوبي ) مجازا ... !! فانه قد ثبت أن الروح التي هي من أمر ربى لا تنفخ في الشهر الرابع بل هي موجودة في الخلية الأولى ، والدليل أن هذه الخلية تتكاثر حتى تصبح انسانا كاملا في تسعة شهور - وقد تموت في أى وقت منذ اللحظة الأولى للتلقيح وحتى لحظة الولادة - ويحدث الاجهاض تلقائيا في أيام وأسابيع وشهور لمرضى يصيب الجنين أو لغير ذلك - والقول بأن الروح تنفخ في أربعة شهور لا قبل ذلك قد استند عليه بعض الأطباء وطفقوا يجهضون النساء الحوامل بحجة أن هذه مخلقة أو مفعلة أو غير مخلقة - لأحياة فيها ولا روح - فلا اثم بالتالى في عملهم هذا . وفي الاجهاض التلقائى اجهاد شديد لصحة المرأة وهو حالة مرضية تستدعى الجراحة والتخدير فى اغلب الأحيان وقد ينتج عنها نزف شديد أو التهاب ومضاعفات لامحل لذكرها وهى من أهم أسباب الوفاة عند الحوامل - لما بالاك بالاجهاض المتعمد الذى يمارس فى السر عادة ولا يقوم به الاقليل من الأطباء لأسباب عديدة من أهمها الكسب المادى الجشع وتكون عجتهم ماورد من نفخ الروح فى أربعة شهور كما جاء فى الحديث النبوى وأولوه على هواهم .

جاء فى كتاب فقه السنة المجلد الثانى صفحة ٥٦٥ باب ذية الجنين - اذا مات الجنين بسبب الجناية على أمه عمدا أو خطأ، ولم تمت أمه ، وجب فيه غرة ( والغرة من كل شئ أنفسه ) سواء أنفعل من أمه وخرج ميتا أم مات فى بطنها وسواء أكان ذكرا أم أنثى.

(١) سورة الأنبياء ٩١



فأما اذا خرج حيا ثم مات ففيه الدية كاملة فان كان ذكرا وجبت مائة بعير وان كان انثى خمسون . وتعرف الحياة بالعطاس أو التنفس أو البكاء أو الصياح أو الحركة ونحو ذلك .

واشترط الشافى فى حالة ما اذا مات فى بطن أمه أن يعلم بأنه قد تخلق وجرى فيه الروح . . ؟ وفسره بما ظهر فيه صورة الأدمى من يد وأصبع . وأما مالك فانه لم يشترط هذا الشرط وقال كل ما طرحته المرأة من مضغة أو علقة مما يعلم أنه ولد ففيه الغره (والغره خمسمائة درهم عند الأحناف أو مائة شاه وقيل خمسة من الأبل ) لذلك فاننا نرى أن الحمل منذ حدوثه هو كائن حى وانسان مخلوق نام لايحوز اجهاضه بأى حال من الأحوال بحجة أن الروح لاتنطفخ فيه الا بعد أربعة شهور . . وفى حالة الاجهاض المنذر يجب علاجه بكل الوسائل الممكنة الا اذا كان استمراره خطرا على حياة الأم بوجه من الوجوه كالنزيف أو الحمل العنقودى أو هبوط القلب أو فشل الكليتين أو الكبد أو تسمم الحمل المبكر أ والقىء المستعصى على العلاج - وفى كل ذلك تفصيل يعرفه الأطباء .

أما فى حالات الإصابة بالأمراض الفيروسية كالحصبة الألمانية فى الشهور الأولى للحمل حين تكون احتمالات تشوه الجنين كبيرة جدا فان للأم حق الاختيار بعد تشبث الأطباء من التشخيص ومازال رأى مختلفا بالنسبة الى مرض التكبوزلازم الذى يسبب هو الآخر العمى والصمم والتخلف العقلى والأمراض العصبية الدماغية وفى مثل هذه الحالات تكون الأم معرضة للاجهاض التلقائى بنسبة مرتفعة وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى فقد ثبت أن نصف حالات الاجهاض هى لاجنة فاسدة التكوين . ولايحوز التساهل فى عملية الاجهاض كما ينادون الآن فى الغرب باجهاض الحمل اذا كان جنس الجنين غير مرغوبا فيه كأن يكون انثى وعند الوالدين انسااث أو يرغبان فى ذكر أو العكس ، أو خشية إملاق كما هو الأغلب فى اجهاض الحمل الشرعى .

وضمن الحالات التى يقتل فيها الطبيب الجنين المكتمل الشهور - حالة استسقاء الدماغ الشديد وهى حالة يتضخم فيها الرأس حتى قد يبلغ حجمه كالكرة الكبيره مثلا ويكون ذلك على حساب نسيج المخ الذى يضرر جدا نتيجة تراكم السائل النخاعى من حوله لأسباب عديدة شرحناها فى مقال نشر بجريدة الريــــــــــــــــاس بتاريخ ( ١٤٠١/٨/٢٢ هـ ) ويستحيل نزول الجنين من الطريق

الطبيعى ولو اضطرر الطبيب لفتح البطن والرحم لاستخراجه بعملية قيصرية فان هذه تكون خطيرة أكثر من العملية المعتادة وقد يتمزق الرحم أو يتهتك بحيث يتعذر اصلاحه ويكون ذلك خطرا شديدا على الأم أثناء العملية التى قد يضطر الطبيب فيها لاستئصال الرحم أو لو أمكنه اصلاحه فانه يكون عرضة للتمزق فى حمل قادم أو تكون الأم مضطرة لاجراء عملية قيصرية فى كل مرة تحمل فيها بما يقلل من فرصتها للانجاب والتناسل - وبعد استخراج الجنين المريخى باستسقاء الدماغ فانه يموت عادة فى سن مبكرة - ولو أنه تجرى لبعض هذه الحالات حين يكون التضخم خفيفا عملية جراحية مستحدثة صعبة ماتزال نتائجها سيئة جدا للحفاظ على نسيج المخ المتبقى وتسريب السائل النخاعى المتراكم عن طريق أنابيب اصطناعية تزرع مع صمامات صناعية من الرأس الى الشرايين تحت العنق .

والرأى فى هذه الحالات أن يتم التشاور بين جراح متخصص فى جراحة حديثى الولادة من الأطفال وأخصائى الولادة فى طريقة التوليد عن طريق القيصرية أو ثقب الرأس واستخلاص المولود بعد تفريغ سائل الدماغ من الطريق الطبيعى .

من مرفنا لمثل هذه القضية وتناول مختلف الآراء فيها يظهر جليا كيف أن الطبيب المسلم قد يتفق أو يختلف مع النظرية السائدة فى الدوائر الطبية فى الأم الأخرى فى حالة بعينها بناء على العقيدة - فيكون موقفه هذا اعلاما حيا يمليه الضمير الاسلامى فيتبين للآخرين طبيعة مفهوم الاسلام للصحة والمرض والحياة والموت وأمثالها من القضايا الحيوية التى تمر بكل واحد فى كل وقت .

## خاتمة

### نتائج وملاحظات

لعله قد تبين لنا بعد مطالعة هذا البحث أن الطب عمل انساني خطير صاحب نشأة الانسان وتطوره الحضارى ، وكان مهنة ذات تأثير فى الناس ، ليس فقط بالدواء والمبفع - وانما أيضا بالفكر والعقيدة . وذلك ما حاولت اثباته فى هذه الرسالة .

فقد كان من آيات الرحمن سبحانه وتعالى ، ومن معجزات الأنبياء ، ومن مهارات الكهنة ، ومن أساليب المبشرين - ومايزال من أكثر وسائل الدعاية فعالية فى الترويج للسياسة مثلا ، ومنها السياحة العلاجية فى المقدمة - دخلا وتأثيرا - وأيضا فان تقدم الطب والعلاج فى قسوم من الناس هو دليل قائم حى يصعب تكذيبه ، على تقدمهم الحضارى وعلو كعبهم فى العلوم جميعا ، وهدفها الأسمى هو فائدة الانسان وصحته ورفاهيته .

ذلك - وان الطب الحديث - بجانبه النفسى والعضوى ، وان كان قد أفلح جزئيا فى ناحية القضاء على كثير من الأوبئة والأمراض المعدية ، وأنقذ كثيرا حياة الانسان من أمراض وحالات خطيرة نتيجة تقدم الجراحة والتخدير ، فانه بالمقابل قد أباح أجهاض ملايين الأجنة البشرية السليمة ، ولم يستطع الا مقاومة غير فعالة للأمراض الجنسية ومضاعفاتها مثلا - وذلك بسبب نقص الجانب العقائدى الصحيح فى البنيان الحضارى الحالى خاصة فى القرن العشرين .

ومن هنا فان تقدم الاسلاميين - للأخذ بزمام المبادرة - هو ضرورة حياة لهم الآن ، بل ولكل البشر !!! .

والطب مهنة مطلوبة ومرغوبة فى كل المجتمعات فى كل الأوقات !! والأطباء المسلمون يبدعون فى كل صقع تقودهم اليه أقدامهم ، نتيجة لسوء أحوالهم فى مواطنهم - ذلك لعدم الوعى بما يمكن أن تساهم به المهنة الطبية فى دفع عجلة التقدم وتوحيد الصفوف ورفع الهمم وتوجيه الانظار الى الحق بالقُدوة الحسنة والفكر المستنير - بسبب انفرادهم دون غيرهم من المهن - بمخالطة بنى آدم من موقع المسؤولية النافعة ، فى أوقات المرض والفيق والوهن والحر .

ان من لا يؤمنون بالله ، لا يصبرون .. ويحبون العاجلة والربح السريع .. ويعبدون اللذة والمنفعة .. أو آلهة وأوثان ما أنزل الله بها من سلطان . فان كان الطبيب كذلك ، فانه سيدفع الناس وهو يعالجهم - ولو بغير قصد منه - لاتباع طريقته فى الحياة ، فهو وان لم يدرك بعضهم ذلك - من قادة الراى العام فى أى مجتمع ، وبخاصة لو كان ماهرا مشهورا ... !! .

واننى أعتذر عن تقصيرى فى الالمام ببعض الجوانب الهامة ، وارجو الله سبحانه وتعالى أن يفتح علينا جميعا لاتمام هذا العمل ، وأن يوفقنا الى سبل السلام قولا وعملا - انه هو المستعان .

✻ وقد توصلت من خلال هذا البحث الى نتائج منها :

- (١) الطب ضرورة انسانية ، والأطباء لهم تأثير فكرى بالغ على الناس بلسان الحال أو المقال فى كل عصور التاريخ ، فان ملحوا كانوا من دعائم الحق ودعوته ، والعكس صحيح .
- (٢) كان انشط من استخدم المهن الطبية فى التبشير والدعوة ، هم النصرى - وعن طريقها ، مع غيرها من الوسائل أمكنهم التمهيد للاستعمار العسكرى فى القرنين الماضيين لكثير من البلدان ، ثم أن التبشير كان بعد ذلك من أهم سبل توطيد الاحتلال ، بزعمرة العقيدة ، وبذر بذور الشقاق ، والنفاق ، وترسيخ المفاهيم الغربية ونشرها بين الناس - مما أدى فى النهاية الى ايمان قطاعات كبيرة من الشعوب الاسلامية بتفوق الفكر الأجنبى ، وبناء على ذلك اعتناق فكرة أن العلم بديل للدين ، ونقيض له - ولأن الدين هو محور التراث فقد نتج عن ذلك فقدان الثقة بالنفس بدرجة مخيفة .
- (٣) ان الأطباء المسلمين ، أتباع الحنيفية السمحة - مطالبون بالعمل الجاد المخلص للمساهمة فى لم شمل الأمة وتنوير الأذهان بحقائق الايمان - واستخدام الطب فى خدمة هذا الدين الحق .
- (٤) ان الاعلام المعاصر شديد الفعالية والنفاذ ويجب استغلال جميع وسائله ، ومن خلال التوعية الصحية - بطريقة مخلصة لتوضيح كثير من التساؤلات التى قد تتسبب فى مزيد من البلبلة عند جمهور العامة بالذات - مثل تحديد النسل ، والرضاعة الطبيعية ، وأساليب التغذية الصحيحة .. الحلال ، وأساليب المعيشة والتربية

الى آخر ذلك .. يمكن أن يتطرق الطبيب من خلاله الى تشبيث العقيدة والشرعية في نفوس مستمعيه أو قراؤه ، وبما يؤدى الى فوائدها الصحية ومادية يعقلونها ويؤمنون بها .

(٥) ان الفقه والفقهاء مطالبون بالبحث عن أحكام مستحدثات الطب ومكتشفاته المتوالية ، حتى لا تترك مبهمة دون ضابط واضح - بما يؤدى الى تغيير الأعراف والتقاليد . أو تعظم بأحكام واجتهادات صدرت مناسبة لعصرها ، قبل أن يفتح على الناس هذا السيل من المتغيرات التى تحتاج لمزيد من الاجتهاد ولكل حدث جديد - فقه جديد ولا بد - يستند كسابقة على أصول الشريعة الثابتة الواردة فى محكم الكتاب والسنة - مراعىا مصلحة المسلمين ، وحيثما وجدت فثم شرع الله - لذلك يجب أن تتضافر جهود المتخصصين فى العلوم الكونية والشرعية ، للوصول الى الحكم الصحيح فى كل جديد من الأمور .

(( مقترحات ))

وقد تبين لى من خلال دراستى كثير من المقترحات الضرورية  
والنافعة أثبتها هنا رجاء أن تجد لها مجالا للتطبيق العملى  
بإذن الله .

(١) اقترح ضم منظمات الهلال الأحمر - المحلية - تحت لواء واحد باسم " الهلال الأحمر الدولي " تقوم بجميع الأعمال (التي يقوم بها الصليب الأحمر الدولي ) - في ديار الاسلام أولا - ثم تمديد يد العون فى الكوارث الاجتماعية والجائحات الطبيعية فى جميع اقطار العالم - ويخرج منها مايمكن تسميته بالحملة الطبية الاسلامية ، وهى عبارة عن قوة طوارئ طبية - وحداتها موجودة فى كل الدول الاسلامية - يمكن أن يكون لها متطوعون من الأطباء من جميع التخصصات ومن الفئات المساعدة - من الاسلاميين من مختلف الجنسيات - وتجهز بغرف عمليات متنقلة وأجهزة الأشعة والمختبر اللازمة ، والأمصال والأدوية وغير ذلك من المعدات والمهمات ويمكن أن تقوم تلك القوة بتدريب مشترك - فى موسم الحج كل عام .

ومن الواضح أن مثل ذلك العمل - لا يكلف أى دولة اعلامية  
أى مبالغ إضافية - اللهم على سبيل التبرع ، ويكسبون  
إن شاء الله من عوامل توحيد الراية الاسلامية - بدءاً من  
الخدمات الطبية ، التي تصل الى كل الناس فى موسم الحج ،  
وفى شهره طوال العام - فى جميع ديار الاسلام ، أوقــسات  
المريض والحوادث والحاجة الماسة - تحت شعار الاسلام .

(٢) اقترح جعل الدعم المقدم لدول العالم الثالث الفليــرة ،  
من الدول الاسلامية الغنية - مثل دول الأوابيك - مثــــلا  
دعماً عينيــــا - فى صورة خدمات صحية وتعليمية - تحت  
اشراف رابطة العالم الاسلامى أو منظمة المؤتمر الاسلامى ..  
أو الهلال الأحمر الاسلامى .

(٣) أدمو الى انشاء أو شراء جامعة بكل مؤسساتها ومستشفياتها -  
أو العمل على انشاء أو شراء مستشفيات فى البلدان المتقدمة -  
كامريكا وبريطانيا وغيرها - وجعلها تحت اشراف اسلامى  
دولى ، والعمل على استقطاب الاساتذة وكبار الأطباء المسلمين  
المقيمين فى الخارج خصوصاً ، وغيرهم - من مختلف الجنسيات  
لرفع مستواها العلاجى الى أحسن ما يمكن ، ومن ثم يمكن  
أن يلتزم الابتعاث سواء للتعليم الطبى أو للعلاج على مثل  
هذه المؤسسات ما أمكن ذلك .

(٤) أَدْعُوا الجامعات العربية بالذات الى تدريس الطب باللغة العربية ، مع ضرورة اتقان اللغات الحية ، وبذلك يمكن أن تقوم حركة ترجمة واعية للعلوم الحديثة وتوضع في قالب عربي مبين - وينبغي قبل ذلك تدريس مادة تاريخ الطب الاسلامى والعلوم لتتضح لأجيال الأطباء ودارسى العلوم التطبيقية من المسلمين الصورة المشرقة التى ساهموا بها فى التطور العلمى للعالم ، فيريدهم ذلك نشاط وتطلعا الى استئناف مجدهم القديم تحت راية الاسلام ، ويثبت قلوبهم على الحق ، ويزول من نفوسهم مركب النقص ، وأنهم عيال على غيرهم - من النصارى واليهود والملحدين .

وياحبذا لو الخقت مادة العلاقات الانسانية بالدراسات العامة فى كليات الطب بديار الاسلام ، وتم توجيه الأطباء الشبان وغيرهم من دارسى العلوم العملية لنصرة الدين فى شجرة الاعلام ، بترسيخ الاقتناع بأن فنون الاعلام هى لسان العصر الحديث ، وأن من فقه الدعوة خطاب الناس بوسائل العصر ومايلائم الزمان .

(٥) أَدْعُوا الى انشاء مؤسسة للصيدلة الاسلامية ، ذات طابع علمى تخصصى شامل تجعل على رأس مهماتها البحث عن بدائل شرعية فى ميدان الدواء للأشياء المحرمة كالكحول والمهدئات ، ودهون الخنزير ، والجيلاتين - المأخوذ من الحيوانات الغير مذكاه .. الخ .

ويكون من مهماتها بحث المشاكل الصحية المتعلقة بالمخدرات مشسل القات والحشيش وكشف وجه الحقيقة عنها ، لانتشارها فى كثير من ديار الاسلام كاليمن ومصر وغيرها .

ولو جسد المسلمون فى اكتشاف بدائل للمحرمات - من الطيبات ، لصبغوا الحياة الانسانية بصبغة الله ، ولأخذها عنهم غيرهم - كما يأخذون هم الخبائث التى ينتجها المتخصصون فى غير بلاد الاسلام .

(٦) توظيف الأموال الاسلامية فى مجال الطب الخاص ، وتوضيح أن ذلك يعتبر صفقة رابحة تجاريا ، أكثر من الفنادق مثلا - اضافة الى تأثيرها الاعلامى الوقور ، والايجابى بالنسبة لأصحابها خصوصا ، وأمة الاسلام جميعا - وحبذا لو جعلت فى هذه المشافى أقسام خيرية بأجور مخفضة أو مجانية - على غرار مستشفى الجمعية الخيرية الاسلامية بالعجوزة ( بالقاهرة ) .

(٧) وأننى أدعو المسلمين جميعا وخاصة علماءهم وأثرياءهم - ممن يرغبون فى الصدقات الجارية ، للمساهمة فى انشاء " مؤسسة عالميه للدعوة الاسلاميه " ، تقوم بشئون الدعوة ، وتواجه أعمال مجلس " الكنائس العالمى " الذى يوجه التبشير النصرانى ويخطط له ، وأمثاله وتقوم هذه المؤسسة على شعب علمية معاصرة مؤثرة مثل :-

✻ شعبة الاعلام الاسلامى وتقوم بتقديم حقائق الاسلام ، ودحض أباطيل الخصوم من خلال استخدام كل الوسائل الحديثه للاعلام .

✻ شعبة الخدمات الطبية وتقوم بانشاء أو دعم أو تأثيث أو أمداد مراكز الخدمات الصحية بالأجهزة والمعدات والأفراد والخبرات الناقصة - فى ديار الاسلام أولا ، والثغور المهددة بخاصة ، والبلدان الأكثر تعرضا للهجمات التبشيرية عاممة .

ويمكن أن تمول هذه المؤسسات بالتبرعات والأوقاف - كما يمكن أن تساهم فيها رؤوس الأموال على أساس استثمارى اسلامى مدروس .

والله سبحانه وتعالى هو المستعان ، وهو الهادى الى سوا السبيل .

والحمد لله رب العالمين .



(( فهرس المراجع ))

( ١ )

- القرآن الكريم
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم
- الكتاب المقدس
- التلمود - ظفر الله خان - طبعة بيروت
- الكنز المرصود في قواعد التلمود - يوسف حنا نصر الله - الطبعة الثانية - بيروت سنة ١٩٦٨ .
- الاخوان المسلمون والمجمع المصري - دار الانصار - القاهرة .
- الطب الاسلامى - محاضر جلسات المؤتمر الاول للطب الاسلامى بالكويت ١٩٨٠م
- المستشرقون - الطبعة الرابعة - دار المعارف - سنة ١٩٧٩ (نجيب المقيّم)
- القرآن والعلم - أحمد محمود سليمان - دار العودة - بيروت - الطبعة الثانية سنة ١٩٧٤ .
- التبشير والاستعمار - مصطفى الخالدي وعمر فروخ - المكتبة العصرية - بيروت سنة ١٩٧٣ م
- المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام - محمد محمود الصواف .
- الغارة على العالم الاسلامى - محب الدين الخطيب ومساعد الباقي - الدار السعودية للنشر .
- المستشرقون والاسلام - عرفان عبد الحميد - المكتب الاسلامى
- الطب والاسلام ( ) - دحامد الغوابي
- الاعلام الاسلامى والعلاقات الانسانية - الندوة العالمية للشباب - ١٣٩٩ هـ
- الخبر - محمود أدهم
- الاستعمار عدو الشعوب - عبدالعزيز فهمي .
- الطريق الى مكة - محمد أسد - ترجمة عفيف بعلبكي - بيروت سنة ١٩٥٦م
- العرب في التاريخ - برنارد لويس
- الطب النبوى - ابن القيم الجوزيه - طبعة دار الحكمة - بيروت سنة ١٩٥٥
- العلاج بعسل النحل - ترجمة د. محمد الحلوجي - دار المعارف
- القرآن والطب - أحمد محمود سليمان - دار العودة - بيروت سنة ١٩٨٠

- الطب محراب الايمان - د. خالص حليبي كنجو .
- الخمر بين الطب والفقه - د. محمد على البار - الدار السعودية للنشر والتوزيع
- الاستشراق والمستشرقون - د. مصطفى السباعي - المكتبة الاسلامى - دمشق
- ابو القاسم الزهراوى - د. عبدالعظيم الديب - دار الانصار - القاهرة

( ب )

- بين الدين والعلم - عبدالرزاق نوفل - مكتبة وهبه

( ت )

- تفسير القرآن العظيم - ابن كثير
- تطور الصحافة - عثمان الحافظ - شركة المدينة بجده سنة ١٩٧٨ م

( ح )

- حياة المسيح - عباس محمود العقاد - دار الهلال - القاهرة
- حقائق عن المسيحية والتبشير - ابراهيم سليمان الجيهان
- حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر - أحمد عبدالوهاب - مكتبة وهبه بالقاهرة .
- حقائق عن التبشير - المختار الاسلامى بالقاهرة - تأليف عماد الدين شرف
- حياة طبيب - د. نجيب محفوظ - دار المعارف بمصر ١٩٦٦

( خ )

- خلق الانسان بين الطب والقرآن - د. محمد على البار - الدار السعودية للنشر والتوزيع سنة ١٩٨٠ ط ٠ ث ٠

( د )

- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثه - موريس بوكاي -  
دار المعارف - لبنان  
الطبعة المصرية ( مجلد شهري )

( ع )

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء - ابن أبي أصيبعة - دار الحياة -  
بيروت سنة ١٩٦٥ .

( ف )

- في ظلال القرآن - سيد قطب  
المفصل ( مجلة شهرية تصدر في الرياض )

( ق )

- قصة الطب - جوزيف حارلاند - دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٩
- قصة التغلب على الألم - دار العلم للملايين - بيروت - د. نقولا فياض

( م )

- مختار الحكم ومحاسن الكلم - الأمير محمود الدولة أبي الوفاء
- موجز تاريخ الطب ( جزئين ) - د. يوسف الحميدان - النادي الأدبي  
بالرياض سنة ١٤٠٠ هـ

( و )

- واجبات الأخ العامل ( ملحة رسالة المعلم )



- BRITISH ENCYCLOPEDIA
- DAVIDSON - TEXT BOOK OF MEDICINE
- DOUBLEDAY PICTORIAL OF HEALTH  
AND ECONOMICS 1965
- FROM MISSIONS TO MISSION
- FROM FISH TO PHILOSOPHER ( HOMER W. SMITH )

(( فهرس الأعلام ))

( أ )

- ابن سينا ٢ ، ٣٨ ، ١٢٦ ، ١٥٨ ، ١٦٢	- <del>ابن الهيثم</del> ٥٩
- ابن رشد ٢ ، ٢٩ ، ١٥٩	- أبو حنيفة ١٧٠
- ابن الهيثم ٢ ، ١٤	- أدوين بلس ١٠٠
- <del>الرازي</del> ١٢٦ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٧٠	- ابن خاتمه ١٥٨
- ابن أبي أصيبعة ١٢	- ابن آثال ٢٨
- اسحق بن علي الرحاوي ١٢	- ابن الخطيب ١٥٨
- ابن زهر ١٢٦ ، ١٥٨	- أبو يحيى البطريق ٢٩
- الرازي ١٢٦ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٧٠	
- ابن رضوان المصري ١٥٦	( ب )
- أبيقور ٩١	
- الاسكندر المقدوني ١٤ ، ٢١	- باستير - لويس ٢ ، ٤١ ، ٨٧
- الأمير أبي الوفاء ١٤ ، ٢١	- بلهارز ٤٣
- أرسطو ١٤ ، ٢١ ، ٩١	- بول ارلنج ٤٤
- أفلاطون ١٤ ، ٢١ ، ٩١	- باراكير ٨٧
- أوريس ١٤ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١	- برنارد ٨٧
- أبو القاسم الزهراوي ٢٩ ، ٣٢ ، ١٥٨ ، ١٦٢	- بولص ٩٣ ، ٩٥
- أبو قراط ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٩١	- بومان - (أشعيا) ١٢٠
- امحوتب ١٨	- بوديار ١٠٢
- أرنولد الفيلايوفى ١٢٨ ، ١٦٢	- بوسيدون ٩١
- ابن عباس ١٣	- باراسيلوس ٤٢
- ابن أبحر ٢٨	- باراسيلوس ٣٨
- آدم ١٣ ، ١٧	- برونو حيورديانو ٣٧
- اللنبي ١٠٤	- بيتروس هيسبانس ٣٦
- أناتوليوكوس ١٠٦	- بختنصر ٢٦
	- بطرس ١٢٥



(ب)

- بلیکان ۱۲۸

- برون ۱۲۹

(ت)

- توماس - ارنولد ۱۱۸

- توما الكبوشی - الأب - ۸۸

- تیتوس ۲۶

(ث)

- ثابت بن مره ۲۹

(ج)

- جالینوس ۱۲، ۱۳، ۳۶، ۳۸، ۱۶۲

- جرجس بن بختیشوع ۲۹

- جابر بن حیان ۲۹

- جوتنبرج ۳۸، ۵۶

- جالیلیو ۳۷

- جوزیف بریستلی ۳۹، ۴۲

- جریسنجر ۴۳

- جنر ادوارد ۴۴

- جوتیه - المعدم ۹۹

- جودفری - دوق اللورین ۹۹

- جوانفیل ۱۰۰

- جون لو ۱۰۶

- جیربیرتو ۱۲۸، ۱۶۱

- جیرار دی کریمونا ۱۲۸، ۱۶۱

- جلبرت ۱۲۸

- جیج ۱۲۹

(ح)

- حسنین مخلوف ۱۸۸

- حمورابی ۱۹، ۴۱

- حارث ( الحارث بن کلدی ) ۲۴، ۲۶

- حنین بن اسحاق ۲۹

- رحامد الفوالی ۱۲۸

- حسن البنا ۲۱۴، ۲۱۵

(د)

- دارا ۱۴، ۲۶

- ذبلوب ۴۸

- دیزیری ۱۶۱

- داروین ۲۰۲

(ر)

- راجا ۱۰۰، ۱۰۱

- روجر بیگون ۲۷، ۳۹، ۱۲۷

- رفیده بنت اسعد الأسلمی ۴۳

- رونتنج ۴۳

- ریختر ۱۰۶، ۱۱۵، ۱۱۹

- رینو دی شاتلیون ۹۹

- ریمون لول ۱۰۰

- رینییه جروسیه ۱۰۱

- راموسیوس ۱۲۹

- روبرت ادوارد ۱۷۵، ۱۷۶

(ز)

- زرادشت ۱۴

- زوسر ۱۸

- زینون ۹۱

- زین العابدین الربیع ۵۶، ۶۰



(س)

- سليمان بن داود ١٣ ، ٢٠
- سقراط ١٤
- سنان بن ثابت ٣٠
- سيمون ٤٢
- ستيبتو - باتريك ١٧٥ ، ١٧٦

(ش)

- شيت بن آدم ١٣
- شارلمان ٩٩
- شاتيليه ١١١ ، ١١٢

(ص)

- صلاح الدين الأيوبي ١٣ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٩٩
- ١٠٥
- صموئيل زويمر ١٠٢

(ط)

- طلعت حرب ٤
- طبرى ( الطبرى ) ٢٩

(ع)

- عمر بن عبدالعزيز ٢٨
- عبدالله بن المقفع ٢٨
- عمار الموصلى ١٥٩
- عبدالعزيز بن باز ٤٤٩
- عبدالله الزايد ١٧٤ - ١٧٦
- عبدالستار سعيد ١٧٤ - ١٧٩
- عبدالله بن قعود ٤٤٩
- عبدالرزاق لعقيفى ٤٤٩

(ف)

- فيليب ٢١
- فاللوبىوس ٣٧
- فيساليوس ٣٧
- فاراداي ٤٢
- فلورنس - ناتينجيل ٤٣ ، ١١٥
- فان ديك ٤٧ ، ١١٣ ، ١١٧
- فيشاغورس ٩١
- فيلون السكندري ٩١ ، ٩٢
- فونتين - بيار ١٢٢
- فانيه ١٢٩

(ق)

- قسطنطين ٢٣ ، ٩٦
- قورش ٢٦
- قسطنطين الأفريقى ٣٦ ، ١٢٨ ، ١٦١ ، ١٦٢
- قلاوون ٣٣

(ك)

- الكندى ١٧٠
- كتشنر ٢
- كليوباترا ٢٣
- كوبرنيكوس ٣٧
- كولومبو - (بيالدو) ٣٧
- كوخ - (روبرت) ٤١
- كورى - (مدام) ٤٣
- كلوت بك ٤٤
- كلفن ٦٠
- كامبل ١٥٦



- اقرأ باسم ربك الذى خلق ٢٧ ، ١٣٤
- إنما يخشى الله من عباده العلماء ٣٢ ، ١٣٤
- إنما أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ٥٢
- إنما أوتيته على علم عنى ٢٥
- الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد ١٤٥
- إن خير من استأجرت القوى الأميين ١٣٤
- ألا بذكر الله تطمئن القلوب ١٥٢
- إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج ١٨١
- ألم نخلقكم من ماء مهين ١٨١
- والوالدات يرضعن أولادهن حوليين كاملين ١٩٢
- وأرسلنا الرياح لواقح ١٩٦
- وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ١٩٧
- وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم ٢٠٧
- أتأتون الذكران من العالميين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم ٢١٠
- ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ١٠٧
- واعتمسوا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ١٢٠
- إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم ١٣٥
- الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ١٤٠
- أيعسى الإنسان أن يتذكر سى ١٤٠
- إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك ٩٤
- وإذا مرضت فهو يشفين والذى يمينن ثم يمينن ١٤٦
- وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ١٧٠
- وإن من شئ إلا يسبح بحمده ٢١٠

( ب )

- وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ٥٣

( ت )

- تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير ١٣٦

(١١) لاحظنا فى الترتيب ما بعد حرف العطف (الواو)

( د )

- ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين ١٣٤

( ر )

- ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة ١٩١

( س )

- سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ١٣٤ ، ١٨١

( ع )

- وعلم آدم الأسماء كلها ٥٤

- عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون ٨٠

( غ )

- غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين ٨١

( ث )

- فيه شفساء للناس ٢٧ ، ٢٥
- فأقم وجهك للدين حنيفا فطره الله التي فطر الناس عليها ... ١٣١
- فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ١٣٥ ، ١٤٩
- فلينظر الإنسان مم خلـــــــق .. ١٣٩
- فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ٢٠٩
- في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا .. ١٤٩
- رغب أنفسكم أفلا تصرفون ١٣٤

( ق )

- وقرب زدني علما ٢٧ ، ٣٢
- وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ٨١
- قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشُر الناس ضحى ٨١
- قل لو كان البحر مدادا نكلمات ربى لنفذ البحر ... ١٤٦
- قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ١٧٠

( ك )

- كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ٧٦
- وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ٧٦

( ل )

- ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ١١٩
- ولا تأمنوا الا لمن تبع دينكم ١١٩
- لقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ١٣٨
- ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ١٤٩ ، ١٣٥
- لله منك السماوات والأرض يخلق ما يشاء ١٨٢

( م )

- وما أوتيتهم من العلم الا قليلا ١٩٣
- ومن كل شيء خلقنا زوجين ١٩٨
- وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ٥ ، ٣٤
- وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ٨٢
- وما ظنمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ٩٠
- من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ١٣٣ ، ٦
- وما أرسلناك الا لأفة للناس نبيا ونذيرا ٥٢
- وما ينطق عن الهوى إن هو الا رحي يوحى ١٦٨

( ن )

- وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ١٥٥

( هـ )

- هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ... ٨٠
- هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء ١٤٠
- هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ... ١٤٠

( لا )

- لا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء ١٤٥ ، ١٩١
- لا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا ٢١١

- يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك

١٤٥

- ويعلم ما في الأرحام

- يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ٠٠٠ ٤٧ ، ٧٠

- يا أيها الذين آمنوا انموا الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس ٠٠٠ ٢١١

- ويعنمه الكتاب والحكمه والتوراه والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل ٩٤

- يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين

- يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ١٣٥

- يا أيها الناس ان كنتم فى ريب مما نزلنا بالحق فاعلموا ان الله قد أنزل الكتاب بالحق والحق لا يبدل ٠٠٠ البعث ١٤٠

- يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ٠٠ ١٤٥

- يانسأء النبى لستن كأحد من النساء ٠٠ ١٤٩



( أ )

- إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ٦٨
- إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء إلا الهرم ١٥١
- أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شئ ١٨٤
- إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه ١٥٥

( ب )

- بعثت بالحنيفيه السمحة ٦٨

( ج )

- حق المسلم على المسلم ست ... ١٥٢
- حب الدنيا وكراهة الموت ١

( خ )

- خير الدواء القرآن ١٥٥

( ص )

.. صدق الله وكذب بطن أخيك ، اذهب فاسقه عسلا ... ١٣٧

( ط )

.. طلب العلم فريضه على كل مسلم ... ٣٢

( ع )

.. عجيبا لأمر المؤمن كله خير إن أصابته سراء شكر وإن أصابته ضراء صبر ... ١٥٢

( ف )

.. فر من المجذوم فرارك من الأسد ١١٧

( ك )

- كذبت يهود إن الله لو أراد أن يخلق شيئاً لم يستطع أحد أن يصرفه ... ١٨٣

( م )

- من يرد الله به خيراً يصب منه ١٥٢
- ما يصيب المسلم من أذى إلا كفر الله به من خطاياہ .. ١٥٢
- من علق تميمة فلا أتم الله له ١٥٣

( ن )

- نفر من قدر الله إلى قدر الله ١٥٠
- نعمتان كثر من الناس مغبون فيهما . الصحة والفراغ ١٥٢

( هـ )

- هممت أن أنهى عن الغيلة ... ١٨٣

( لا )

- لا يوردن ممرض على مصحح ١٥٥

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الم
المقدمة	١٠
( الباب الاول )	
الطب والاعلام	
الفصل الاول :	١١
الطب وتطوره عبر التاريخ	
المبحث الاول	١٢ - بدء الصناعة ١٣
المبحث الثانى	عشرات القرون الاولى ١٧ - مدرسة أبوقيراط فى الطب القديم ٢٠
المبحث الثالث	من قبل الميلاد الى معجزات المسيح وما بعد ها ٢٣ - عصر المسيح ٢٤
المبحث الرابع	شروق الاسلام وأزد ها ر العلوم ٢٧ - الطابع الموحد لدار الاسلام ٣١
المبحث الخامس	القرون الوسطى ٣٥
المبحث السادس	الحياة المعاصرة وسيل المعلومات ٤٠ - التخدير ٤١ فى
	القرن العشرين ٤٣ - العصر الذهبى للجراحه ٤٥
المبحث السابع	موقف المسلمين اليوم ٤٧ - الجانب الطبى الاسلام المعاصر ٥٠
الفصل الثانى	٥٢
المبحث الاول	الاعلام وتاريخه وغاياته
المبحث الثانى	٥٤ مفهوم الاعلام وتطور وسائله ٥٣ - تاريخ الاتصال بين البشر
المبحث الثالث	٥٩ فنون الاعلام ونظرياته ووسائله
المبحث الرابع	٦٦ الاعلام اليوم
المبحث الخامس	٦٣ الاعلام الاسلامى والطوفان
	٨٠ نظريه فى الاعلام الاسلامى
( الباب الثانى )	
استخدام الطب فى الاعلام	٨٤
عنى الامم	٨٥
الفصل الاول	
المبحث الاول	٨ عند اليهود
المبحث الثانى	عند النصارى ٩١ - فى عصر الميلاد ٩١ - صفة المسيح عليه السلام ٩٣ - المسيح والطب ٩٤ - الكنيسه والتبشير ٩٦ - خطه الكنيسه الغربيه ١٠٢ - خطه الكنيسه القبطيه ١٠٣ - الطب والتبشير ١٠٥ - الطب والاستشراق والاستعمار ١١٨ - نشاطات المبشرين ١٢٣ - الطب والمستشرقون ١٢٦
الفصل الثانى	١٢ استخدام الطب فى الاعلام فى الاسلام

المبحث الاول	القرآن الكريم والطب ١٣٤ - غسل النحل ١٣٦ - خلق الانسان ١٣٨ خلق الذكر والانثى ١٤٤
المبحث الثانى	أداب السنة النبويه فى الطب والاعلام ١٤٨
المبحث الثالث	الطب فى عصر الازدهار الاسلامى اعلام على ١٥٦ - أداب المهنة ١٥٦ - المنهج ١٥٧ - التدريب ١٦٠ - تأثير الطب الاسلامى فى المدارس الاوربيه ١٦١ - نماذج من مؤلفات الاطباء المسلمين العالميه .
( الباب الثالث )	
١٦٧	الطب والدعوة فى الاعلام الاسلامى المعاصر
تهيد ١٦٩	
المبحث الاول	نماذج من الصحافة ١٧٣ - طفل الانابيب ١٧٤ - الانسان والطب ١٨٩ حكمة التحريم ١٨٩ - الطاعة والطبيعة ١٩٢ - النفس المطمئنة ١٩٣ الغزو اللسانى والطبى لافريقيا المسلمة ١٩٤
المبحث الثانى	فى التلفاز ١٩٥ - استطلاع طبى ١٩٩
المبحث الثالث	فى الاناعة ٢٠١ - عادات الهبيين ٢٠٣
المبحث الرابع	فى الكتاب ٢٠٦ - خلق الانسان بين الطب والقرآن ٢٠٦ - القرآن والطب ٢٠٩ .
المبحث الخامس	المؤسسات الطبية المعاصرة فى مجال الاعلام والدعوة الاسلاميه ٢١٢ الجمعية الشرعيه ٢١٣ - الاخوان الميملون ٢١٤ - الجمعية الطبية الاسلاميه ٢١٦
( ملاحق الرساله )	
من الدستور الاسلامى آداب مهنة الطب ٢١٩ - قسم الطبيب المسلم - ٢١٩ - المسئولية الطبية فى ضوء الشريعة الاسلاميه ٢٢٠ - مسألة استقطاع الاعضاء البشريه بفرض الزرع ٢٢٢ القتل الطبى لراحة المريض ٢٢٤ - مسألة الحمل الذى قد نفخت فيه الروح ٢٢٩	
نتائج ومقترحات ٢٣٣ - ٢٣٨	
( الفهارس )	
٢٣٩ - ٢٤٢	فهرس المراجع
٢٤٦ - ٢٤٣	فهرس الاعلام
٢٥٢ - ٢٤٧	فهرس الايات القرانية
٢٥٥ - ٢٥٣	فهرس الاحاديث النبويه
٢٥٧ - ٢٥٤	فهرس الموضوعات